



### تمثال الملكة نفرتيتي

زوجة الملك اخناتون في متحف برلين . وفي المفاوضات  
الاخيرة التي دارت بين وزير مصر المفوض ببرلين واولي  
الشأن فيها ما يبعث على الامل باسترداد هذا الاثر النفيس  
لحفظه في المتحف المصري بالقاهرة . اما لفظة « نفرتيتي »  
فمعناها « وصول الجمال » والمجمع عليه من النقاد ان انامل المتماثلين  
الاقدمين لم تبدع تماثلاً اكثر من هذا التمثال روعة واتقاناً



# المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد السابع والسبعين

١ يوليو سنة ١٩٣٠ — ٥ صفر سنة ١٣٤٩

## الْعِلْمُ وَاللَّهُ

مؤلفه: علمي فلسفي

ابنته: صاحب مكتب النسبة - وصيتمه: مربي كاتب النسبة

ومحاضرهم: - ومؤلفه: عالم رياضي ومؤلف كتب علمية سارة

مربي : في الاجتماع الذي عقده مجمع تقدم العلوم الاميري سنة ١٩٢٨ صرح احدا الخطباء  
بانه قد آن الاوان لان يضع العلماء ( العلم ) تعريفاً جديداً لله

اينشتين : امر غريب مضحك !

مربي : ولكن شيئاً أكثر غرابة نجم عنه . ذلك ان جдалاً عنيماً دار على هذا المحور  
بين الكتّاب والعلماء والوعاظ في الصحف والمساجد وعلى المنابر العامة . فذهب الوعاظ الى ان  
اقحام الله في الجدل العلمي عمل في غير محله . لان الصلة بين العلم والدين مقطوعة الاسباب  
اينشتين : اني اعتقد ان موقف الفريقين يتم على نظر غير بعيد الغور في العلم والدين



مرفي : ولكن المظهر الخطير في هذا الجدل هو ان العلماء نطقوا بلسان الجمهور ، فاناس في انحاء الارض وخصوصاً في المانيا واميركا يتطلعون الى العلم لعلهم يجدون فيه الالهام والعون الروحي الذين لا يجدونها في الدين المنظم . فالى اي مدى تستطيع الفلسفة العلمية ان تحقق هذه الرغبة . هي هذه النقطة التي اريد ان اجعلها مدار البحث اينشتين : ما زلنا نتكلم عن الروح التي تتغلغل في كل المباحث العلمية الحديثة فانا ارى ان كل المباحث الدقيقة في ميدان العلم تنبعث من شعور ديني بعيد الغور في الطبيعة البشرية ، وانه لولا هذا الشعور لما كانت هذه المباحث تثمر ثمراً ما . وارى كذلك ان هذا المظهر من مظاهر الدين الذي يبدو في البحث العلمي الحديث هو العمل الديني المبدع الوحيد في هذا العصر . لانه قلما نستطيع ان نقول ان فن اليوم يعرب عن طبائعنا الدينية صلثن : ولكن ايصح القول بان المباحث العلمية تعبر عن شعور ديني ؟ ألا ينشأ الشعور الديني من محاولة الانسان الكشف عن معنى الحياة ؟ الا ينبعث من وجود الالم في الحياة ؟ اينشتين : ان هذا النظر الى الدين لا يبدو لي نظراً سامياً . وعندي ان الرجال المتدينين العظام لم ينظروا الى الدين هذه النظرة

البحث  
العلمي  
والشعور  
الديني

صلثن : لا بد انك تتفق معي ايها الاستاذ ان دستيوفسكي كاتب ديني عظيم اينشتين : نعم

صلثن : ويظهر لي ان المشكلة الاساسية التي عني بها هي مشكلة الالم اينشتين : اظن انك لا تستطيع ان تعرض المسألة كما عرضتها . لانها ليست كذلك . لا ريب في ان دستيوفسكي يصف لنا الحياة . وغرضه ان يصفها مضمناً تضاعف وصفها سرها الروحي من غير تعليق عليه او عليها . فهو لا يعالج مشكلة لان لا مشكلة امامه تحتاج الى علاج

غرض  
البحث  
العلمي  
العالي

مرفي : والعلم الحديث قلما يتجه الى معالجة مشكلة معينة . واريد بالعلم الحديث فروع البحث العلمي العالي . فباحثك يا استاذ ومباحث زملائك كيلانك وشرويدنر وهيزنبرغ وادنغتون وملكين لها غرض اعلى واوسع نطاقاً من مباحث بعض العلماء السابقين الذي جعلوا همهم وغرضهم الكشف عن نوااميس الطبيعة لاستخدامها في خدمة الانسان . ان العامة لا تزال في عصرنا تسأل : ما الفائدة من مذهب النسبية ؟ وذلك لان عقل العامة لا يدرك ان مذهب النسبية انما هو وجه واحد من وجوه مباحثكم — انتم وزملائكم — التي ترمي الى تشييد فلسفة علمية هي في الواقع نظام عقلي كوني شامل ، يحل فيه التحقيق والامتحان محل الاستيحاء والتأمل . وعليه لا بد ان يحل هذه الاعتباران



الموضوعية محل الاعتبار الذاتية التي قامت عليها فلسفة افلاطون وأرسطو طاليس وكل ما عرف باسم الفلسفة الى عصرنا هذا . فالى اي مدى تستطيع الفلسفة العلمية التي تبنيها انت وزملاؤك ان تتحول الى فلسفة عملية تتناول الحياة من جميع وجوها وترفع للنفوس مثلاً عملية جديدة على انقاض الاغراض الدينية القديمة المتداعية ؟ هذا هو مدار بحثنا ؟

العلم وادب  
السلوك

اينشتين : يقصد بالفلسفة العملية فلسفة تتناول السلوك . وأنا لا اعتقد ان العلم يستطيع ان يعلم الناس ادب النفس او أدب السلوك . انا لا اعتقد اننا نستطيع ان نشيد فلسفة ادبية على اساس علمي . انك لا تستطيع ان تعلم جمهور الناس مثلاً ان يواجهوا الموت دفاعاً عن حقيقة علمية . ليس للعلم اثر من هذا القبيل في النفس الانسانية . اما تقدير الحياة والاعراب عن هذا التقدير اعراباً نبيلاً فلا يتأتى الا عن توق النفس الى معرفة مصيرها . وكل سعي لتحويل ادب النفس الى قواعد علمية مقضي عليه بالفشل . انني مقتنع بذلك كل الاقتناع . ولكن يقابل ذلك ان البحث العلمي والعناية بالمذاهب العلمية وفلسفتها لهما اثر كبير فعّال في ارشاد الناس الى تقدير شؤون الروح تقديرأً اصح وأنبّل . اما حقائق العلم بمجد ذاتها فلا تمدنا بأساس ما نبني عليه قواعد سلوكنا

مرفي : ومع ذلك ترى الناس يتطلعون الى العلم بشيء كثير من التوق الديني الذي يتحول احياناً الى نوع من التعصب . أسمعتم بالازدحام الشديد الذي وقع في نيويورك وكيف داس الناس بعضهم بعضاً في طريقهم الى ردهة عامة لسماع محاضرة في «مذهب النسبية» ؟ اني اعتقد ان هذه الجماهير ظنت انها تتمكن من الحصول على شيء من الالهام لدى تأملها في حقيقة غامضة «كالنسبية» . فلما قرأت وصف هذه الحادثة تصورت المعارك التي خاضها الجماهير والجنود في عصور المسيحية الاولى في سبيل بعض المذاهب المجردة التي تدور حول الثالوث

اينشتين : نعم قرأت وصف هذه الحادثة . وأنا اعتقد ان عناية الجمهور بشؤون العلم والموالاة من المقام العالي في نفوسهم من اقوى الادلة على حاجات العصر النفسية . انه يدل على ان الناس قد سئموا المادية بمعناها المعروف . انه يدل على انهم يرون في الحياة فراغاً وانهم يبحثون عن شيء من وراء مصالح الشخص واغراض الساعة . ان عناية الجماهير بالمذاهب العلمية تتناول كل قوى النفس العالية وكل ما يتناول هذه القوى له مقام سام في رفع مستوى الآداب الانسانية

مرفي : ترى اذا درسنا شبانتنا وشاباتنا المذاهب العلمية من وجهتها الفلسفية والثقافية فما يكون اثر ذلك في نفوسهم ؟

اينشتين : لا بد من تضافر الملوكات الروحية المهمة والمبدعة حين يحاول العقل



الفهم  
وتضافر  
الملكات

فهم الحقيقة العلمية . انك تستطيع ان تبني علماً بطوب المنطق وطين البحث والامتحان . ولكن فهم مغازيه واغراضه بعد بنائه يقتضي تضافر كل ملكات الفنان المبدعة . انك لا تستطيع ان تبني داراً بطوب وطين فقط . بل انت تحتاج الى ملكات المهندس والمزج والمؤث وذوق السيدة . وفي ميدان العلم اعتقد ان المقام الاعلى يجب ان يمنح للمكان الفهم . وبذلك اعني ان ميولنا الادبية وغازنا الدينية واحساسنا بالجمال قوى لا بد من تضافرها مع القوة العاقلة لتحقيق اسمى الاعمال العقلية — الفهم . هذا هو مقام « الطبيعة الادبية » التي عني بها سبنوزا عناية خاصة في فلسفته . فترى اذاً اني متفق معك اذ تشير الى اركان العلم الادبية ( moral ) ولكنك لا تستطيع ان تقلب المعنى وتشير الى اركان الادب morality العلمية

[وعلى ذكر اسم سبنوزا تشعب الحوار الى مقام اليهود في عالم الثقافة ثم عاد فاتجه الى الموضوع العام لما سأل مر في الاستاذ اينشتين عن تعليل ما يشاهد في تاريخ اليهود من عدم مناهضة ديانتهم لارتقاء العلم اينشتين : من الامور السهلة معرفة ذلك . ان الديانة اليهودية هي اكثر من اية ديانة اخرى وسيلة للتسامي بالحياة اليومية عن مستوى السعي للرزق . فهي لا تفرض على المؤمن نظاماً ضيقاً من القيود والشعائر والآراء والمعتقدات التي تؤثر في آرائه الشخصية في شؤون الحياة الدنيا . فكانها لا تطلب من معتنقيها الايمان بعقيدة معينة على ما يفهم من العقيدة عادة . ولهذا السبب لا تجد نزاعاً ما بين نظر انبائها الديني ونظرهم العملي

مر في : لقد صرنا حيث يتصل ذكر اليهود بموضوعنا العام . انك هنا امام طائفة متجانسة منتشرة في كل انحاء العالم لها ديانة وثقافة تتفقان مع النهضة العلمية بل وتشجعان النهضة العلمية اقوى تشجيع . فمن المعلوم ان الثقافة المدرسية المنقولة عن اليونان كانت سائدة في اوربا في مطلع عصر النهضة وجعلت بعد ذلك اساساً لحضارة غرب اوربا . ولكن اليهود في مطلع عصر النهضة قدموا لاوربا ثقافة اخرى هي الثقافة العلمية وقالوا لها اختاري اينشتين : نعم اخذ اليهود هذه الثقافة العلمية عن العرب ومن المصادر العربية

العرب  
والحضارة  
العلمية

مر في : صدقت وقد اخذوها عن طريق اسبانيا . فقد كانت طائفة من اليهود الاسبانين اول جماعة عنيت بانشاء المدارس الاوربية لتعليم الطب تعليماً علمياً كمدريتي بولونا وسالرنو . كان ذلك في القرن الثاني عشر . وفي سالرنو استخدم فردريك الثاني العلماء اليهود لنقل الكتب العلمية من العربية واليونانية الى اللاتينية . وقد كانت ايطاليا واسبانيا في ذلك العهد مهد حركة علمية مباركة يعود اكبر جانب من الفضل فيها الى اليهود

ولكن في العهد الذي كاد يستولي اليهود على عقل اوربا المستيقظ بدعوتهم الى الثقافة العلمية هب دعاة الثقافة المدرسية واستعانوا بفلسفة ارسطوطاليس وزجوها في خدمة



التحكم الديني ، فعُني رجال النهضة في فلورنسا بدرس اللغات القديمة وآدابها فوضعوا بذلك اركان ثقافتنا المدرسية الحالية . من ذلك الحين نشأ الخلاف بين الكنائس المسيحية والعلم . وهذا في نظري اكبر مأساة في تاريخ اوربا . على انني اعتقد اننا اصبحتنا عند ختام هذه المأساة اينشتين : واية فلسفة تترك للعالم اذا نزعته منه كل ما اتصل بنا من اليونان

الثقافة  
المدرسية  
والثقافة  
العلمية

مرفي : لو اُلقيت اليّ المقاليد لانشأت فلسفة مبنية على الثقافة العلمية التي اشرت اليها لانها فلسفة حيّة تتطور دائماً بتطور المباحث العلمية واتساع البحث العلمي ولكنك افترض درسها في كل المدارس ومعاهد العلم العالي بدلاً من الفلسفات التقليدية واللغات القديمة اينشتين : لقد اشرت الى ان عهد الثقافة المدرسية قد اوفى على نهايته وعندي ان سبب ذلك العناية بدرس اللغات القديمة درس المتحجرات

مرفي : هذا ما يقع دائماً ، يا استاذ ، لغات الميتة . انك لاتستطيع ان تدرس اللجنة الا بتسريحها . وعندي ان هذا التقيد بالقديم اكبر لعنة اصبحت بها اوربا . فرجال الثقافة المدرسية بنوا نظاماً اديبياً على فلسفة ارسطوطاليس فجعلته الكنيسة اساساً لفقهها الادبي . واستمدت منه اوربا شرائعها التي كانت في القرون الوسطى شريعة الكنيسة . فبهذا النظام نستطيع ان تسوّغ كل جريمة في التاريخ من ديوان التفتيش الى الحرب الكبرى « لنضع العدل ولو انشقت السماء » . قول روماني مأثور . لكن الانكليز قالوا : « لقد نقض الالمان عهودهم فلننثر في ارجاء الارض جثث عشرة ملايين من الموتى »

اينشتين : لقد آثر الانكليز في كل عصور تاريخهم ما هو عادل على ما هو صالح مرفي : نعم لانهم منقادون الى فكرة العدل المدرسية المبنية على المنطق . افلا نستطيع ان نُحل محل هذه الفلسفة الخاصة بعصر زائل ، فلسفة جديدة مبنية على مذاهب العلم فتكون مرشداً حكماً في شؤون الحياة الحاضرة وبحكم الاتصال بين شؤون العالم ونفوس معتققيها . انني اعلم يا استاذ ان « السلام العالمي » اقرب الاماني الى نفسك اينشتين : لقد اصبحت . ان هذه المسألة اهم مسائل العصر

العلم  
والوطنية  
والسلام

مرفي : ولكنك لاتستطيع ان توطن السلام بواسطة رجال السياسة . ومن المضحك ان تنتظر ذلك منهم . افلا نستطيع ان نبدع غرضاً عالياً من اغراض التعليم فنجعله مثلاً اعلى للامم يحل محل المثل القديم القائل بأن « الموت عذب وشريف في سبيل الوطن » ؟ الا يمكننا العلم العالمي من انشاء وطنية عالمية بدلاً من وطنية قومية ضيقة ؟

اينشتين : لا بدّ من ذلك . لا بدّ من ذلك . لا شك في الامر . ان الطابع العالمي في التعليم والثقافة يوسع افق العقل فيصبح بذلك قوة فعالة لانه عالمي في شموله فيجذب



إليه الناس من قومياتهم الضيقة. انك لا تستطيع ان تقضي على القومية الا اذا ملأت الفراغ بعدها بشيء . والعلم يمنحنا هذه القوة العالمية التي ينضوي الناس تحت لواها

مرفي : اذن يتلخص رأيك يا استاذ في ان درس المذاهب العلمية في المعاهد يرفع الشعور القومي الى مستوى اعلى ويقلبه من ضيق الى سعة كما تفعل الموسيقى وكما يفعل الشعر. الموسيقى لا تحمل الناس على ان يتصرفوا تصرفاً اديامعياً ولا التصوير يفعل ذلك ولا الشعر . ولكنها كلها ترفع النفس — حياة الشعور — فوق مستوى الصغار في حياة المادة والطمع . فرأيك ان الاثر الفعال للعلم الحديث في التعليم هو اثره غير المباشر في السموات بجياتنا الشعورية عن سفاف الحياة اليومية . واذا صرفت النظر عن الحقائق التي تنطوي عليها المذاهب العلمية وجب الا نفعل اثرها في الفن والدين

اينشتين : نعم هذا يعبر عن رأيي في الموضوع . واني اوافق على كل كلمة ذكرها لك ما كس بلاك من ان الفلسفة العلمية الحديثة تتجه الان الى نوع من التوحيد السامي ينسجم فيه العقل العلمي مع غرائز الانسان الدينية وشعوره وبالجمل . اني اوافق على ان صورة الكون الطبيعي كما يرسمها لنا العلم الحديث هي بمثابة صورة زبئية رائعة او قطعة موسيقية اخاذة تهيب بالنفس الى التأمل الذي احسبه من اميز الصفات في الشعور الديني والفني

صلفن : ان الرياضي الفرنسي العظيم ، هنري بوانكاريه ، صرح بان غرض الحياة الاسمي انما هو التأمل لا العمل . وذهب الى ان العلم جدير بالتجرد له لانه يكشف عن روعة الطبيعة ولولا هذه الروعة لما كان العلم جديراً بذلك ولا الحياة حرية بقضاء سنها اينشتين : ان الحكم الاخير لا يستطيع ان يفصل فيه العقل المجرد . انه مسألة شعور خاص ولكل رأيه فيه . اما فيما يتعلق بي ، فقيمة المعرفة العلمية في نظري ، هي كما صرح بوانكاريه ، في الجدل الناشئ عن الفهم ، لاني امكان العمل الذي يمهّد العلم طريقته . فانا لست اوريا اذا نظرت اليّ نظر الاوربيين الذين يقدمون العمل على كل شيء

مرفي : واطن انك اهتمت بالبحث في النور لما كنت في سن السادسة عشرة ، تأمل روعة الطبيعة في جبال الابنين في ايطاليا

اينشتين : ( متكلماً الايطالية ) آه . سي . سي . ان شعوري بحال الطبيعة وكل ميولي الفنية نشأت نشوءاً منسجماً مع الميل الى البحث العلمي . وانا اعتقد ان وجود الواحد منها دون الآخر متعذر . اني وجدت الواحد متجداً بالآخر في احباب كل العقول المبدعة الذين عرفتهم . قد لا تكون الملكات الفنية في هؤلاء قد صقلت واستعملت عن وعي او عناية ولكنها كانت دائماً تحت الميل العلمي فيهم وتوجهه

العلم قوة  
عالمية

العمل  
والتأمل  
في العلم



مرفي: والآن جئنا الى النقطة الاخيرة في بحثنا. فقد كُتِب في العقدين الاخيرين كتب ورسائل لا تحصى تدور على انحطاط الحضارة — حضارة غرب اوربا — واضمحلالها. وسبنغلر هو زعيم هذه الفكرة وحيثه الكبرى في ذلك ان قوة الحضارة الروحية تظهر في الفنون المبدعة وان هذه الفنون قد اصبحت تقليداً ميكانيكياً في حضارتنا الحالية فالدين في رأيه والفن لا يصلحان الا للتعبير عن عوامل الحضارة الروحية. وهذا عنده دليل على ان القوى المبدعة في ابناء هذه الحضارة مريضة

اينشتين. ان الصورة التي يرسمها سبنغلر صورة ذهنية تستوقف النظر. ولكنك لاتستطيع ان تتبأ: متى يولد دور من ادوار التاريخ تكون فيه القوى مبدعة ولاستطيع كذلك ان تتبأ بنهاية دور من هذا القيل. لا ريب في ان مستوى التعبير الفني بالغ دركات الانحطاط في هذا العصر. ولكن من يدري ما يسفر عنه الغد. وكيف تستطيع القول بأن مؤسسي الحضارة المقبلة يجب ان ينشأوا من شعوب تحتاج البلدان المتقدمة من قلب صحراء همجية كما فعلت القبائل الالمانية؟

مرفي: ولكنك يا استاذ تسلم بقيمة الفكرة التي يؤيدها سبنغلر اينشتين: طبعاً طبعاً. على ان رأيه في شعوب همجية تكون منشأ الحضارة المقبلة يظهر لي اقرب الى الخيال منه الى العلم

مرفي: ان سبنغلر ينسى ان العلم في عصرنا قد يحدث ما أحدثه الفن في عصر «الباروك»<sup>(١)</sup> انه يدعي ان التوق الى تمثيل الفضاء واتساعه هو روح الثقافة الشمالية وان هذه الروح تجسست في قناطر الكاتدرائيات الغوطية ومسلاتها كما تجلست في اصباغ رمبرانت وألحان بتهوفن والصفة الغالبة عليها كلها صفة الاتساع. افلا يصح القول بأن العلم الحديث قد حمل المصباح الذي تركه الفن وانه بهذا المصباح اخذ ينير الفضاء المجهول

اينشتين: اعتقد أنك مصيب. ان الشعور بعظمة الفضاء واتساعه يستولي على النفس هل يحل العلم اذا يتبع البصر طيران طيارة او سير باخرة حديثة او حين يفكر العقل بالامواج اللاسلكية محل الفن؟ الهازنة بالمسافات. ان التأمل في هذه الحقائق يؤثر في النفس اثر مسلات الكاتدرائيات المستدقة الزاهية في الجو. والواقع ان العلم الحديث يجهز العقل بما يحمله على التأمل والسمو بنأمله. لا بد للانسانية من ان تتسامى وكل سعي ثقافي سواء كان دينياً او فنياً او علمياً يمس صميم النفس ويرنو بها الى التحرر من الذات — ذات الفرد وذات الجماعة على السواء. ولا بد للانسانية في ذلك كله من التعبير مهما تختلف اساليبه باختلاف العصور

(١) لفظ يطلق على فن القرنين السادس عشر والسابع عشر لما امتاز رجال الفن بالجرية وعدم التبدد بالقواعد الموضوعية



## اختي المريضة في العيد

رَأَيْتِكَ فِي الْحَجَرَةِ الْبَارِدَةِ      تَسَاقُطُ عَيْنَاكَ دُمْعَا سَخِينَا  
فَلَمْ تَهْنِئِي بِسَمَةِ وَاحِدِهِ      بَلْقِيَايَ حَتَّى اسْتَحَالَتْ أَيْنَا  
أَخِيَّةً فِي كَبْدِي الْوَاقِدِهِ      لَشُكَاؤِكَ اضْعَافُ مَا تَشْتَكِينَا  
أَخِيَّةً يَا لَيْتَ هَذَا الْعَذَابُ      عَلَى مَهْجَتِي كَانَ لَا مَهْجَتِكَ  
وَلَيْتَ الْكَرَى فِي دُمُوعِي ذَابَ      لَا سَكْبَنَ عَلَى مَقْلَتِكَ

وَجَدْتُكَ تَذْوِينَ كَالْوَرْدَةِ      وَكَالْمَسِّ قَدْ آذَنْتَ بِالْغُرُوبِ  
تَتَّيَّنُ فِي وَحْشَةِ الْوَحْدَةِ      أَيْنَا يَقْطَعُ أَقْسَى الْقُلُوبِ  
فَمَا تَسْتَرْجِحِينَ فِي رَقْدَةٍ      وَلَا تَمْلِكِينَ يَدَا فِي الْخُطُوبِ  
فَرَحْتَ أُنَادِي طَيْبَ الثَّرَى      وَرُوحِي تَنَاجِي طَيْبَ السَّمَاءِ  
طَبِيبِينَ، هَذَا لِيُعْطِيَ الدَّوَا      وَذَاكَ لِيَجْعَلَ فِيهِ الشِّفَاءَ

نَظَرْتُكَ رِيحَ الضَّحَى وَالشَّمْسِ      جَوْنَ تَلَبَّدُ حَوْلَكَ مِثْلَ الضَّبَابِ  
وَقَدْ عَمَّ نَوْرُ النَّهَارِ الْحَزُونَ      وَسَالَ عَلَى جَنَابَاتِ الْهَضَابِ  
وَدَاعَبَتْ النَّسَمَاتُ الْغُصُونُ      كَمَا دَاعَبَتْ كَفَّ «سَامِي» الرَّبَابِ  
فَلَوْ اسْتَطِيعَ حَمَلْتُ الْجَمِيعَ      هَدِيَّةً فَصَحَّ إِلَى مَضْجَعِكَ  
وَحَبَّاتُ يَا اخْتِ شَمْسَ الرَّبِيعِ      بِحَبِي لَتَشْرِقَ فِي مَخْدَعِكَ

رَأَيْتِ الصَّبَايَا صَفُوفًا تَغْنِي      وَتَطْفُرُ فِي الْعِيدِ مِثْلَ الظُّبَا  
إِلَى كُلِّ رَوْضٍ عَلَى كُلِّ غُصْنٍ      أَهَابَ الرَّبِيعُ قَلْبِي الصَّبَا  
قَصَائِدَ مِنْ كُلِّ وَزْنٍ وَلَحْنٍ      يَرْتَلُّهَا اللَّهُ فَوْقَ الرَّبِي  
وَاخْتِ الْبَرِيَّةُ رَهْنُ الْأَلَمِ      كَمَا حُبَسَ الْطِفْلُ عَنْ مَلْعَبِهِ  
الْهِمَى ضَيَّعَتْ أَعْلَى نَفَمِ      وَعَطَّلَتْ شَعْرَكَ مِنْ أَعْذَبِهِ !

فَدَعَاهَا تَطْفُرُ نَحْوَ تِلْكَ الرَّبِي      وَتَحْنُ الزَّهْوَرُ كَأَنَّهَا  
وَالْإِلَّاءُ فَرُّوا بِلَبْلَاءِ مَطْرِبَا      مِنْ الرُّوْضِ يَشْدُو عَلَى بَايَا  
وَقُلْ لِلنَّسَاءِ أَنْ تَجْلِبَا      إِلَيْهَا الشَّدَا مَلَّ جَلْبَاهَا  
وَأَنْ شَاءَ عَفْوُكَ أَنْ يَرْحَمَا      صَبَاهَا وَيَدْرَأَ عَنْهَا الْخَطَرُ  
فَمَنْ بَابِلَاهَا قَبْلَمَا      تَحْفَ الْحَقُولُ وَيَذْوِي الزَّهْرُ





العلامة المغفور له أحمد تيمور باشا

ولد في شعبان ١٢٨٨ — وتوفي في ذي القعدة ١٣٤٨ هـ

وُلد في نوفمبر ١٨٧١ — وتوفي في ابريل ١٩٣٠ م





## أحمد تيمور باشا

بقلم السيد خير الدين الزركلي  
مؤلف كتاب « الاعلام »

الاسرة التيمورية في مصر ، كردية الاصل ، قدم جدها الاول تيمور بن محمد بن اسماعيل بن علي كرد ، من الموصل ، في عهد محمد علي باشا الكبير ، واتصل به اتصالاً وثيقاً ، فكان من قادة جنده ومن كبار ولاته . وفي عهد المغفور له الخديوي اسماعيل باشا عُرف اسماعيل تيمور باشا بن محمد بن تيمور ، والد صاحب الترجمة ، بفضل ونبل ، فولى رئاسة الديوان الخديوي وكان من خاصة صاحب الامر بمصر

وقبل وفاة اسماعيل تيمور باشا ، بنحو مائة يوم ، ولد له نابعة التيموريين « أحمد » المترجم له . فهو إذن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن تيمور بن محمد بن اسماعيل بن علي كرد نشأ أحمد يتيماً ، ربته أخته الشاعرة الادبية عائشة عصمت وزوجها محمد بك توفيق . وأدخله مدرسة « مرسيل » الافرنسية ، فكث فيها بضع سنين . وشغف بأداب العربية فانقطع لها ، وشغل بها عن مواصلة الدرس في المدارس العالية التي كان أترابه ينتقلون اليها بعد تجاوزهم صفوف مدرسة كمرسيل

فكانت مدرسته بعد ذلك داره ، تلقى فيها مبادئ النحو والصرف والفقه والمنطق وما كان يقرئه الشيوخ في ذلك العصر ، فدراسته اشبه بدراسة الازهرين اليوم ، وقبل اليوم . وانتهت به هذه الطريق الى التعرف بشيوخ الادب العربي واكابر علمائه من معاصريه ، فبعد أن تأدب على يدي الشيخ رضوان بن محمد الخلالتي ، ناشئاً ، وبعد ان لازم الشيخ حسناً الطويل ، زمناً ، تعرف بامام اهل اللغة الشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي ، ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده ، والعلامة الشيخ طاهر الجزائري ، فاخذ عنهم واستفاد منهم ، واتسعت دائرة جُلّاسه فكان يبتعثهم لاهل العلم والادب من المصريين ونزلاء مصر . وتعلم التركية وشيئاً من الفارسية فكان يستعين بهما على الرجوع الى بعض كتبهما فيما يحتاج اليه من تحقيق كلمة لغوية أو واقعة تاريخية . ولم أره في اجتماعاتي به رحمه الله يكثر من معاودة المصادر الافرنسية مع معرفته بهذه اللغة واقتناؤه بعض القيم من كتبها

وانصرفت عزيمته في بدء شبابه الى جمع نقائس الكتب ، ثم كانت تحمل اليه مخطوطاتها من الاستانة والمغرب والحجاز واليمن والشام والعراق ، وازداد غرامه بها فلم يكن يتصل



به نبأ كتاب غريب في الادب أو اللغة أو التاريخ الا اسرع لشرائه أو استنساخه أو نقله بالقوطوغراف . وقد استحضر بالطريقة الاخيرة مجموعة نادرة من محفوظات الخزان الكبرى في باريس ورومة وثينة والاسنانة وغيرها ، اطلعت على بعضها عنده ، فتألفت مكتبته التي تعدّ بقيمتها العلمية من نظائر دار الكتب المصرية في القاهرة والمكتبة الظاهرية في دمشق ، بل ربما كان في الخزانة التيمورية ما ليس في هاتين وامثالهما من خزائن الشرق العربية . وليس في القول انها احتوت على خمسة عشر الف كتاب أو أكثر كبير فائدة في الدلالة على قيمتها لان الكتب تقوّم بنفاسها لا بعددها

وما اقتصرت همته على اختيار الكتب وجمعها ، كما هو دأب الكثيرين ، بل أودعها من علمه وتحقيقه أثراً خالداً ، فأثبت في كل كتاب طالعه منها ، وما أكثر ما طالع منها ، تعليقات وتنبهات لو جمعت — وهي حربية بالجمع — لكانت كتاباً جليلاً هو في حسابي من افضل ما يدل على مبلغ كاتبها من علم بأدب العربية وتاريخ الامم والحضارات الاسلامية وكان على ما بين اسرته والبيت المالك ، من اتصال قديم ، بعيداً عن حب المنصب ، زاهداً في كراسي الدواوين ، وقد وجهت اليه رتبة « باشا » وعين عضواً في مجلس الشيوخ فقبل الرتبة ودخل المجلس ، ولكنه ما برح يتلمس الوسائل لخروجه من المجلس محتفظاً بعطف من عينه الى ان استقال في هذا العام ، وحوّل الساعات التي كان يقضيها فيه الى جمعية الهداية الاسلامية ، وانتخب عضواً في مجلس ادارة جمعية الشبان المسلمين ، وهو أحد مؤسسيها . اما الاعمال العلمية فكان يُقبل عليها مسروراً ، منشراح الصدر ، فاختر عضواً في مجلس ادارة دار الآثار العربية ، وعضواً في الجمع العلمي المصري وعضواً في الجمع العلمي العربي بدمشق ، فأفاد دار الكتب بتوليئه النظر في كثير مما طبعته ولاسيما الاجزاء التي صدرت في السنين الاخيرة من كتاب « الاغاني » اذ كانت تعرض عليه صفحاتها قبل طبعها ، وأمدّ المجمعين العلمين بكثير من ثمار تنقيبه في متون اللغة والادب . وفي مجلة الجمع العلمي العربي من رسائله ومقالاته نموذج عالٍ من اتساع اطلاعه ودقة تحقيقه ، نفّس مثله في كثير من المجلات والصحف كالزهراء والمقتبس وغيرها

فالرحوم احمد تيمور باشا كان أديباً ، عالماً بمادة لغته ، قديراً على حل مشكلاتها ، محققاً لاصولها ، متبحراً في أدبها ، واسع الاطلاع على تاريخي العرب والاسلام ، كثير العناية بأثرها وكان من أخص صفاته في البحث والتأليف أنه لا يصنّف الكتاب لشهوة التصنيف ولا يكتب ليقال كتب تيمور ، وانما يجمع الغريب مع أشباهه ، ويضم الشاردة الى نظيراتها ويصيد طرف الموضوع فيقيد في اوراقه ، ويترك ذلك كله للزمن ، ثم يعاوده كلما سنحت



له فيه فكرة أو اتفاق له جديد يتعلق به ، لاتتبعه الرغبة في النشر ولا يرضيه إخراج الرأي قبل وثوقه بنضجه ، فقلّ لهذا عدد ما طبع من كتبه ، وظلّ جُلّ ما صنّفه حبيس خزائنه : هذا كتاب ينتظر ان يقع له ما يضيفه إليه ، وتلك رسالة ينقصها جانب من جوانب البحث . وذلك مقال يترقب الظفر بما يحقق رأياً فيه . ولو تسنى لغير تيمور ما تسنى له من المراجع وسعة نطاق العلم في الشؤون التي اختصّ بها ، لطلع على الناس كل يوم مجديداً أو شبه جديد ، ولكن تيمور كان حريصاً على ان يكون أثره تاماً وعمله كامل التحقيق مستوفى أطراف البحث . هذه حقيقة فيه ، من جهلها أهمه بقلة الانتاج وما كانت الرسائل الصغيرة المطبوعة كـ « قبر السيوطي » و « الزيدية ومنشأ نحلهم » و « العلم العثماني » و « الرتب والالقب » و « المذاهب الاربعة » و « تصحيح القاموس » و « تصحيح لسان العرب » وأمثالها مما نشر له ، بدالة على ما وعاء صدره من علم جم ، وما كتبها لتكون « رسائل » تعرض في صف المصنّفات ، وانما هي « مقالات » دعت اليها مناسبات ، أو « بنائش » من دفائن التاريخ ضنّ بها على الطي ولم يرها من الجلالة بحيث تدّخر ليوم الظفر بمتمات لها فتكون كتباً ، فنشرها في احدى المجلات — وأكثرها في الزهراء — واستخرجت فطُبع كل منها على حدة ، فكانت « رسائل »

أما الكتاب الذي كان يُكثر من تعشده وتهذيبه فكتابه « معجم الالفاظ العامية المصرية » وما من شك في ان بحثاً كهذا يتعذر استقصاؤه ، اذ الزيادة فيه كل يوم ممكنة وما دام مؤلفه يستمع الى العامة جاؤوه في كل حديث بطريف حديث . ومن كان شأنه كشأن تيمور لا يبعد الكتاب اهلاً للنشر حتى يعتقداً أو يغلب على ظنه انه استكمل مادته ، لم يعجب منه اذا أنقذ العمر فيه مستريداً كلمة حديثة يضمها اليه او تفسيراً للفظ يأتي عليه . وقد بقي « معجمه » هذا مخطوطاً لم ينشر منه غير امثلة بعث بها الى مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية على ان جهوده لم تنحصر في معجمه هذا ، بل كان دأبه فيه كدأبه في كتب اخرى منها « اعيان القرن الثالث عشر والرابع عشر للهجرة » و « ذيل طبقات الاطباء » و « التصوير عند العرب » و « حياة المعري وعقيدته » و « الآثار النبوية » و « معجم الفوائد » وكلها ، كما تدل عليه اسمائها ، يعوزها الصبر والبحث

وكان عليه الرحمة ، وقوراً طويلاً الصمت ، فيه تواضع ولين ، متجافياً عن الناس ، يعرض البحث في مجلسه فان كان بعيداً عن مكتبته ، والكلام في اللغة او التاريخ ، تريث لا يقول كلمته الا معلقة ، مخافة الزلة — ولعله به اعلم جلسائه — وان كانت مكتبته تحت تناول يده اسرع اليها ، فاجتذب كتاباً يحلّ به الغامض او يوضح الاشكال مما القوم متناقشون فيه



لم اسمعه — وقد جالسته كثيراً — يشير الى بحث كُتبه او رأي نشره او كتاب ألفه . وكنت احب منه الكرم بما يعلم ، جعلت لنفسه يوماً في الاسبوع ازوره فيه عند الاصيل ، فأمكنك ساعتين او ثلاثاً ، اراجع كتباً او استوفى موضوعاً ، فما عرف قصدي حتى كان اسرع مني الى ما اريد ، يهديني الى المرجع ، واذا لم يكن الخادم جاءني هو بالكتاب ، وما ادعى اختصاصه ايادي هذا وانما هو في جوار مكتبته غيره في بعده عنها وما زلت اذكر له إلقاءه بين يدي قظراته ومذكراته يوم بدا له انني ابحت عن تراجم المتأخرين ، وقد عاصر بعضهم وبادلهم الترجمة على طريقة علماء السلف ، فكانت لي منها فوائد كثيرة لو التمس لها وسيلة اخرى لأعياني تطلُّها . وفي البُعْداء عن مصر من يعرف من فضل تيمور اكثر مما يعرف اهلها . يكتب اليه احدهم بمباشرة تأليف كتاب او تحقيق حادث ، فلا تصل اليه كلمته حتى ينهض فيختار له من مكتبته مراجع قد تكون معدومة النظر ويبعث بها اليه مبدئاً له مواطن الفائدة فيها . وكثيراً ما رأيت ينقل بخطه صفحات من مذكراته او كتبه ويرسلها الى مستعلم او سائل . فاعاش تيمور لنفسه ولا لبلده ، وانما عاش للعلم ولكل عالم ومتعلم يكاتبه او يستعين به

واتخذ من ثروته معواناً على الخير ، الا انه كان يختص ببرّه طائفة ممن يعلم فيهم الفاقة او الحاجة من المستورين . وكان ينشدد في كتمان ما يلقيه في ايديهم او يدسسه في جيوبهم ، لا يرضيه ان يعلم به احد . رويت لي عنه أخبار من هذا النوع ، منها وضعه ورقة بمئة جنيهه في جيب رجل علم أنه في اضطراب اليها ، ولما افرقا ورأى الرجل ما أبقت به يد تيمور أسرع اليه يريد اعادتها ، فأجابه بحزم انه لا يحب ان يسمع منه او عن لسانه كلمة بشأنها . وآخر ما نقل اليّ انه في الليلة التي توفي بها كان يفكر في ان يضع عن مستأجري بعض اطيانه شيئاً مما عليهم له ، يخفف به ما مسهم من ازمة القطن

أما حياته في بيته فكان لبنية الثلاثة (اسماعيل بك ومحمد بك ومحمود بك) اقصى ما منحه أبُّ أبناءه من حرية ، وانما جعل لهم ذلك بعد أن استوثق من صحة تربيتهم وأخلاقهم . وتوفيت والدتهم سنة ١٣١٧ هـ (١٩٠٠ م) بعد عشر سنين من اقترانه بها ، فلم يشأ ان ينغص عليهم عيشهم بغيرها ، فعاش بقية عمره منفرداً . وأراد المرحوم السلطان حسين أن يصاهره فيزوجه بابنة له ، فغلب حبُّه لاولاده على حبه لنفسه . وتوفيت اخته المربية له ووالدته ، في نصف شهر واحد من سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) فكان لفقداهما اثر كبير في نفسه اشتدَّ بفقد أحد أبنائه المرحوم محمد بك . وأصيب بمرض في القلب كانت تعاوده نوباته الى ان توفاه الله به في جوار مكتبته بالقاهرة





## وداع الربيع

ومنذا الذي يفكر فيك ، ايها الربيع الجميل ، آتياً كنت ام ذاهباً ام مقيماً ؟ منذا منا يجرد نفسه من نفسه ليتفرغ ولودقائق كل يوم ، لمراقبة تغير المشاهد وتعاقب الفصول ، وتنوع ما تبديه الطبيعة من اشكال وألوان واكفهرار وإشراق ؟

نحن ، مثلك ، بعض اجزاء الحياة وبعض مظاهرها وقد يبلغ منا الانفعال والاعتكاف على نفوسنا مبلغاً نسهى معه عن كل ما عدانا

وهل انت الذي تقاسمنا نصيبنا من الوجود حتى لتصبح مسرحاً لحركاتنا الانسانية والفردية والقومية — ، هل انت مع ذلك تأبه لوجودنا ، وتشعر بشعورنا ، وتشاركنا في مختلف ما نختبره من اضطراب وحيرة ، ونجاح وفشل ؟ أولست مثلنا كفاً على ذاتك ، مستغرقاً في حيويته ، منشغلاً بانماء بذورك والتفاف نواميك ، ترصد الأهبة لاستكمال سورة النضج في حبوبك وانبثك وأزهارك وأثمارك ؟

أولست تجعل كل واحد منا — شأنا فيك — مسرحاً لأعمال النمو والنضج والازدهار ، ونجري في عروقنا نفس الماوية التي تطلقها في شرايين الارض ، وألياف الغصون ، ونسيج الاغراس ، وكؤوس البراعم ؟

بيد انك منفعل بدورة الفلك وسير الشمس حول الارض فتبدأ حيث تريد او لا تريد ، وتنهي حيث لا نفوذ لك في الاختيار . ونحن مثلك من الناحية الواحدة مسيرون . ولكن ما نحن مخيرون فيه ان هو اسعدنا مرة فكم من مرة كنا فيه معذيين ، وكم من مرة جعلنا التخيير اشد شعوراً بأن ما نحن مخيرون فيه انما هو نوع العبودية التي نرضى بها ليس غير !

\*\*\*

هو ذا الصباح ، آخر صباح من اصباحك . والشمس التي ما زالت محجوبة بالضباب



بجاهد في تعجل الظهور فترسل من لديها بشيراً . فاذا بنحط مديد من النور الحي البهيج  
ترسم على طول جبل المقطم متعرجاً تعرجه هنا ، متكسراً تكسره هناك ، مستقيماً حيث  
الصخر يستقيم ، منحدرأ فصاعداً حيث الهضبة تنحدر ومن بعد تعلو

ومن خلال الضباب المتلبد تستغل الشمس كل فرجة وكل ثلمة وكل شقوق لتبعث برسالها  
الى الجهة المقابلة . فاذا الرسالة نور ينعكس على ارجاء الغروب فيضرم في زجاج النوافذ ما يشبه  
النار ، ويذهب زوايا المساكن فتسطع سطوعاً سحرياً رقيقاً ، ويلوّن الحجارة بألوان  
كان الظلام يطمس معالمها ، وتصنع السحب المتناثرة هنا وهناك وهناك بأصباغ قرمزية  
ووردية وليلىكية وفضية ، او هي تعمل على جعل بياضها اتم نصوعاً وسط الزرقة السحيقة  
الفيحاء — كأنما تلك السحب اجنحة مرئية لطعمة من الملائكة المجنحين

وهذه الاحياء صامته هادئة ، لا يقطع سكونها سوى خطوات نفر البوليس الموج  
بحراستها . وعلى المنازل تخيم سكينه الرقاد كأنما للجناد كذلك هجوع في الليل وفي النهار  
يقظة . واني لاستشف من وراء الجدران عديد النائمين الغافلين عما تنشره الطبيعة في  
الخارج وتطويه ، المستريحين ساعات قلائل من المشاغل والتعبات والمتع والحرمانات .  
انهم سيستيقظون عما قليل فتقول القيود للسجين : ها انا ذي ! وتقول المسؤوليات والواجبات  
والمسرات والآلام للتليق : ها انا ذي ! ها انا ذي !

... وقليلأ قليلاً تصاعد من ابعاد المدينة اصوات تتجمع في صوت واحد منسجم  
رغم ما يقطعه من تنافر : من كل ناحية يتعالى تغريد الاطيار ، وهل لتغريد الاطيار  
كالصباح صفواً ؟ وهل يتسنى سماعها في جلاء الا عند ما تكون حركات المدينة ساكنة  
ويكون اهل المدينة هاجعين ؟

وقليلأ قليلاً تقبل الاصوات من كل صوب ، مقتحمة جميع الشوارع وجميع الانحاء  
حتى لينقلب الجو مجلى شذو وترجيع وتطريب . . .

واستيقظت الاطيار المعسكرة على الشجرة المقابلة لشرفتي وعلا تغريدها فنفوق  
على كل تغريد

هذه شجرة قديمة مسنة كبيرة الجذور ، راسخة الاصول ، كثيفة الاوراق متشابكة



الافنان ، وقد تولدت أكثر الغصون الفتية في اعاليها . هي الشجرة الواحدة الباذخة في حديقة لم تحفل بغير العشب واغراس الازهار ، وساثر اشجار الطريق حيال هذه الشجرة اقزام

\*\*\*

ترى ما معنى تغريد جوقة الاطيار على هذه الغصون ؟ آتسيحة اليقظة هو ، أم ترنمة الربيع ، ام اهزوجة الحياة ؟ أم هو مساجلة ومناقشة تتبادل فيها الاطيار آراءها الصغيرة وافكارها المجهولة لدينا ؟ واذا كان هذا التغريد ترتيباً فما هي لغة التخاطب بينها ، وكل ما عندها من وسائل البيان صرح وشدو وانشاد ؟

لتغريدها مجتمعة وقت غير طويل على انه يرتفع في الساعة نفسها من كل صباح . فما ان ينقش ستار الضباب ويمضي قرص الشمس في تسلق اول مراتب الفضاء حتى تعمد العصافير الى السكوت . وينفض اجتماعها في نظام هو الذئ من التغريد واطرب لانه ينم على ذكاء ويحدث عن تضامن وتفاهم

فرداً فرداً تنتقل الاطيار الرشيقة الى اعالي الشجرة متخيرة لوقوفها الفتي من الغصون حتى يتجمع هناك العدد الوافي ومن يدري هل اولئك اعضاء فصيلة او قبيلة او طائفة او جماعة ؟ وبعد سكون لحظات يخرج عصفور اولاً ، وتخرج بعده عصافير كثيرة تنظم سرباً يتأثر اثر العصفور السابق ويتجه اتجاهاً فتلوح في الافق تلك الظاهرة الطبيعية البسيطة الفتانة : سرب الاطيار يجتاز السماء ! لا اظن ان هناك مشهداً اقدر من هذا على اثارة الشوق الى المجهول في الانسان ، واهتياج حينه الى بلاد نائية وانحاء غير معروفة ، واذكاء رغبته في مغادرة مكان اقام فيه لينزع الى المغامرة وركوب الاخطار واقتحام الاهوال وتمزيق الحجاب الذي ضربته احكام المسافة وانظمة الطبيعة من دونه

لا شك ان للاطيار فضلاً كبيراً في انشاء فن الطيران وترقيته . ليس من الوجهة الميكانيكية فحسب ، ولكن خصوصاً من حيث تنبيه حاسة المجهول في الانسان وشحذ همته في حجرة الديار ، وارتداد شاسع الامصار ، وتعرف ما لا يعرف من امور وممكنات وافكار

\*\*\*

وهكذا ما ان تغادر الفرقة الاولى مكانها من الشجرة حتى تحتل ذلك المكان فرقة اخرى تصعد من الطبقات الدنيا الى قمة الشجرة ريثما يتكامل عدد الجماعة فتطير بدورها



سرباً وتحلق وراء طائر يتقدمها. وهكذا يخرج من بين الغصون سرب تلو سرب يختلف كل منها عدداً واتجاها ولكنها في الغالب تولي وجهها شطر الشرق ولا تنقلب ابداً نحو الغرب إلا أن الشرق اغنى ارضاً واخصب تربة وافعم خيراً؟ وهل شعوب الغرب تحذو حذو الاطيار في اتجاهاها نحو الشرق بغية الغزو والاستعمار؟

والى اين ترى تمضي تلك الاسراب؟ ألبعث عن قوت وذخيرة؟ أم لتجلب شأن المستعمرن للمعامل والمصانع المواد الغفل مؤونة؟ وهل هي تعود في المساء الى نفس المكان الذي جمعها في الصباح، وهل هي نفسها التي تطير من ذلك المكان كل يوم؟ وما الذي يحدوها الى اختيار ذلك المكان دون غيره؟ وكيف تنظم الطير جماعاتها وأسرارها وتقيم عليها زعيماً يسير امامها ساعة تنطلق الى اجتياز الفضاء؟ وان تم لها كل اولئك بالسليقة فيا لها من سليقة عجيبه لاتجح نحن البشر في تنظيم مثل نتائجها إلا بكد وعناء ولا نفثاً تؤدي عن ذلك النظام دفعة بعد دفعة من دماء القلوب!

\*\*\*

اشرقت الشمس وعلت فوق ذرى الجبل الواحد الذي يخفر عاصمة ابي الهول ومضت الاطيار الى عمل النهار وليس على الغصون من طير يصدح. واستيقظ اهل المدينة وبدأت حركة الشوارع واستؤنفت جلبة العمران. وقاض النور على جوانب الافق وساد طليفاً في كل مكان. وعمما قليل تشتد حرارته فتصلينا بسعير الظهائر والهواجر

أ كذلك وداعك، أيها الربيع، في آخر صباح من اصباحك؟ وهل انت تقبل كما يقبل الواحد منا وتُدبر كما يدبر وتسلم وتودع مثلنا سواء بسواء؟ ام انت تتولد من قلب الشتاء كما يتولد الفرح من قلب الترح، وتذوب عناصرك في مطلع الصيف فتدعه بالقوة والحياة كما يغني الامل مصادر النضج في الانسان ويعلمه كيفية التحقيق؟

ألا ان هذه حياة متحابكة الحلقات، متسلسلة الوقائع، متضافرة الفوارق، متلازمة الاضداد نحسب اننا نحذقها ونفسرها وتتصرف فيها على حين هي تعالجنا وتتصرف فينا من غير ما شرح ولا تفسير!



## الطابع العلمى فى التعليم الحديث<sup>(١)</sup>

فى مثل هذا الموقف الجليل يتبادر الى الذهن مسائل حمة تمضُّ العقل وتقتضى المضجع الوثير وتستولي عليه حيرة فكرية تخطُّ فى عرض الفضاء علامة استفهام كبيرة

\*\*\*

ايها المحفل الكريم : انقضى القرن التاسع عشر وانقضى بانقضائه عهد التفاؤل والتثبت . وحلَّ القرن العشرون فاذا هو خيبة لآمال تنطوي على حيرة فلسفية وقلق اجتماعي . كشف علماء القرن التاسع عشر عن طائفة من نواميس الكون وحقائق العلم فبنوا عليها فلسفة ميكانيكية مادية ترى فى هذه النواميس وتلك الحقائق كلمة الطبيعة الأخيرة . وشيدوا على نتائجها مجتمعاً يحسب التحكم والانكارولين العيش حضارة وثقافة . وانطلق القرن العشرون من عالم الغيب يحمل فى طياته سرَّ الانقلاب . فى الآراء العلمية تحوُّل . وفى العقائد الاجتماعية تطوُّر . وفى النفس الانسانية قلق واضطراب . لقد انزلنا الالة منزل العبودات . وبتنا نحسب كلَّ تحوُّل سريع ارتقاء . ورحنا نعتقد ان كلَّ حركة دليل على الحياة . على ان الذين يستطيعون ان يخلوا الى انفسهم فى هذا الاصطحاب الفكري الشامل والاندفاع النفسى المثير يقولون فى روية ودعة : لن يكون الارتقاء حركة سريعة فقط . انما هو حركة فى جهة معينة . والحركة فى جهة معينة تقتضى غرضاً . فما هو غرضنا ؟

هذا هو السؤال ! انطلب المزيد من القوانين الاجتماعية والسياسية ام نرغب فى تقليلها ؟ الى توسيع نطاق الحرية نرمي فى مساعينا أم الى تضيقه ؟ هل نجد السعادة فى الحياة الحرة والعودة الى احضان الطبيعة ام نحن على خطأ اذا طلبنا الحياة السعيدة على الاطلاق ؟ هل نكبت العواطف ونخضعها لآحكام العقل والضمير فنرتقي على اخضاعها الى ذرى النقشف ، او نقبل على آداب الحيوانات الحرة فى الحقل الطلق رغبة فى اطلاق الحرية للنفس فى التعبير عن خواجلها ؟ انحب كل انسان مع السيد المسيح ام نقضى مع نيتشه على كل ضعيف قائلين قوله بأن المسيحية دين المستضعفين ؟ انذهب مع الذاهيين الى ان هدم الديمقراطية سبيل الخلاص للحضارة ، وان صوت الشعب انما هو صوت الشيطان ، ام ننضمُّ الى القائلين بأن الديمقراطية ثمرة من ثمار الارتقاء العلمى الصناعى ، لا تنفى الا بفنائيه ؟ هل العلم الطبيعى

(١) نص الخطبة التى القاها رئيس تحرير هذه المجلة الاستاذ فؤاد صروف فى الحلقة السنوية لجمعية تهذيب الشبيبة السورية ببيروت فى ٧ يونيو الماضى



من مقومات العمران او هو خطر عليه لأنه يزيد قوة الانسان من غير ان يولد في نفسه حكمة استعمالها ؟ هل يسيطر الانسان على القوى التي اطلقها او تسيطر هي عليه فتستعبده ؟ هذه هي المسائل التي تمضُّ العقل العصري ، ونحن في محاولة الاجابة عنها نسري في ظلمات من فوقها ظلمات من تحتها ظلمات يتيه العقل البشري في بيدائها !

\*\*\*

هكذا خاطبت نفسي لما شرفني هذه الجمعية الكريمة بالدعوة للخطابة في حفلها السنوية . وقضيت اياماً اقلب هذه المسائل في ذهني لعلني اهتدي في احداها الى قبس من النور . وإني لكذلك اعاني آلام هذه الحيرة ، طرأ على بالي للمرة الأولى ، ان الجمعية « جمعية تهذيب الشيبية » فضحكت من غفاتي . وكان الحيرة التي كانت مستولية علي قد استحكمت مني ، فأخذت من جديد اسائل نفسي :

ما الغرض من التهذيب ؟ لماذا تنفق الأموال ، ونشيد المعاهد ، ونستدر اكفّ المحسنين ، وتنظم الدوائر والصفوف ، ونقضي الأعوام ندوق فيها صنوف الآلام العقلية ، ثم نخرج من المدرسة ونحن ندرك — اذا كنا على شيء من العقل — مدى جهلنا ؟ ما الغاية القصوى التي يبغيها الطالب وأبو الطالب ؟ بل ما الغرض الذي يرمي اليه الرئيس والأستاذ ؟ المكسب يبغي الأول العلم ام للزينة ام للقوة ام للمقام الاجتماعي ام للنفع العام ؟ وهل يطلبه الثاني لتقويم الاخلاق او لخراج موظفين للحكومة او لاعداد جنود للوطن او معلمين للمدارس او تلاميذ يذيعون فكرة ويروجون لدعوة ؟

من الواضح ان منوال التعليم يختلف باختلاف الغرض المقصود منه . ما اكثر الأغراض وما اعظم الاختلاف بينها ! فالمرابي الانكليزي المشهور — الدكتور ارنولد — كان يرى « الوداعة العقلية » غاية التعليم القصوى — وهي صفة لن تستطيع العثور عليها في « رجل ارسطو الماني » مهما يجهدك البحث . ان غرض نيتشه يختلف اختلافاً شاسعاً عن غرض المعلمين المسيحيين . فهو يربي « للقوة » وهم يربون « للمحبة »

ثم ان الألمان والاطاليين واليابانيين يرون في كل طالب جندياً يناضل في سبيل « الوطن » والأميركيين يطالبون « النجاح العملي » والانكليز الدقة في تأدية الواجب على حساب الذكاء . حتى اذا اتفق الباحثون على العناصر التي يجب ان يشتمل عليها الخلق الكامل اختلفوا في نسبة هذه العناصر بعضها الى بعض : فالواحد يقدم الشجاعة والاقدام على الحرص . والثاني يطنب في القوة العقلية . والثالث يضع الدعة واللطف في المقام الأول . والرابع يضع الواجب نحو الامة امام الواجب نحو الذات . فعليتنا ان نعرف الغرض الذي نرمي



اليه معرفة واضحة الحدود والمعالم لكي تتمكن من السعي الى تحقيقه سعيًا مجدياً  
كان النشاط العقلي والجسدي اظهر الصفات في رجل اليونان الامثل . وكان المثل الجسدي  
والتفكير الذي تغلب عليه صفة التأمل الهادي اظهر الصفات في رجل الصين الامثل . فكان  
السياسي اليوناني اذا غلب على امره في بدم وطرد منه لا ينزل على حكم الدهر عليه .  
بل يترجم حفنة من المشردين امثاله فيصلي الجماعة التي اذلت وطردته نار الحرب . اما المثقفون  
الصينيون فكانوا اميل الى التأمل والتشكيك والى التمتع بمجالي الجمال تمتعاً هادئاً . وكان موظفهم  
اذا طرد من منصبه ينطلق الى عزلة على قمة جبل لينظم اشعاراً في مسررات الحياة القروية  
فالتعليم الصيني انتج «استقراراً» ولعل هذا ما ينتظر من تعليم قائم على الريبة والشك .  
اما التعليم اليوناني فانتج نحواً وحرراً لان المعتقدات التي نعتقد صحتها بكل جوارحنا ونؤيدها  
بكل قواها لا نحملها على الاستقرار بل تدفعنا الى الكفاح في سبيلها . لذلك قضت الحضارة  
اليونانية على نفسها بايدي ابنائها . اما الحضارة الصينية فاستقرت على ما هي عليه آلاف السنين  
ولا تزال تنتظر من يقضي عليها من الغرب او من ابنائها المثقفين باساليب الغرب

وكان التعليم اليوناني جرثومة الحضارة الغربية الحديثة حملها العرب بعدما تمدهوها بكل  
اساليب العناية والنماء . حتى اتصلت اخيراً باليابان — جارة الصين — فجعلها اليابانيون اساساً لتنهضهم  
الحديثة . ولكنهم جعلوا «المجد القومي» غرضاً لهذا التعليم الدينامي فاختصوا كل قوى  
التلميذ العقلية والجسدية لتمجيد الميكادو وتعظيم الوطن والاستماتة في سبيله

وكلا الموقفين — اي كلا التعليمين — تعليم الصينيين في الطرف الواحد — وتعليم  
اليابانيين في الطرف الآخر خطر على العمران . فالاول كان يتمادى في التشكيك والريبة حتى  
يفضاه الى الجمود . والثاني يتمادى في التحكم والايما بتحكمه وقوته حتى يصبح ابناً وهماً  
كالقنابل المنطلقة . اما والارتقاء المتزن هو غرض الحياة الاسمي فالتلاميذ في التشكيك  
المفضي الى الجمود لا يجدي نفعاً في ميدانها . اما وقد اصبح العمران — بفضل العلم  
والصناعة — معقد التركيب محكم الترابط دقيق الاحساس ، فالتلاميذ في التحكم الذي يجعل  
الثورة والحرب سبيل الارتقاء الوحيد ، مبعث خطر يهدد الحضارة بالانقراض

ان غرض التعليم ايها السادة يجب ان يكون: «الايما بان الحصول على المعرفة مستطاع  
الى حد ما ، ولكن بصعوبة كل الصعوبة . وان جانباً كبيراً مما نعرفه او نحسبه معرفة يتحمل  
ان يكون خاطئاً . وان هذه الاخطاء تصحح بالاختبار والامتحان — كذلك علينا ان نعلم  
المتعلم انه حين ينطلق في عمله اليومي لتحقيق رغبته — يجب ان يكون بالغ الحذر حيث  
يحتمل ان يكون الخطأ الضئيل باعثاً على ضرر كبير . ومع ذلك لا بد من ان تكون رغبنا



وغرائزنا — اساساً لكل اعمالنا . وهذه الحالة العقلية — حالة الحذر الدائم واليقظة المستمرة لحفظ التوازن بين ما تقضي به رغائبنا وما يملئ عقلنا — حالة دقيقة كل الدقة . انها تحتاج الى اعظم جانب من الثقافة العقلية والرياضة النفسية — ولكنها على دقتها غير متعذرة على من يرضى ان يبذل في سبيلها جهداً خالصاً . هي في الواقع الطريقة العلمية بل هي صميم الطابع العلمي . ان المعرفة — ككل الامور الطيبة في الحياة — صعبة المثال ولكن منالها ممكن . اما المتحكم فينسى الصعوبة . وأما المشكك فينكر الامكان »

\*\*\*

من سديم الحياة الاقطاعية في القرون الوسطى ، وبفعل الثورة الفرنسية والثورة الصناعية نشأت اكثر الدول الاوربية الحديثة وتميزت حدودها وانفصلت ثقافتها . وانك اذا رجعت الى الصفات التي تمتاز بها هذه الدول الجديدة عن أمم العالم القديم رأيت الشعور القومي — سواء في السياسة او في الثقافة — اظهرها مكاناً وابعدها أثراً

اما « القومية » ايها السادة فاسبابها والبواعث عليها بعيدة الخور في الطبيعة البشرية . فالانسان بطبعه ميال الى الخوف من كل غريب عنه ويسعى الى اذيتة اذا استطاع مبادرة ان يؤذى هو اولاً . وهو كذلك اجتماعي ولكنه يؤثر الطوائف الصغيرة لان غيرته من كل فرد خارج عن تلك الطائفة وخوفه منه — وخصوصاً اذا كان ذلك « الخارج » يختلف لوناً او لغة او قامة — فطرة فيه لا تزال عالقة بنفسه من ايام التناحر على البقاء الاولى

هذا هو منشأ « القومية » التي يرجع اليها جانب كبير من تاريخ النزاع بين الامم في القرن التاسع عشر والقرن العشرين . ولكن بدلاً من ان يعتمد المفكرون والمعلمون والفلاسفة الى صقل هذه الميول وتقيفها واخضاعها لاحكام العقل اي بدلاً من ان يحاولوا طبع التعليم بالطابع العلمي الذي اشرت اليه عمدوا الى استنارتها بكل فنون الاثارة الشعرية والنثرية

زل المفكر من برجه العاجي المنيف الذي كان يقطنه في القرون الوسطى وشق له طريقاً في ميدان العامة ، واحتلط بهم ، فالتهب في صدره الشهوات التي تلهب في صدورهم فاستعمل قدرته العقلية في استنباط العلل التاريخية والفلسفية لتسويغ هذه الشهوات وتبريرها فخلع عليها ثوباً زاهياً من المنطق الخلاب والفلسفة الاخاذة ، والمجد المثير سائراً وراء الجمهور بدلاً من ان يقوده ، خائناً بذلك الامانة التي في عنقه ، امانة الترفع عن امور الدنيا والارشاد الى مواطن المثل العليا . ففي انكلترا ينادي كبلنغ الشعوب البيضاء « احملوا حمل الرجل الابيض » أي خذوا على عاتقكم تمدين الشعوب غير البيضاء — اي استعمروها ! وفي اميركا تختزع الفلاسفة العملية التي تحدد العمل الادبي السامي بالعمل الذي يمكننا من الفوز في ميدان



التناحر في بيئة معادية . وفي ألمانيا ينادي شوبنهاور ان الجانب من جوانب النفس الذي يقرّر ما هو « الصالح » انما هو « ارادة الحياة » ويدعوه نيتشه « ارادة السيطرة » . ويتفقون جميعاً على ان « ادبية » كل عمل تقاس بمقياس صلاحه لقضاء المأرب منه ، وان الآداب الوحيدة هي الآداب التي تناسب مقتضى الحال

اتعجبون اذاً من ان يقوم في مجتمع هؤلاء رواد الفكر بون زراع على التوسع والسيطرة تدعمه حجج تاريخية وفلسفية وبيولوجية ؟ اتعجبون اذ ترون روح الوطنية يلهب بكل وسائل التعليم والنشر حتى يكتسح صدور الناس وحتى تصبح اوربا وكأنها على فوهة بركان يتحضر الثوران ! اتعجبون من قيام طبقات الشعوب بعضها على بعضها في سبيل « ارادة الحياة » ! لقد اصبح الرجل لا يقتنع بان شرف وطنه في حفظ ملكه او برلمانه . انه تعلم ان يشعر ان واجبه يحتم عليه ان يدافع دون قومه وان المجد كل المجد في ذلك وان العار كل العار في التواني عنه . واذا الانكليزي يقول ان الله تجلى اولاً للامة الانكليزية . واذا غليوم يعتقد ويصرح « ان لمانيا مكانة خاصة في عقل العزة الالهية » . واذا ماثرني ينادي بان « ايطاليا دين » . واذا الشعور القومي يتسم بسمه العقيدة الروحية . واذا الحرب لا تنشب بين جيشين مرتزقين ولكنها نزاع وتناحر بين الامم والحضارات !

ايها السادة : اني اؤمن بالوطنية والقومية . اني اؤمن بان ارجلنا يجب ان تغرس في بلادنا وتستمد عصور الحياة من ثراها . ولكنني اؤمن كذلك بالانسانية . اؤمن بان اعينا الروحية يجب ان ترتفع حتى تستشرف العالم . والمعلم الحكيم في نظري ، سواء كان مدرساً او صحافياً او خطيباً او مؤلفاً او واعظاً ، هو من يصقل العواطف الحياشة التي تجري في صدور مواطنيه من غير ان يتمعها ؟ هو من يمنح مواطنيه عيونا عقلية يرون بها ان عواطف الامم الاخرى وتقاليدها ليست مناقضة لعواطفهم وتقاليدهم . لا مندوحة عن استمرار الفروق الشعبية القائمة على الوراثة والبيئة وامّا ما بني فوق هذه الفروق بيد التعصب والجهل فيجب ان يندثر . ومهمة المعلم ان يدرسه . وغرض التعليم القويم ان يقوّض اركانه . ان في عالم الروح مستوى ، اذا بلغت الشعوب عاشت فيه عيشة اخاء ووثام . فوق هذا المستوى تحتفظ كل امة بمقومات شخصيتها . ولكنها تدرك اذ ذاك ان هذه المقومات ، وان اختلفت عن مقومات الامم الاخرى ، لا تناقضها . لان الاختلاف في ميدان العلم الصحيح مقبول ولكن التناقض ممنوع . ان للارواح السامية مقامين : وطنها الارضي والمدنية العليا . في الاول نحن ضيوف على رحيل . واما الثانية فنحن بناؤها . فلا الاسرة تقدّم على الروح ولا الوطن . الروح هو النور . فانرفعه فوق الاعاصير . ولنمزق السحب التي تمشاه



ولنبن مدينته شاحخة منيرة تتراجع الاحقاد عن جدرانها  
 فانا ازعم ايها السيدات والسادة ان تعليماً غرضه احكام التوازن بين احكام العقل ونوازع  
 النفس طريق — على وعورته — ممد للسمو في نفس الفتى، وللسلام بين طوائف الامة، وبين  
 امم الارض جمعاء . بل اني ازعم ان هذه الحضارة التي تنعم بحسناتها الكثيرة — وان كنا  
 لا نتغفر لها بعض سيئاتها — تستهدف الى خطرين عظيمين : كلٌّ منهما يستطيع القضاء عليها،  
 اذا لم نعدم الى تطبيع نفوسنا ونفوس ابنائنا بهذا الطابع العلمي  
 اما الخطر الاول فهو حرب طاحنة لا تبق ولا تذر ، تكون البواعث عليها  
 رغبة في الدفاع عن شرف الوطن يتغنى بها الشعراء وتمهيد الطريق لتوسعه وسيطرته ينادي  
 به السياسيون ، وفوز في ميدان التنازع على البقاء يذهب اليه الفلاسفة  
 وقد غاب عنهم ايها السادة ان المستنبطات العلمية الحديثة قد ربطت بين شعوب الارض  
 حتى صارت وكأنها امة واحدة . فالفاظ التوسع والتنازع والسيطرة يجب ألا تكون في  
 قاموسهم . ان الفاجعة التي تحدث في القطب الشمالي اصبحت بفضل الخطابات اللاسلكية  
 وكأنها حادثة في بابي . فانا اجزع مع زوجة الرائد وابنته لما يحفُّ به من الخطر . وانا  
 اجلُّ شجاعته واقدامه في اقتحام عناصر الطبيعة جباً بالكشف عن مجهول فيها . وهذا  
 الجزع من جهة والاجلال من جهة اخرى قوة توحد بين عقولنا ونفوسنا لحظة من  
 الزمان فترتفع على أجنحتهم محلقيْن فوق حدود البلدان وفروق الاجناس  
 لقد غاب عنهم ان ايجاد الروح ، وانتصارات العقل ، أعظم شأنًا وانبل قصداً من  
 ايجاد القوَّاد وبطولة الاجناد

لقد غاب عنهم ان المؤمنين بالعلم والحارين على احكامه ، والمتفعين بآثاره، اخوة عالمية  
 عظيمة تعيش على مستوى أعلى وأنبل من مستوى الشرف الوطني الخاص والتوسع القومي الخاص  
 والسيطرة الثقافية الخاصة — ألا وهو مستوى الشرف الانساني والتوسع الانساني والثقافة العامة  
 اتحت لي ايها السادة زيارة ردهة المجد النيويوركية من بضع سنوات فوجدت فيها  
 انصافاً لا كثر من ستين اميريكياً لم أجد بينها الا انصاب ثلاثة من القوَّاد ! وقد  
 كانت أمنيقي — ولا تزال — ان استيقظ كل يوم لأرى عدد العلماء والمستنبطين في الارض  
 وقد اربى على عدد القواد ! لأنه اذا لم يقض العلم على الحرب قضت الحرب على العمران

\*\*\*

أما الخطر الثاني فهو استهداف العصر الى افلاس روحي أعظم خطراً على مصير العمران  
 من شوب نيران الحروب بل يكون هو مبعث الحروب ومذكيها



واظهر مظاهره هذا التخلف المؤيد بالارقام عن حضور الاجتماعات الروحية وعدم المبالاة بنواهي الدين الأدبية والاقرار بالعجز عن الوصول الى عقيدة مطمئن اليها النفس، وجعل الآلة السريعة معبوداً يصلى له ويسجد، واهمال المثل الروحية العليا واستبدالها بما يكفي الشهوات العارضة واستنباط فلسفات لتحل محل الدين . وكل ما يقال فيها انها فلسفات ولعل هذا التقلقل في مقام الدين ناجم الى حد بعيد عن طول النزاع بين العلم والدين على أموري من اختصاص الاول دون الثاني . فلما فاز العلم في اثباتها على نحو معين ضعف مقام الدين في عقول الذين يظنون خطأ ان ما نقض هو الدين في ذاته — مع ان المنقوض انما هو علم قديم حل محله علم جديد ، كما حل علم اليوم محل علم الأمس وكما ينتظر أن يحل علم الغد محل علم اليوم . أما الدين فان في صميمه شيئاً خالداً مستقلاً عن تطور المعرفة الانسانية . ليثبت علم الهيئة أن الأرض ليست مركز الكون . وليثبت علم الحياة ان الانسان ليس سيّد المخلوقات . وليثبت علم النفس الجديد ان مصدر الوعي الانساني وملاساته انما هو تيارات العقل الباطن المكبوتة . ليثبتوا ذلك كله فلا يضير هذا الاثبات الدين في شيء . بل ان تسليم رجال الدين بهذه الحقائق ، وهم يجلون لنا في مرآتهم العلوية صورة المثل الروحي الاعلى ، يجعل الاساس الذي نستمد منه تعاليم الانبياء أساساً معقولاً يغضب الاقناع غصباً

فأنا أزعّم أيها السادة ان التعليم الذي غرضه ترسيخ النزعة العلمية في عقول الطلاب يقترب بهم جدّاً الاقتراب من صميم الدين — من المثل الروحي الاعلى . قد يكون الافلاس الروحي فاشياً بين معظم طبقات الناس ولكني لا أرى أثراً له بين طائفة العلماء المحققين . ألم تروا الى مِلِكَن يقول : حددوا «المادة» وأنا اتكفل بتحديد «الروح» . هذا العالم الطبيعي الذي قاس مقدار الشحنة الكهربائية على الالكترود والذي اكتشف اشعة تفوق اشعة اكس مئات الاضعاف في قوة اختراقها للمواد يعترف في دعة صحيحة انه لا يدري ما هي المادة . ومِلِكَن في نظريته هدم يمثل طائفة كبيرة من علماء العصر

أما كان صميم الدين ولا يزال علاقة الانسان بربه من جهة وعلاقته بغيره من جهة أخرى ؟ وهل في الكون نظرة ابث على الجلال والاحترام للخالق المبدع من نظرة العالم الذي يدرك شيئاً من أسرار الكون ويدرك قصر ادراكه هذا . أما صفات المتطبع بالطبع العلمي فهي الصفات الروحية المثلى : الصبر والصدق والانصاف والاخوة . ايفخر الانسان بقوته فدرس ساعة واحد من علم الفلك يقنعه بضعفه . ايتقن قدرته ؟ علمه الكيمياء والطبيعة والطب والهندسة ! أيحسب نفسه سيّداً يتيه على اخوانه كبراً فالتطبع العلمي يعلمه ان الانسان



وحضاراته تزول وأما البحث عن الحق الخالد فعمل ابدي أزلي. فإذا كان روح الحق صميم الدين فرجال العلم اليوم رجال متدينون حقاً. والا كباب على البحث العلمي المجرّد حبّاً بالكشف عن الحقيقة هو الظاهرة الروحية العصرية التي تقابل التقشف الديني في العصور الوسطى !

\*\*\*

أبالعلم تحاول أن تبديد الحرب والعلم نفسه يُبعثها ويغذيها ويصب على نارها زيتاً فيزيدها اشتعلاً واضطراباً! أبالعلم تحاول أن تبديد الحرب، والعلم يمدّ رجالها بالمدافع، والدبابات، والغازات، والغواصات، والطائرات؟ أبالعلم تريد أن تحلّ مشاكل الإنسانية والعلم يضع في أيدي أبنائه قوى تجعلهم في قوة الآلهة وخسة الشياطين؟ أبالعلم تحاول أن تدفع الافلاس الروحي والعلم يبعث في النفوس الشك ولا يعترف بيقين الا يقين الحواس؟ أبالعلم تحاول أن تزيل المادية والحضارة الصناعية العلمية جذورها مادة وجذوعها مادة وفروعها مادة منطلقة في الفضاء! قلب صفحات الحرب الكبرى! فكل الآلات التي استطاع العقل العلمي إبداعها استعملت لغرض واحد هو التدمير والتقتيل. وفي مئات المعامل العلمية والمصانع ومجالس البحث الطبيعي والكياوي أكب العلماء على اخضاع القوى لاطلاقها تدمر وتميت. عشرة ملايين من الجنود قتلوا في ميدانها. وثلاثة عشر مليوناً من السكان. وعشرون مليوناً من الجرحى. وثلاثة ملايين من الاسرى. وتسعة ملايين من الايتام. وخمسة ملايين من الارامل. وعشرة ملايين من المشرّدين. هذا هو علمك احتفظ به. فانه بلاء على الإنسانية لادواء! لا دواء! هكذا يقول المعترضون!

أما القول بان العلم يبعث الحرب ويغذيها فخطأ في التفكير. العلم لا ينظر الى الحرب ولا الى السلم. فهو يعطينا بيد الاسلحة وييدأخرى المفرقات. يجهزنا من ناحية باسعة اكرس ووسائل الجراحة والتخدرات الطبية ومن ناحية اخرى بالمدافع الرشاشة والغاز الخانق والمغيات. ولكن ما يجهزنا به العلم لما ياتي السلمية يفوق اضعاف اضعاف ما يجهزنا به للافعال الحربية. المفرقات تستعمل في الحرب للهدم والقتل ولكنها تستعمل في السلم في مئات المطالب العمرانية من حفر الانفاق الى شق الترع الى فتح المحاجر. والفولاذ لا يحصر استعماله في صنع الاسنة والرماح بل هو يستعمل ايضاً في صنع المحارث والخطوط الحديدية والسيارات والحصادات ومئات الادوات اللازمة في الصناعة والزراعة. فالعلم بحدّ نفسه لا يخدم اله الحرب دون اله السلم، وانما يعود هذا الفرق الى نفوسنا، وشهواتها، واغراضها الادبية السر هنا معروف واعراض الداء مكشوفة: ان قوة الانسان قد سبقت حكته في احكام استعمالها. والواقع ان العلم لم يغيّر رغبات الانسان وانما مهّد له طريق تنفيذها.



وهنا مكان التعليم الذي اقول به . قد لا يجمع هذا التعليم رغبات الانسان وشهواته ونحن لا نريد ان نقمعها - ولكنه يصقلها - انه يخضعها لنواهي العقل - انه يحكم الاتزان بين ما تقضي به وبين ما يميله العقل . وهذه هي الحكمة . فاذا كانت هذه الحكمة وليدة التعليم . فارتقاء العلم وتعدد المستنبطات لا يكون الا خيراً . والواقع اننا لا نستطيع ان نسير بالحضارة الى اغراضها العليا من دون العلم . ان له من الوجهة العقلية لذة لا تصدف عنها بسهولة بعد تذوقها . ومن الوجهة العملية غداً ضرورياً لكل اسباب العمل والراحة . والحق يقال اننا قد وصلنا الى حالة لا تستطيع معها شعوب الدنيا ان تحتفظ بمستواها المعاشي الا بترقية العلم وتوسيع نطاقه . ولكن مع هذا يجب ان يسير التعليم المطبوع بالطابع العلمي الذي يولد الحكمة في النفوس ويقيها من نزغات الشيطان

أما القائلون بأن الحضارة العلمية الصناعية حضارة مادية فيخطئون أيضاً

إن أساس الحضارة الغربية أساس روحاني : لقد اعترف كنفوشيوس حكيم الصين — وجاراه في ذلك طائفة كبيرة من الفلاسفة — بأن أدوات الحضارة لها أصل روحي . لأن الفكر مصدرها كلها . فانا لا أرى ان صورة زيتية من تصوير روافيل مادية اكثر من لحن أبدعه يتهوون . أنا لا أرى ان سيارة صنعها فورد مادية اكثر من قصيدة نظمها شلي . أنا لا أرى ان ناطحة ولورث مادية اكثر من الهرم الكبير أو كنيسة نوتردام . أنا لا أرى مكتشفات مندلي في الوراثة مادية أكثر من مؤلفات كانت . انها كلها أدوات لازمة للحضارة وقد أبدعها الذكاء البشري متصرفاً بالمادة والقوة تحقيقاً لحاجة من حاجات المعاش او تلبية لدافع داخلي يدفعه لتمثيل المثل الاسمي أو لا كفاء ميله الى البحث والتنقيب . لقد أله الاقدمون بروميتيوس لانه أخذ النار من الآلهة ومنحها للبشر وقدموس لانه استنبط الكتابة . ألهموها لانهما يمثلان تلك الشعلة الالهية في الانسان شعلة العقل المبدع الذي يستنبط الآلات والادوات ويبني بها العمران . اذن اين نضع علماءنا ومستنبطينا من غليليو الى نيوتن الى واط الى مورس الى بل الى اديسن الى ماركوني الى فورد . ولماذا نقول ان هؤلاء رواد عصر مادي وان بروميتيوس وقدموس الهان ؟ !

ثم ان طريقة الحضارة العلمية الصناعية هي طريقة روحانية . فالعلم ينقف العقول فيدنياها من القدس الاعلى لانه يجهزها بوسائل للبحث عن الحق الخفي . وهو كذلك يعلمنا الا نقط حين نحقق بنا المصاعب . لان العلم لا يتقدم الا بالبحث الدقيق والصبر الجميل والتغلب على المصاعب . وكل خطوة يخطوها العالم الى الامام توقظ فيه ذلك الجبور الروحي الذي كان ينسب الى الحكماء الاقدمين حين تجلي الآلهة لهم . واكثر عناصر العلم روحانية هو هذه الريبة في



كل شيء قبل تصديقه وهذه الشجاعة الادبية على الرية قبل توافر الادلة على صحته. ولكنها رية مبدعة لا تنتهي عند نفسها بل هي خطوة مباركة في سبيل الاكتشاف والاستنباط والبناء<sup>(١)</sup> ثم ان غرض الحضارة العلمية غرض روحاني . هو تحرير الناس من ربة الاستعباد للقوى الطبيعية لان تقدم العلوم وما يبنى عليه من المخترعات والمستبطنات يوفر للجسم الراحة والرفاهة فيتحرر العقل وتتسع امام النفس آفاق المعرفة والفهم . ولكن اذا لم يبلغ الناس درجة من الحكمة تعلمهم كيف يقضون اوقات الفراغ، فالخوف كل الخوف عليهم أن يكون نصيبهم الضجر الذي لا يكون الا نصيب الغني الخامل أو المنغمس في الشهوات بعد السكال كل انسان يتعلم تعليمين : الاول يعلمنا كيف نرزق . والثاني يعلمنا كيف نعيش . وهذان الغرضان لا يلتبسان في عقل الرجل المتقف تنقيفاً صحيحاً . كل منا — او اكثرنا على الاقل — يهمل ان يرزق . وقد كان الناس في الزمن السابق يرزقون في الحقل والدكان او بالرياضة والتمرين في مخزن تاجر او مكتب محام او عيادة طبيب . اما وقد اتسع نطاق العلم وتعددت مطالب الحياة وتعقدت اساليبها فصرنا نفضل ان نختصر الطريق بالذهاب الى المدرسة او الكلية لتعلم في بضع سنوات عملاً معيناً او حرفة خاصة . ولكن هذا يجب ألا يحجب عن بصيرتنا اننا بهذا نتعلم حرفة او تجارة . هذا هو التعليم الاول . وهو غير التعليم الذي لا بد منه لنعرف كيف نعيش متى كفلنا اسباب الارتزاق الذي لا مندوحة عنه لكي نستمد من الحياة اطيب اطيبها . والتعليم المطبوع بالطابع العلمي يمهّد لنا السبيل الى ذلك ولو شغل الحياة بطولها . بل لا بد له من ان يشغل الحياة بطولها . لاننا قررنا في وصف غرض التعليم : ان الحصول على المعرفة مستطاع الى حد ما ولكن بصعوبة كل الصعوبة . وان جانباً مما نعرفه او نحسبه معرفة يحتمل ان يكون خاطئاً . وان هذه الاخطاء تصحح بالاختبار والامتحان . الا يشغل كل هذا الحياة بطولها ؟ !

ايها السادة : لقد أبدعت الثورة الصناعية والثورة الفرنسية العجائب في عمراتنا الحديث . انهما فتحتا أمام كل الطبقات في كل الشعوب ابواباً جديدة للعيش . وجعلتا الديمقراطية مثل الامم الاعلى . وحوّلنا الوطنية الى قوة عنيفة تكتسح صدور الشعوب فالتطبع بالطابع العلمي في شعبتيه الاولى والثانية — لامندوحة عنه لسير الديمقراطية السياسية سيراً مرضياً . ولانشاء القومية الرشيدة التي تؤيد السلام . ولاعداد النفوس لاتقان وسائل الثورة الصناعية وتوسيع نطاقها والتمتع بفوائدها الروحية . هذا التعليم يمهّد للاجيال المقبلة سبيل التفكير الصحيح ، والعمل المثمر ، والاخاء العام

(١) هذا الرأي في الحضارة الغربية هو رأي الحكيم الصيني المعاصر هو شيه





## هل في النشوء ارتقاء

عند اصحاب علم الجماعة

طال البحث في الارتقاء زماناً ولكنه لم ينزل منزلة البحث العلمي الاً لقرن مضى .  
على انك ترى اصحاب علم الكلام يقفون حتى اليوم من نظرية النشوء موقف المتصورين المستحضرين  
فلا يأتون شيئاً سوى آراء افلاطونية يفرغونها بعد طول مشقة في قالب كأنك به جديد،  
على حين ان اصحاب علم الجماعة ينهجون منهجاً علمياً اذ ينطلقون من المجهول الى المعلوم  
ومن الحسن الى الادراك اي من التجربة الى التأويل فتراهم يحملون الرقي تحليلاً أو يسعون  
في الامر واليك بعض مذاهبهم بل أجلها شأناً

### (١) كونت

ان ( كونت ) يعتمد على مبدئه هذا : ان الانسانية مطردة الرقي في الزمان اي أنها  
تتوق الى كمال في طبيعتها والسبب في ذلك سعي المرء في تحسين حاله كائنه ما كانت  
ثم جعل كونت بعد البحث التاريخي يفتش عن نظام هذا الرقي فثبت عنده أن لهذا  
النظام ثلاث حلقات متسلسلة . فالحلقة الاولى عهد الدين والحلقة الثانية عهد ما وراء الطبيعة  
والحلقة الثالثة عهد الفلسفة الوضعية

ثم استنتج كونت من هذا النظام اصلين اولهما : ان الانسان لا حياة له بنفسه فهو  
للجماعة ومنها وما الجماعة الا « الموجود الاكبر » . وثانيهما : ان الانسانية ترقى بتتابع المراتب  
بمقتضى علاقة سببية فيما بينها خالية من غاية فوق العقل

### (٢)

لا اثر للفكر في تكوين الجماعات فشأن الاحياء اذ تتطور بحسب خطة مرسومة  
من قبل وها هي تحولت من البسيط الى المركب ومن المتجانس الى غير المتجانس ومن  
غير المحدود الى المحدود

ثم ان الناس كانوا في بادئ الامر تباع غرائز لا عقول ، فلم يقع في امكانهم ان  
يوفقوا عمداً بين نزعاتهم وبين شرائط الحياة . والحرب التي مهدت هذا التوفيق ثم مكنته

(١) Comte. — Cours de Philosophie Positive

(٢) Spencer — Sociology



بالوراثة . والذي بعث الحرب ميل الرجل الأولي الى الغنمة وسروره بالظفر . وما لبث ان صيرت العاطفة الدينية اتقاء الاحياء اتقاء اموات  
وقد انقضى شأن الحرب عند ما برزت الصناعة . فانصرفت الجماعات من حال حربي الى حال صناعي ولكنها لم تزل حرية فعلاً والبرهان على ذلك ما نشاهد اليوم  
وأما المبدأ الذي يستند اليه سبنسر لاجل تنظيم مذهبه فإقامة فكرة الجماعة على التعاون .  
ففي الجماعات الحرية تعاون اندفاعي وفي الجماعات الصناعية تعاون يرمي الى غاية مقدرة .  
ثم ان اس التعاون والمحاولة فيمكنه راجعان في عرف سبنسر الى سعي الانسان وراء السعادة

(١)  
ريشار

إن ريشار ينقد سبنسر فيقول ان الجماعات الاولى غير حرية . فهذه مصر قبل ملوك الرعاة وهذه الصين واليابان ألم يكن الدين فيها اعظم شأناً من الحرب ؟ واما استنباط الدين من الحرب اي الانتقال من اتقاء الاحياء الى اتقاء الاموات فامر مرتاب فيه  
ومن نقد ريشار ان الحرب نتيجة لا علة وانها مظهر جماعي (٢) لا فردي  
على ان ريشار لا ينكر الرقي فان الانسانية عنده تتصرف عن الغريزة الى الفكرة  
ثم بتدريج حاجات تناقض شرائط الحياة فيحدث التناقض ثورات وفي الثورات تقدم .  
ولكن هذا الرقي غير مطرد فربما جمد بل تأخر واسباب التأخر اسباب الرقي نفسها  
ومنها عامل البيئة والعمل التعاوني والتبادل والجنس والزمان والمكان .... ألم ينبثا (كارل  
ماركس) بلبوس المدنية الحديثة شيوعية القبائل المتوحشة ؟ ومن السهل ان نلتبس هذا  
التأخر في القانون العام والقانون الدستوري وقانون العقوبات . واليك مثلاً ان الاسرة  
الانجليزية الحديثة بعض الشبه بالاسرة الابوية في عهد الرومان غير انها لما انتقلت الى امريكا  
وجعلت تسترق وتضم الرقاب اليهاضم الاقارب أصبحت صورة صادقة للاسرة الابوية الرومانية  
ومن الرقي ما يجلب التأخر من ناحية اخرى . ومثل هذا مثل التخصص في  
البيولوجيا (٣) : أفلا تنظر الى التقدم الصناعي وما يجبر من اضطراب في الاخلاق لتعلق  
الناس بالمادة ولا نصرافهم عن الدين ولحرجهم على التقاليد ولا استعدادهم للجنون ، او من

Richard — l'Idée d'évolution dans la nature et dans l'histoire. (١)

ريشار استاذ علم الجماعة في جامعة ذات شأن من جامعات فرنسا وله مذهب غير مذهب المدرسة  
الفرنساوية التي تقتفي اثر «دركيم» وتعمل بتعاليمه من دون ان تخرج عنها الخروج البسيط

(٢) جماعي بفتح الجيم نسبة الى الجماعة Sociologique

(٣) راجع مقتطف شهر مارس الماضي صفحة ٢٤١ — ٢٤٧



اضطراب في الهيئة الاجتماعية من جراء ازمة وبطالة عمال واهمال الزراعة وتكاثر عدد الحضر واستخدام الاطفال والنساء

### دركيم<sup>(١)</sup>

بدأ دركيم بنقد كونت وسبنسر من حيث المنهج العلمي فأخذ عليهما جميعاً موقفهما الذاتي لأنَّ شؤن الجماعة في نظرهم « اشياء » اي امور تعرض للفيلسوف فيراها بعين مجردة ثم يمتنع أن يتساءل عنها فهي التي تنبؤه عن نفسها

فلقد اخطأ كونت حينما ظنَّ ان الانسانية اصلها شجرة واحدة ثم تفرعت . ولقد اخطأ سبنسر حينما جعل الجماعة قائمة على التعاون لأنهما نسباً اليها ما حدثتهما به نفوسهما اذ تصورا الانسانية تصوراً وتخيلاً طريقاً لها مرسوماً ثم ارادا ان يطبقا ما وُفقا اليه على مظاهر الحياة طوال التاريخ ليثبتا اقوالهما ويصبغاها بصبغة علمية . ولكنهما اغتصبا التاريخ في الواقع . فهذا كونت سلسل المراتب بعضها من بعض وهو لا يدري ان الزمان غير مطرد فلربما هيأت حال حالاً من دون ان تستوجبها لأن الانسانية تجمع جماعات متباينة لا صلة لبعضها ببعض في الغالب فهي كشجرة تنمو اغصانها في اشكال شتى وتنتج مناخي مختلفة . . . وهذا سبنسر جعل قوام الجماعة التعاون الاجباري حيناً والاختياري حيناً آخر . ولكن الامر مختلف يتعذر علينا ان نحققه بمجرد البحث النفسي بل الامر مخالف للاسلوب العلمي لأنه لم يستنتج من درس ضمِّ الجماعات كلها وعارض بعضها ببعض واطمان نهائياً الى ان التعاون قوام الجماعة . فتجديد الجماعة بمثل هذا انما تحديد صادر من بين دفتي عقل سبنسر ليس الا

ولقد اخطأ الرجلان في علل الارتقاء من بعد ما اخطأ في مظاهره بل خلطا العلل بالغايات حيث ذهبوا الى سعي الانسان وراء السعادة او وراء تحسين حاله . بيد ان العلم لا يفسر مظهر أمن المظاهر بالغاية التي يرمي اليها وانما بالباعث الذي يدفعه فان منفعة الامر غير وجوده والوقوف على المنفعة غير التنقيب عن اصل الامر . ثم ان حاجتنا الى المصل لا تشرح لنا من اين جاء المصل وكيف تطور وهذه القاعدة من قواعد البيولوجيا ونصها ان العضو منفصل عن الغاية ولكن دركيم نفسه لم يقف عند هذا الحد فانه اعترف في بعض مصنفاته ان العالم خرج من الحيوانية الى الانسانية ومن دائرة الحركة الى دائرة التفكير وان ميزة العصور

(1) Durkheim -- Division du travail social. Règles de la methode sociologique.  
امادركيم فيلسوف فرنسوي ولد في الفوج سنة ١٨٥٨ ودرس في دار المعلمين العليا على بونترود سنة ١٨٨٧ تولى منصب استاذ علم الجماعات في بوردو ولبت فيها خمس سنوات ثم نقل الى جامعة باريس



الاولية تعاون قائم على تشابه بين الأفراد (solidarité Mécanique) حالة ان ميزة العصور الحديثة تعاون قائم على تباين بين الافراد (solidarité organique). ولكنه لم يعترف قط ان الرقي هو المدنية او التفكير او تباين بين الافراد بل عرض ما وُفق اليه في بحثه وفي ذلك تأييد لمذهبه الذي بسطته لك وهو الفحص عن ظواهر الحياة من دون استعداد رأي ثم عرضها من دون تعليق عليها الا اذا ثبت البحث من جميع النواحي فبلغ بالباحث الى نتيجة لاسبيل عنها ولا ريب فيها

ومن الغريب ان منهج دركيم مستمد من فلسفة كونت . فلكونت الفضل في اثبات علم الجماعة وابعاده علماً وضعياً مرتبطاً بالتاريخ ارتباطاً وثيقاً . ثم انه صرح قبل دركيم ان الشؤون الاجتماعية « اشياء » ليس للفيلسوف ان يؤوّلها بل عليه ان يتناولها على علاتها ولكنه بعد اذ فرغ من وضع هذا المنهج شرع في تطبيقه على بحثه فخالف منهجه بحثه اذ جعل موضوعه افكاراً لا ظواهر

\*\*\*

وختاماً هل يصح لنا ان نطمئن الى الارتقاء وان نقول مع سبنسر انه مطرد وأن له درجات وعلامات ؟

على ان سبنسر في ما رأيت قد اعتمد على مذهب داروين ذلك ان الاحياء تمضي من حال (ا) حتى حال (ي) مضياً محتموماً لا تسكّب فيه ، ان تنازع الاحياء تطوّر بها تطوراً عظيماً وحملها على التوفيق بين نزعاتها وبيئتها . الا عدداً من علماء البيولوجيا يصدون عن هذا المذهب ولا يرتاحون الا الى بعضه اذ التطور في عرفت غير مطرد ، تارة قُدماً وتارة خلفاً

وصحيح القول ان الرقي مع وجوده مجهول الظواهر والاعراض صعب التحديد . فمن ذا الذي يستطيع ان يقول ان مذهب الشيوعية ولما تتم ظواهره تأخر ومن ذا الذي يستطيع ان يقول ان التربية المشتركة بين الصبيان والفتيات ولما تعم تقدم ذلك لان مرجع كل هذا الرأي الذاتي والرأي الذاتي بعيد عن العلم . على انك ترى بعد مذهب دركيم وقفة علم الجماعة الحديث اذ يأبى الا ان يستنطق ظواهر الحياة من بعد ان ينطلق في البحث عنها ويتثبت من نواحيها ويعارض بعضها ببعض زماناً ومكاناً وشأنه في ذلك شأن العلوم الطبيعية ومن اجل ذلك علا قدره

ادوار فارسي

حامل ليسانس الآداب بباريس

القاهرة





## حول مربٍ شعبي كبير

الزعيم الزنجي بوكرو وشُجُونُو

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعي

٦

للحرية حسناتها ومباهاها. ومهما قالوا في كبواتها وعثراتها فانها النعيم المقيم والمثقف الأمين والساعد اليمين. الحرية اذا فُهِمَت على حقيقتها واستظلَّ الناس بظلها الوريث فانها تخلق منهم الخلق الهائى السعيد فلا حروب ولا خصام، ولا سخيمة ولا صدام

لقد اعلن التحرير للسود. وقد ترك السود كل شيء مما يذكرهم بماضيهم... حتى المزارع التي كانوا يعملون بها... حتى الاسماء التي كان يدعون بها... وخلعوا اهاب الرق وجلباب العبودية واستشفوا الهواء الطلق وتركوا العنان لكل ما يشتهون... ثم عادوا ادراجهم الى مزارعهم وهم اكثر نشاطاً واوقد جذوة واشد حمية. بل ان خدمتهم الماضية لسادتهم البيض جعلتهم اقدر واكفاً.. وتركت البيض اقل جلدأً واضأل مواظبة بل ان العمل له نعيمه فهو يصقل النفوس كما يصقل الايدي. والناجح في الحياة هو بلا ريب العامل فيها الدءوب على الاضطلاع بتكاليفها الصبور على مكارهاها المعن مضياً في احتمال اعبائها ولقد بُدئ الآن في المناقشة في ضرورة تعليم السود وفكر الجزال ارمسترنغ وغيره في فتح معاهد لتعليم السود... واخذ هؤلاء السود يفدون على تلك المدارس وكلهم عطاش الى ميمرها وكلهم حنين الى ورودها... حتى الشيوخ وهم في العقد الخامس من سني حياتهم يريدون قراءة الكتاب المقدس ليقابلوا الله سعداء وليرقدوا في لحودهم سعداء فماذا كان نصيب « بوكرو » من تلك الحركة التعليمية وليدة الحركة التحريرية ؟

٧

خيبة ممضة صدمت بأثرها السيء نفسية طفلنا الوثابة وروحه النهمة بالعلم والتعليم. تلك الخيبة هي موقف زوج والدته منه. لقد فتحت مدرسة في « كناوها » وكان صبينا يشتغل حينذاك في « الملاحة » ويظهر ان الزوج تبين من عمل بوكرو في منجم الملح في عدة الشهور التي اشتغل فيها به انه مصدر نفع يدر عليه صباة من المال هي بمثابة اخلاف رزق لديه... يقول بوكرو : « لما فتحت تلك المدرسة ابوابها قرر الزوج انه لا يستطيع التحلي عني



وكان قراره سحب غيوم تراكت على كل آمالي ومطامحي. وشدّ ما عانيت من جراء قراره لان مكان عملي كان على طريق المدرسة حيث كنت اشاهد التلاميذ يروحون ويغدون اليها وزادني تلك الحنية تصميماً على ان اتعلم شيئاً على اي وجه وبأية طريقة . فاقبلت برغبة شديدة على امتلاك ناصية كتاب التهجية ولقد واستني والدي في خييتي تلك وبحث بكل ما في مقدورها على ما يهيجني وعملت جهدها على ايجاد وسيلة لتعليمي ووقفت بعد برهة من الزمن في اعداد المعدات لتحصيل دروس ليلية بعد قياي بساعات العمل نهائياً . وكنت شديد الترحيب بتلك الدروس الليلية واقبلت عليها ايما اقبال وحصلت في خلالها اكثر مما يحصل التلاميذ في ساع نهارهم ، ولقد كان لي من تجاربي فيها ان آمنت بمجزيل جدواها وعميم نفعها وعملت فيما بعد على تعميمها في هامبتون وتسكيجي

« على ان قلب الصبي كان نزاعاً الى ضرورة الذهاب الى المدرسة النهارية ولذلك لم اترك فرصة تمر دون اقتناصها الى ان فزت اخيراً بطلبتي وسمح لي بالذهاب الى المدرسة نهائياً بضعة شهور على شريطة ان استيقظ مبكراً واشتغل في الملاحة حتى الساعة التاسعة صباحاً ثم اعود مباشرة اليها بعد الظهر وانقضاء العمل المدرسي لا شتغل فيها ساعتين اخريين ..... » من جميل ذكريات بوكر في هذا الصدد ما كان يلقاه من صعوبة في الوصول الى المدرسة في التاسعة تماماً وهي بعيدة عن مكان عمله الذي حتم عليه البقاء فيه الى التاسعة فما كان يعمل ؟ لقد كان في مقر عمله ساعة حائط وكان زملاؤه العمال جميعاً يعتمدون عليها في ضبط ساعاتهم وفي امور عملهم . وكان بوكر مضطراً للحاق بموعد مدرسته وهو مضطر ايضاً للبقاء في العمل حتى التاسعة وكان ميله الطبيعي للدرس وتحصيل الدرس والمواظبة على حضور الدرس شديداً وقويّاً . ففتقت له الحيلة ان يقدم عقربي الساعة دقائق معدودة تمكنه من الوصول في الموعد المضبوط الى فناء المدرسة . واخيراً لاحظ العمال احتلال الساعة واكتشفوا فعلته وقفل باب الساعة باحكام ! !

## ٨

كان ذلك . وكان ايضاً اتصاله بخدمة سيدة طيبة القلب ولكنها شديدة المراقبة دقيقة العناية بالنظافة والنظام وهي زوجة الجنرال لويز زوفير . لاحظت ميله الى التعليم وزوعه الى التحصيل فعملت على مساعدته في لحظات فراغه على فهم ما استغلق عليه . ثم كان افتتاح مدرسة همبتون التي افتتحها الجنرال ارمسترانغ وكانت تبيح للسود العمل لاكتساب نفقات تعليمهم . وهي بعيدة عن قريته بعداً شاسعاً . اذ كانت تبعد عن مالدن خمسمائة ميل . ولكن النفوس العظيمة تستسهل الصعاب من الامور ، والارادات القوية طلاقة لكل



ثانياً متسلقة للربى والعقاب ... بل ان النفوس العظيمة لا ترى الا في الواحات الخصبه المواتية في صحراوات الحياة المحرقة وهي لا ترضى الا بالكلاء الغني والثمار الجني والطعام الشهي ! اجل . لم يكن في حوزة فتانا نقود تعينه على قطع مرحلته . فلماذا لا يقطعها بارادته ولماذا لا يشتغل اثناء سفرته فاما ربح يمكنه من ركوب قاطرة السكة الحديدية واما امتطاء لعليه وركوب لقدميه ... وقام من توه ولحظته يقطع المهامه والقفار في البكور والاسحار ويشتغل في الليل والنهار الى ان وصل الى مدينة رتشمند وهو خالي الوفاض وقد ذاق الأمرين ورأى الواحاً فوق حفرة الشارع العام وقد عبث الكرى بمعاقد الاجفان فانتظر هنيهة حتى انقطعت السابلة ودفن نفسه في تلك الحفرة ليربح بالنوم جسمه اليقظان . وبحث عن عمل في يومه التالي ووفق الى سفينة تفرغ حمولتها فواظب على العمل فيها نهاراً والنوم في الحفرة ليلاً الى ان وفر بارادته وعمله واكبابه ومواظبته ما مكنه من السفر الى همتون بالسكة الحديدية طبعاً . . . . والى ما هو اكثر من ذلك الى توفير نصف ريال فوق ما يريد

## ٩

جميل جداً ان نقرأ اعترافات بوكر عن اثر دقة مسز روفنر من نفسه ، ومبلغ عطف والدته عليه ، ومقدار تلهفه على التعلم ، وشدة رغبته في ان يكون كاولاد البيض لباساً وهنداماً ، وعلماً وعرفاناً ، وشغفه بأن يلبس قبعة مثلهم . . . وجميل ان تقرأ احتذاه « للقباق » وارتداءه لما يشبه القماط . . . . وجميل ان تقرأ ما خطه عن عوزه وفاقته . . . . ولكن اجمل من ذلك كله ان تؤمن بان نجاحه كان بسبب ارادته !

لقد وصل الى همتون بادى الفاقة زرى الحالة فكلفه اساتذة المدرسة تنظيف حجرة الدراسة فسرعان ما اخذها وكنسها مرة وثانية وثالثة ورابعة . . . . .

أجل لقد كنس الغرفة أربع مرات فرأوا من هذا المخلوق العجيب عملاً عجيباً عطف القلوب الجوامد عليه فاكبروه مع زراية هندامه وقبلوه مع حقارة شأنه بل ان نفس هذا التصميم في اتقان كل ما يكلف اداؤه ، وتلك العناية الطبيعية المنغرسه فيما بين جنبيه لها السر في قبول مسز روفنر له دون غيره ، وفي بقائه في خدمتها مع صرامتها دون سواء ، وهي المعروفة بتغيير الخدم بين حين وحين

وربما كان نفس هذا التصميم في اتقان كل ما يكلف اداؤه مما صغرا وعظم ، قللاً او جل هو السر الوحيد في نجاحه في مهمته في الحياة وفي فوزه في رسالته للانسانية عامه وبني جنسه خاصة انظر ما يقوله بوكر في هذا الصدد بالحرف الواحد : لقد مسحت حجرة الالقاء ثلاث مرات . ثم امسكت بريشة التنظيف ومررت عليها اربعاً



« اجل لقد مسحت الخشب الذي حول الحائط ، وكل مكتب ومنضدة وقطر وكل قطعة من الرياش والاثاث رفعتها من مكانها الاصلي ونظفتها كما نظفت كل ركن من اركان الحجره تنظيفاً تاماً . وكنتُ اشعر بان مستقبلتي يتوقف على الاثر الذي سأتركه من نفوس اساتذتي في تنظيفي للحجره . وعند ما انتهيت من مهمتي ابلغت ذلك للمديرة وهي سيدة من « ينكا » تعرف اين تنظر الى موضع الغبار . فلما ابلغتها دخلت الحجره وفحصت ارضها وافنتها وامسكت بمنديلها ومسحت به الخشب في الحائط والمكتب والمقاعد . ولما عجزت عن العثور على اثر من الغبار لاعلى ارض الغرفه ولاعلى اثاثها قالت في سكون « اظن انه في الامكان دخولك للمعهد ... »

« ولقد كنتُ ساعتئذ اسعد مخلوقات الله على وجه البسيطة . لان غسل تلك الحجره كان بمثابة امتحان لقبولي بالجامعة . واني اعتقد انه ما من شاب دخل امتحان القبول في الالتحاق بجامعة هارفرد او يابل واحس بسرور اكيد كالذي احسست به

« لقد مررت في امتحانات كثيرة بعدئذ ولكنني كنت اشعر دائماً ان ذاك الامتحان كان ادق امتحان مررت فيه . . . . . اه

ثم اتقل تلميذاً كبير في اعترافاته الى بيان نوع حياته في همبتون . وكيفية صداقته لمس ماري ماكي الناطرة وتقديره لخدمات الجنرال ارمسترنج صاحب ذاك المشروع وبيان اوجه كدحه واجتهاده في العمل ليتسنى له امام الدراسة . وعطف اخيه عليه . ووفاء والدته الرؤوم مما تجده مفصلاً في تاريخ حياته الذي كتبه بنفسه بعنوان « من العبودية » مما لا يخرج عما اقتبسناه لك في تلك اللوحة الموجزة

والذي يهمننا توجيه النظر اليه مبلغ حرص الرجل العظيم على اتقان كل عمل يعهد اليه به مهما كان نوعه ومهما كانت طبيعته . ليس بهام ولا كبير خطر ان تكون كاتباً او واعظاً . قائداً او طبيباً . خادماً او زارعاً . صانعاً او عاملاً - مهما كانت طبيعة اعمالك - وانما الهام ان تؤديها على اكمل الوجوه وان تخلص في القيام بها . الهام ان تشعر بمسئوليتك في اتقانها وتخرجها كما ينبغي وكما يجب . اذا فعلت ذلك وأمنت به في صميم نفسك فأنت الرجل العظيم حقاً لا عاب ولا نقيصة في نوع العمل وانما العاب والنقيصة في اداء ذلك النوع من العمل على وجه ناقص وبروح فاترة وحمية خامدة . كل شيء يتوقف على الكيفية لا على الشكل للعمل . في الاخلاص لا في المظهر . في الجوهر لا في القشور

ولعل هذه الصفة دون غيرها هي اساس بطولة العظاء لان مصدرها الايمان بالرسالة . والايمان هو اس النجاح ورائد التبريز والتفاني في الاخلاص والمواظبة على العمل والمضي في سبيل تحقيق الغاية والاستهانة بكل صعب والصبر على المكارة واحتمال كل اذى لاجل المبدأ او في سبيله



## ١٠

حياته الدراسية والعملية في همتين كانت صحيفة مشرقة له، وقدوة خليقة بالا كبار من كل طالب علم وعمل. فلقد استهان بشتى صنوف المتاعب من عوز وإضاعة، وعسر وفاقة، وقصر يد عن كل ما يقيم النفس ويكسي الجسد، وحيرة المعدم وعجز ذي المتربة... صعوبة في كل شيء. في محصيل القوت. وفي التسربل بالثياب. وفي اقتناء الكتاب والمراجع. وفي دفع اجور الدرس والاقامة. بيد ان هذه الصعوبة البالغة في حرجها وعسرها. وتعبها وعيها. وحسكها وقتادها. وحلكها وظلامها — كانت البوثة الحكيمة، والمثقة الرشيدة، والمرية السديدة. فقد خرّجت منه العامل اللئيم وكونت منه حمال الاعباء الصبور. وأنضجت فيه الارادة النافذة المضاء الحادة الفرار. وأتمت لديه صفة الرجولية الجلدة المستهينة بما يعثور سبيلها من كؤود العقبات

اجل لا يكون العظيم قد رمى تيرا كم في طريقه من جبال الحيات وتلال الفشل ولا ينضجه الا ما يلاقى في سبيله من المرتقيات الوعرة المستعصاة ولا يتم لديه صفة الرجولية الجلدة الا ما يعانیه من المكارم والنقص ومن تباريح تكاليف الوجود وأوضاع الاجتماع وتقاليد الوسط وحطام الحياة ألا ان في الشدة والعنف. في الفاقة والاعواز. في المتربة والضيق. في الدفع والجذب. في العدم والجذب — في هذا كله تتقق حيلة الانسان ويد الانسان من الظلام نوراً ومن الفاقة ثراء. ومن العدم عملاً. ومن الجذب خصباً. ومن العدم وجوداً. ومن السكون حركة. من الرمال جنباناً ومن الاطفال رجالاً ومن الرجال ابطالاً! لقد اضطر بوكرو الى بيع بذلته ثم الى رهن ساعته. في حياته الاولى. ولما أتم درسه ونال من اسباب الثقافة والتهديب ما يقظ في نفسه الشعور بأنه انسان. وأنه خلق ليكون انساناً نافعاً أحس بمعب عظيم ملقى على كاهله. . . . . ذلك ان يعمل ما في مقدوره ليجعل رفاقه السود مثله في الانسانية بدلاً من تركهم كمها مهملاً كبعض المقتنيات. او دونها قدراً وخطراً

## ١١

ما الذ نعمة العمل. بل ما الذ نعمة الشعور بالواجب! الا ان نعمة الشعور بأداء الواجب مصدرها راحة الضمير. والضمير اما أن يكون جثة هامدة لا حراك بها ولا حياة فيها ولا نبض ولا حرارة. . . . . كلاً بل يكون وقتئذ مصدر راحة عفة يتقزز منها الجميع. . . . . ولما ان يكون جنة نعيم أو نار الجحيم. ولعمركم ليس افضل ولا انبل من سعادة الضمير أو عذابه. سيان طبعاً هناء الضمير أو عناؤه لأنها دليان على الحياة. على النبض والحرارة. على الحساسية والشعور. على المحاسبة والاحتكاك واخيراً على الخلق والكرامة



والايمان والعدالة . على فهم ما يجب وما لا يجب ، وتعرف ما يليق وما لا يليق  
ألا ان الامة التي يحس قادتها بما عليهم من واجبات وتبعات ويعملون من حياتهم العملية  
مثلاً ناطقاً وقدوة محتذاة لهم وحدهم عنوان نهضتها ورمز حيويتها ومصدر سعادتها وموئل  
قوتها . ذلك لأن حياة الامة بالعمل قبل اي اعتبار . وبالعمل وحده تقاس الكفايات وتمتاز  
الشخصيات . ولشعب عارف بما عليه من واجبات وتبعات اقدر شأناً في معترك الحياة من  
شعب صارخ بما له من حقوق . لأن الكلام يضيع في ارجاء الهواء ، واما العمل فحركة  
وضوء ، وحياة ودماء . وتقدم وارثاء

وقد كان « بوكرك » مثلاً أعلى لتعرف الواجب ، وقدوة سامية للعمل المنتج - والحركة الدءوبة  
لقد فتح مدرسة لتعليم ثلاثين طالباً من لا شيء . فتحها بأقل من ريال ورهن ساعته  
وواصل معداته بمراحته . وساعد كل اسود وسوداء على التعلم في مدرسته اوفي همتن . وعمل  
على اتاحة فرص النجاح والعمل لكل راغب من ابناء جلدته . ثم ماذا ؟  
لقد وقف « بوكرك » على سر النجاح من اول لحظة . لقد فهم الجوهر لا العرض . فهم ان  
المطلوب من العلم هو الاعداد الحقيقي لمعترك الحياة الحقيقي . فهم ان المدرسة يجب ان تكون  
صورة مصغرة من ميدان الحياة وانها يجب ان تخرج رجلاً للمزاومة في مناكب الحياة باسلاحة الحياة .  
فهم ان التعليم الظاهري لا يفيد بل يضر . فهم ان النظريات بحاجة الى العمليات فماذا فعل ؟  
ان مدرسته بحاجة الى بنايات جديدة وعدد ومعدات . وادوات وجهازات . ومقاعد  
وحجرات . فلماذا لا يشترك التلاميذ في اعداد ذلك جميعه . بل لماذا لا يقوم التلاميذ بمختلف  
الصناعات سواء اكانت للمدرسة او لحاجات الاهلين ؟ لقد نفر بعض الآباء من خطته ولكن ارادته  
الحديدية نجحت في النهاية . وقد فشل في بناء قينة ضرب الطوب وغيرها اولاً وثانياً ولكنه نجح اخيراً  
لا امتهان في العمل . بل المجد كل المجد في العمل . وفي نتاج العمل تقدم البشرية  
المطرده . وبقدر التضحية يكون الجزاء . لقد نام في العراء حيناً كان طالباً وضائق المدرسة  
بطلابها وقبل مع رفاقه سكنى الخيام ارضاء لرغبة « ارمستريج » في قبول عدد من السود  
يزيد عن مساحة المدرسة فلماذا لا يتقدم طلاب مدرسته بمثل نوع عمله

لذلك رأى ان يخلق على غرارده هو وعلى خلقه هو وعلى مثاله ونشأته من تلاميذه  
رجلاً متدرباً في سلاح العمل وخلق التضحية مدربين على العمل والكفاح في الحياة بسلاح العمل  
اجل لقد كلف بوكرك وشجعطن طلابه العديدين بكل انواع العمل . وافهمهم بطريقة  
عملية ان قذارة العمل تاج يشرف صاحبه . كلفهم ضرب الطوب ، وعمليات البناء . كلفهم  
مختلف انواع الصناعات والزراعات



لقد صمم « بوكرك » على قرن العلم بالعمل . صمم على ان يتعلم الطالب النظريات من الكتب والعمليات من صناعات الوسط الذي يعيش فيه والذي سيعيش فيه . صمم على ان يخرج الطالب من معهده نافعا لنفسه معتمداً على جهده مكتسباً رزقه من يديه ومن عقله ثم تابر على ذلك الى ان تم على يديه انشاء مدرسة شاهقة البناء والفروع للعلوم ومختلف الصناعات بها حوالى الاربعين معهداً وما يزيد عن الالف طالب وقد بنى طلبتها كنيسة لهم

## ١٢

وهل اكتفى « بوكرك » بذلك ؟ . هل قنع بافادة الف طالب ؟

لقد رأى ان امته فيها ما لا يقل عن العشرة ملايين من ابناء جلدته . وهم قد خيم الجهل عليهم بجرانه . وهم في مرتبة مودية وحالة مهلكة . ورأى انهم بحاجة الى رسل وهداة من خريجي مدرسته الذين اعتادوا العمل وقرنوا العمل بالعلم والذين انضجت التجارب عقولهم والعمل ايديهم والذين تهذبت اخلاقهم ونبلت ميولهم . فبذل الجهد الجيد في جمع المال لتلك الغاية . واسس المدارس الليلية والنهارية . وخرج رجالاً عاملين ونساء عاملات . وعلم الرجال الهندسة الزراعية والعلمية والعملية وشتى انواع الصناعات من مهمات البناء ومتجات الزراعة كالخيل والحلوى وانواع الحدادات والخياطة والتصوير . كما علم النساء جميع ما تحتاج اليه المرأة في منزلها وحياتها الخاصة

من طريق نتائج تعليمه ان معملاً من معامل الزبدة والحين اعلن عن حاجته الى عامل للزبدة فقدم اليه شاب من السود من خريجي معاهد بوكرك فرفض اصحاب المعمل استخدامه لانه اسود وهم لا يشغلون الا البيض . فقال لهم الاسود اني جئت اليكم لا لتستخدموا لوني بل لتستفيدوا من عملي وتجربتي فسمحوا له بالمكث بينهم مدة اسبوعين على ان يحكموا بعدها ثم عرضت زبدة المعمل من صناعة الاسود في السوق بعدئذ فتدرج ثمنها في الزيادة اسبوعاً بعد اسبوع . وزاد الاقبال عليها مما ادى الى استمساك القوم بعاملهم الاسود الجديد وهكذا استمرت معاهد بوكرك على تخرج الاكفاء من رجالها السود ونسائها السود . وكان لاحتكاك هؤلاء وهؤلاء من ابناء جلدتهم وبنات جلدتهم احسن الاثار في ترقية شعبهم علماً وعملاً

## ١٣

وكم كنت اود ان اخاطبك عن بوكرك الخطيب وبوكرك السياسي وبوكرك المؤلف وبوكرك المربي وبوكرك الزوج وبوكرك الاب ولكنني اجتزئ لكم بما اسلفته من حياته العاملة وأملى ان يكثر بيننا هذا الصنف من الرجال وان يعتم في ربوعنا هذا الصنف من التعليم . وأملى ان يجد شبابنا من ارادته الذخيرة الصالحة لا ماله الصالحة





## كيمياء النور البارد<sup>(١)</sup>

لقد توفرتُ على درس طبيعة النور الحيواني (الموصوف في مقالة الاحياء المنيرة) من وجهها الكيماوي. واذا اذكر هذا النور يبادرنى القارئ بالسؤال التالي: هل هذا النور تألق فصفوري او لا؟ ومن السهل الجواب عن هذا السؤال بالنفي اذ ليس لهذا النور علاقة ما بعنصر الفسفور الذي لشدة سُمه لا يوجد في الخلايا الحية حرّاً. ولكن هذا النور من جهة اخرى يشابه كل المشابهة تألق الفسفور. فهو في المقام الاول ناتج عن الاكسدة (الاحتراق) فاذا ازلنا الاكسجين من الحيوان المنير او من جوفه زال النور ثم اذا اعدنا الاكسجين عاد النور. هذه تجربة علمية قديمة بل في الواقع هي من اولى التجربات العلمية التي جربها الطبيعي الانكليزي روبرت بويل في الاحياء المنيرة سنة ١٦٦٧ ذلك ان بويل كان حينئذ يمتحن مضخة الهوائية فوضع قطعة صغيرة من الخشب المتألق بالكثير من الحية تحت فم المضخة فوجد انه اذا شق الهواء بمضخة من حول القطعة الخشبية زال تألقها واذا زفر الهواء بها عاد التألق. لكنه لم يعلم حينئذ ان عنصر الاكسجين في الهواء هو السبب في هذا المشهد الغريب. وعليه نستطيع ان نُرجع اكتشاف لزوم الاكسجين الطلق لانه الاحياء المنيرة الى تجربة بويل هذه

والحقيقة الكيماوية الثانية المتعلقة بانارة الاحياء هي قديمة ايضاً كشف عنها سيلانزاني الايطالي سنة ١٧٩٤ وهي ان كل تألق من هذا القبيل لا بد له من الماء. فقد أثبت انه يستطيع ان يأخذ اي حيوان منير وبتجفيفه يزيل كل نور منه. ولكنه اذا احتفظ بهذه المادة المجففة وبلها بين الفينة والفينة وهي معرضة للاكسجين عاد اليها تألقها الناهب. فثبت كذلك كما ثبت في تجربة بويل ان الماء من مقومات الانارة الحيوانية لا تتم من دونه وهذه التجربة تدل ايضاً على ان الانارة ليست وظيفة من وظائف بعض الخلايا الحية كما نحسب الانقباض وظيفة من وظائف خلايا العضلات او كما نحسب نقل المؤثرات العصبية وظيفة الخلايا العصبية. فانت اذا اخذت عضلة وجففتها لم تتغير العناصر التي تتألف منها واذا عدت قبلتها ظهرت بمظهر العضلة الحية الا انها لا تنقبض اذا نكرتها. فالعضلة قد فقدت قوة الانقباض بالتجفيف. كذلك يفقد العصب قوة نقل المؤثرات العصبية اذا جففت. ففي هذين النسيجين — خلايا العضلات وخلايا الاعصاب — تفقد الخلية القدرة



على القيام بوظيفتها اذا جففتها . ولكن هذا لا يقع للاحياء المنيرة . فانك اذا جففتها فقدت التألق الى حين ثم اذا بللتها عاد تألقها اليها . اما وقد ثبت انه لا بد من الاكسجين والماء لتألق الحيوانات المنيرة فالمرجح ان الحيوانات تولد مادة تتألق اذا اتحدت بالاكسجين في الماء وهذه المادة تدعى باسم عام هو « فوتوجن » وباسم خاص هو « لوسفرين »  
والواقع ان هذه المادة مادتان الاولى المادة التي تثير اذا اتحدت بالاكسجين في الماء والثانية تسرع هذا الاتحاد اي انها تفعل فعل الكاتاليسيس . وهذه هي الحقيقة الكيماوية الثالثة عن انارة الاحياء كشف عنها ديوى الفرنسي سنة ١٨٨٧ اذ وجد انه اذا استخلص مادة منيرة من احد الحيوانات امكنه فصلها الى مادتين متميزتين . وقد دعت الاولى « لوسفرين » وهي التي تثير والثانية « لوسفران » وهي التي تساعد على الانارة . ويمكن فصل احدهما عن الاخرى لان الثانية تتلاشى بالاحماء واما الاولى فلا . كذلك يسهل حل المادتين بالماء وترسيبهما بمرسبات مختلفة . ويمكن تثقيتهما وتجربة التجارب الكيماوية بهما . ولكن لا يعلم حتى الآن تركيبهما الكيماوي مع ان اللوسفرين يتبع المواد البروتينية البسيطة التركيب بوجه عام واللوسفران المواد الزلاية

هل نستطيع ان نولد نوراً على نسق هذا النور الحي في الحيوانات ؟ الجواب عن هذا السؤال رهون بمقدرتنا على تركيب المواد البروتينية . وانا اعتقد ان ذلك مقدور لنا في المستقبل . فنحن نركب الآن الادهان والسكر وبعض انواع المواد البروتينية البسيطة التركيب فامسألة مسألة متى تقدم تقدماً كافياً حتى نستطيع ان نركب المواد البروتينية الاخرى التي منها اللوسفرين هذا ثم هناك سؤال آخر يتبادر الى الذهن . ماذا يحدث للوسفرين اذا تأكسد . هل يتحول الى اكسيد الكربون الثاني كالمواد الغذائية التي نأكلها ؟ اذا تأكسد السكر والدهن تحولوا الى ماء واكسيد الكربون الثاني . فهل يجري اللوسفرين مجراها ؟ ان مباحثي تدلني على ان تأكسد اللوسفرين ليس من هذا القبيل . فقد اثبتت التجارب ان الحيوانات المنيرة لا تولد اكسيد الكربون الثاني . وعندي ان ما يحدث هنا هو من قبيل اكسدة الهموغلوبين في الدم . فدارسو علم وظائف الاعضاء يعلمون ان في الدم مادة تدعى هموغلوبين احمر اللون تتحد بالاكسجين في اثناء نقله من الرئتين الى الاعضاء المختلفة . فانت اذا اخذت مقداراً من هذا الهموغلوبين وهزته في الهواء اتحد بالاكسجين واصبحت المادة تعرف باكسي هموغلوبين . فاذا وضعنا هذه المادة تحت آلة وامتصنا الهواء منها عادت هموغلوبيناً طبيعياً . فتأكسد اللوسفرين من هذا القبيل . اي اتنا اذا اخذنا مقداراً من اللوسفرين وجعلناه يتحد بالاكسجين تكونت لدينا مادة تختلف عن المادة الاساسية وقد دعوناها



« اوكسي لوسفرين ». ثم اذا اخذنا هذه المادة الجديدة وعالجناها بالوسائل الصحيحة لازالة الاكسجين منها تمكنا من الحصول على مادة اللوسفرين الطبيعية التي بدأنا بها تجربتنا. والطرق الصناعية لتحويل « الاوكسي لوسفرين » دقيقة ومعقدة. فالجواب اذ تلمع في الظلام تحول مادة اللوسفرين فيها الى مادة الاوكسي لوسفرين. وفي الفترة بين اللمعة والاخرى تتحول مادة الاوكسي لوسفرين الى اصلها وهكذا تكون الجواب مستعدة لللمعة للتالية ولا اقصد بذلك ان كل ما في الجواب من اللوسفرين يتأكسد في لمحة واحدة ولكن جانباً منه يفعل ذلك وفي الفترة بين اللمعة والاخرى يتحول هذا القدر المتأكسد الى ما كان عليه قبلاً — اي الى لوسفرين طبيعي. اي ان هذا الفعل ذو وجهين وهو من الوجهة الكيماوية غريب كل الغرابة. فكان لدينا حيواناً له مصباح يحترق فيه الزيت لينير فاذا انار عاد من تلقاء ذاته فاستخرج الزيت الطبيعي من نتائج الزيت المحروق ليستعمله من جديد وهكذا دواليك. وعليه فالجواب من الوجهة الطبيعية والكيماوية حيوان مقتصد كل الاقتصاد. اللوسفرين فيه كالفينكس في الاساطير القديمة يخلق من رماده ليحيا حياة جديدة ومن المستطاع صنع مصباح يتحول اللوسفرين في جانب منه الى اوكسي لوسفرين فينير ثم في جانب آخر منه يتحول الاوكسي لوسفرين الى لوسفرين فيعاد استعماله في الجانب الاول للاضاءة من جديد. ولا بد ان يكون النور في هذا المصباح ضئيلاً. ولا بد ان تعترض الصعاب تطبيق هذا المبدأ العلمي تطبيقاً عملياً موفقاً ولكن المبدأ هناك وقد يصح في المستقبل معتمداً في ابداع طرق جديدة للنارة

من المعلوم ان كل جسم اذا رُفعت حرارته الى درجة معينة توهج وانبعث منه نور. هذا هو النور الكهربائي المستعمل ويعرف بنور التوهج incandescence اما نور الحيوانات الذي وصفناه فيعرف بنور التألق luminescence وهو نور بارد. اما النور الاول فيكون احمر اذا كانت حرارة الجسم حوالي ٥٠٠ درجة بميزان سنتغراد فاذا زادت درجة الحرارة انبعث من الجسم نور اصفر فاذا بلغت درجة ٥٠٠٠ بميزان سنتغراد انبعث نور ابيض كنور الشمس والمبدأ في ذلك انه كلما ارتفعت حرارة الجسم زاد بهاؤه. وهذا هو المبدأ الذي يجري عليه الصناعات في صنع المصابيح الكهربائية. ذلك ان السلك في المصباح الكهربائي يحمي بمقاومته لتيار الكهربائي. فاذا بلغت درجة حموه نحو التي درجة بميزان سنتغراد انبعث منه النور الكهربائي المعروف. وليس في استطاعتنا ان نرفع درجة حرارته اكثر من ذلك حتى تقارب درجة حرارة الشمس من غير ان ينحل السلك بتطاير الذرات منه. ولسوء الحظ ان معظم قوة التيار الكهربائي المستعملة ينفق في احماء السلك فما ينبعث منه قوة



٢ في المائة منه نور و ٩٨ في المائة حرارة . اي اذا استعملنا تياراً كهربائياً ثمنه مائة مليم في انارة سلك انفقنا ما قيمته ٩٨ ملياً في احماء السلك وما قيمته مليان فقط من هذا التيار في الانارة . فالانارة بطريقة التوهج فيها اسراف عظيم . لانه اذا استنبطنا طريقة ممكننا من استعمال جانب اكبر من التيار الكهربائي للانارة بدلاً من انفاق معظمه في احماء السلك قبل الانارة وفّرنا جانباً مما تنفقه على النور الكهربائي

والنسبة بين القوة المستعملة والنور الحاصل في السلك تعرف بنسبة الكفاءة الضوئية وهي في المصابيح الكهربائية المتوهجة معروفة لا تريد على نصف في المائة . اي اننا اذا اخذنا افضل المصابيح التي من هذا القبيل سلكها من معدن التنغستن وانبوها المنتفخ مملوء بغاز النتروجين وقابلنا النور الذي يحصل فيها بالقوة اللازمة لاجراج هذا النور وجدنا انه نصف واحد في المائة . اي اننا نحرق مثلاً طنّاً من الفحم فيولد لنا حرقه قدرّاً معيناً من القوة الكهربائية . هذا القدر اذا استعمل للانارة لم يولد لنا الا نوراً يوازن نصف جزء من مائة جزء منه فهل تفوق الاحياء المنيرة المصابيح المتوهجة في نسبة الكفاءة الضوئية فيها ؟ الموضوع من حيث القياس العلمي دقيق ومعقد كل التعقيد . فقياس النور في الجبابب متعذر لان نورها ومضة وتليها فترة من الظلام . لذلك يعتمد الباحث الى البكتيريا المنيرة وهي كائنات ميكروسكوبية لان قياس النور في الواحد منها مستطاع ولكن بوسائل دقيقة تحتاج الى صبر ومثابرة . ولما كان طعام البكتيريا مصدر كل اشكال القوة التي تتولد فيها فيجب ان يعرف مقدار الطعام الذي تتناوله ثم يحوّل ذلك الى وحدات حرارية . ولكن هذا الطعام لا يستعمل كله في توليد النور بل يستعمل جانب كبير منه في اعمال الكائن الحيوية . فاذا حددنا مقدار الطعام - وما يقابله بالوحدات الحرارية في الثانية - الذي ينفقه البكتيريوم الواحد في توليد نوره - وهذا يقاس ايضاً بوحدات حرارية في الثانية - امكننا معرفة نسبة الكفاءة الضوئية فيه بالموازنة بين قيمة الطعام التي تنفق في الانارة وقيمة النور الحاصل . وذلك بتحويلهما الى وحدات حرارية . على ان القارئ يدرك مقدار النصب الذي يعاينه الباحث الذي يود ان يكون لنتائجه قيمة علمية في فصل هذه المسائل المعقدة التي يسهل تطرّق الخطأ اليها وقد قضى الاستاذ نيوتن هارفي يمارسها سنين وخرج منها بنتيجة ملخصها ان نسبة الكفاءة الضوئية في الاحياء المنيرة تبلغ واحد في المائة اي ضعف نسبة الكفاءة الضوئية في المصابيح الكهربائية المتوهجة . فما يقال عن نسبة الكفاءة الضوئية العالية في الجبابب لا يؤيده البحث العلمي وانما يسوغ الاتفاق على التوسع في البحث للكشف عن اسرارهم





## الشرع الدولي في الاسلام<sup>(١)</sup>

تساءل كثير من العلماء عن وجود شرائع دولية عند الاقدمين كاليونان والرومان والصين وتباينت الآراء في ذلك. غير انني وجدت بملا مجال للشك فيه ان في العهد الطويل الذي خلا بين الحضارة القديمة والحضارة الحديثة اي بين القرن السابع والثالث عشر — ذلك العهد الذي سادت فيه الحضارة العربية والآراء الاسلامية — اسست قواعد ومذاهب في المعاملات الدولية يستطيع المؤرخ ان يجد فيها سوابق تاريخية جلية يوازن بينها وبين ما وصل اليه المحدثون من الآراء والاوضاع وما كنت اعرف باذي الرأي ما عسى ان يقع لي من الوثائق وماذا اجده من المظان والمراجع ، وحسبت انني لا اعثر الا على النزر اليسير الذي لا يغطي غلة الباحث الحريص، فما كنت استثير دفائن التاريخ وارد ينايع الفقه حتى وجدت فوق ما كنت اؤمل واكثر مما كنت اتوقع . واذا كان كثير من مؤرخي الشرائع الدولية قد اغفلوا هذه المرحلة العظمى فانهم قد اغفلوا بذلك اعظم المراحل التي قطعها الشرع الدولي قبل المرحلة الحديثة

نعم ان الشرع الدولي من اوضاع المحدثين . ولم يتقرر حقيقة الا منذ معاهدة (وستفاليا) لما اصبحت الصلات الدولية قائمة على قواعد محكمة ، ولكنه كسائر ما تنتجه عقول البشر ، ثمرة المساعي المشتركة التي تقوم بها جميع الشعوب وتتعاقد عليها الاجيال . ويكفي ان توجد جماعتان حتى تشتبك بينهما المصالح ، وتضطرهما الى التعامل والتعاقد ، وتقرير قواعد الحرب والسلم ، فلذلك ترى الاوضاع الدولية على رغم ما فيها من ضعف ظاهر ، قليلة التحول كثيرة التشابه ، ولا بد لكل جماعة ذات كيان ان تحرص على توثيق عرى الصلات بمجاوريتها وان تحافظ بقدر ما تستطيع في صلاتها على المبادئ الشريفة والقواعد العادلة ، التي يحترمها في الغالب اهل العصر ، ويوحى بها الوجدان والعقل

ثم ان الامم والشعوب تتوارث الآراء والمذاهب ، وميراث العلوم عام مشترك بين الجميع . والتشابه عظيم بين القواعد التي اخرجت للناس ، ولكن ينبغي ان ينظر المرء حينما يقياس بين آراء المتقدمين وآراء المتأخرين الى الفرق بين هذا الزمان وبين تلك الازمان ، فقد تغيرت الامم ، وتبدلت قواعد الدول ، واصبح الانسان اليوم غيره بالامس ، ولم تبق

(١) وعدنا القراء في مقتطف فبراير ان نوافهم بمخلص كتاب الدكتور الارمنازي : « الشرع الدولي في الاسلام » الذي نال به رتبة دكتور في الحقوق من باريس وانجازاً للوعد بنشر الآن المقالة الاولى . ويسرنا ان نقول ان الدكتور الارمنازي قد انجز وضع كتابه بالعربية وسيقدمه للطبع قريباً



شؤون الرجال على ما كانت عليه من قبل وبدلت حالاً بعد حال  
والمقصود بالشرع الدولي في هذه الايام مجموع القواعد التي تعيّن حقوق الدول  
وواجباتها المختلفة في علاقاتها المتبادلة . ولكنه في المعنى الذي نقصده مجموع القواعد التي  
يتعين على المسلمين التمسك بها في معاملة غير المسلمين محاربين او مسلمين ، سواء كانوا  
اشخاصاً ام كانوا دولاً ، وفي دار الاسلام اوفى خارجها . ويدخل في جملة هذه القواعد  
احوال المرتدين والبغاة وقطاع الطريق . وقد سميت في كتب الفقه بالسير جمع سيرة لانها  
طريقة معاملة المسلمين لغيرهم . فلا تكون مغالين اذا قلنا ان الأمة عنوا منذ البدء في وضع  
اسس لما نسميه بالشرع الدولي ، وان كانت هذه الاسس تخص شريعة الحرب في اكثرها  
وقد وجد الاسلام منذ نشأته الاولى اعداءً مناضلين فحارب من حاربه وسلم من سلمه ،  
ووضع الحدود والقواعد لحربه وسلمه وما يعرض له فيهما من المسائل الكثيرة التي تتعلق  
بالمحاربين والمسلمين واشباه ذلك مما احله الفقه الاسلامي اسنى مكان . حتى انه ليكن ان  
يقال انه عني بما تقدم من القواعد واتسع لها صدره اكثر من احكام العقوبات وسياسة  
الدولة ، لانها نشأت مع الاسلام ونمت بنموه وسارت الحروب المستمرة والفتوحات العظيمة  
وقد قرر كثير من المؤلفين مثل هولتزendorff وريغي ، انه يوجد في الفقه الاسلامي  
جميع القواعد الجوهرية التي تتعلق بشريعة الحرب ، ولم تقتصر على الفتح والغنيمة بل تجاوزتها  
الى فرض الضرائب وذكر المواد المحرمة على التجارة ونظائرهما ، مما لا يختلف الا اسمه عما  
يستعمل في يوم الناس هذا . و اشار ( نيس ) الى ما في تاريخ الامم الشرقية — يعني الروم  
والعرب — بين القرن السابع والقرن الثالث عشر من اعمال واوضاع تتعلق بما يسمى في ايامنا  
بالشرع الدولي . نعم انه لا يوجد شيء ثابت ، وليس ثم نظام معين ، وان هناك مظاهر غير  
متسقة ولا مستقرة ، ولكنها مع ذلك جديرة بان تقف عليها الانظار بكل تدبر وامعان  
وجميع كتب الفقه الاسلامي ، على اختلاف المذاهب ، تفصل على قدرها مواضع الصلات  
بين المسلمين وغير المسلمين في باب الجهاد والسير كما ذكرنا . وقد يكون احسن ما الف في هذا  
الباب كتاب السير الكبير للامام محمد بن الحسن الشيباني صاحب ابي حنيفة ، وشرحه شمس الأئمة  
السرخسي مؤلف المبسوط واملاه في السجن على تلاميذه ، وهو كتاب غزير المادة ، جم  
الفوائد ، قد استوعب اصول هذا العلم واستقصى غرائب مسائله ، ولم يقتصر فيه على مذهب  
اليه اعلام المذهب الحنفي بل اورد كثيراً من مذاهب الآخرين وناقش اصحابها في حججهم .  
وطريق محمد في الترجيح في هذا الكتاب ، هو انه نظرياً اختلف فيه اهل العراق واهل  
الشام واهل الحجاز فرجح ما اتفق عليه فريقان فأخذ به ، دون ما تفرد به فريق واحد



والف الامام ابو يوسف كتاب الخراج لهرون الرشيد ، وهو يصح ان يكون كتاباً في التشريع المالي ، وقد عالج فيه كثيراً من مسائل الحرب والسلم ، لان الحرب من اعظم المصادر التي تمدت المال ، والف في الموضوع نفسه قدامة بن جعفر وبجي بن آدم ومن المؤلفات الفريدة كتاب الاحكام السلطانية للقاضي ابي الحسن الماوردي ، الذي كتب في الغالب على مذهب الامام الشافعي وجمع كثيراً من الامور التي تتعلق بالشرائع العامة للدولة ومن جملة ذلك شريعة الحرب وقد فصلها في امانة الجهاد وفي مطالب الخراج والحزبية والغنائم ، ورجع الى هذا الكتاب النفيس اكثر من واحد وعدوه مؤلفاً على غير مثال . وقد وضع القاضي ابو يعلى كتاباً سماه الاحكام السلطانية وعالج فيه نفس المواضيع ولكن على مذهب الحنابلة . ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق رديئة الخط غير كاملة . وفي هذه المكتبة وجدت كذلك من كتاب السير الكبير الذي وضعه الامام محمد ، وهي كثيرة التحريف وان كان خطها جميلاً مؤثقاً وقد قيل لي ان الكتاب مطبوع في الهند ، ولم اطلع له على نسخة مطبوعة

\* \* \*

والشرع الدولي فيما زيد ان نقرر جزء من الفقه الاسلامي الذي لا يفرق بين الشرع الخاص والشرع العام ولا بين الشرع الداخلي والشرع الدولي . وهو كذلك شرع مكتوب لا يستني العرف والعادة وشرع داخلي يتحم تطبيقه في العلاقات الدولية . وكما ان حكمه يجري على الدول فكذلك يجري على الافراد مباشرة وبدون مباشرة اي بكونهم من متعلقات دولة ما . وللأفراد حقوقهم وواجباتهم كمقاتلين ومعاقدين ومستأمنين وغير ذلك . والمرأة الغربية مثلاً اذا دخلت بلاد الاسلام اثارته جملة من مسائل تدرس فيه شؤونها الشرعية بعناية وتدقيق . فما الاساس الذي بني عليه الشرع عند المسلمين ؟

انا نجد انفسنا قبل كل شيء امام شرع مصدره وحي الهي ، ولكن هذه الفكرة المستندة الى العقيدة والايان لا تكفي لتعريفنا تماماً بالاوضاع الشرعية الاسلامية ويرى المستشرق الكبير الكونت استروروغ ، ان الفقه الاسلامي بقيامه على اساس الوحي ، وقرعه من علوم الدين ، ووقوفه عند ما حدده اصحاب المذاهب الاربعة التي لا يصحبها التغير والتبديل ، يشابه اكثر شيء بين الشرائع ، شريعة الكنيسة او الشرع القانوني .<sup>(١)</sup> ولا يخلو ما قال هذا المستشرق من مبالغة في شأن المذاهب الاربعة خصوصاً في نظر الاصلاحيين من المسلمين . وعلى كل حال فان الفقه الاسلامي مزيج مؤلف من شرع ودين يمتان بسبب واحد فالفقهاء من علماء الدين وعلماء الدين من الفقهاء



وصدور الفقه عن وحي الهي يجعله ثابتاً لا يتغير، ولكن اي شيء في الدنيا لا يتغير، والمسلمون مأمورون باتباع اوامره والانتها عن نواهيه، وما لاحد منهم ان يتبع في مذهبه خياله ورايه وادبه وفلسفته، فهناك حدود لا يجوز له ان يتعداها. على ان الفقه واسع النطاق، كثير التفرع للمسائل، يجمع بين العبادات والمعاملات والعقوبات واقامة الحدود وسياسة الحرب وتدير السلم وسائر صنوف الشريعة وطرائق الحياة السياسية والاجتماعية. فالوحي اذن من الوجهتين العملية والنظرية لم يكن وحده مصدر القواعد الشرعية كلها. وقد اكتفى المسلمون في اول امرهم بما كان يأتيهم به القرآن من الاحكام وما كان يحدثهم به الرسول ويبين لهم فيما يعرض من الامور والحوادث، فلما امتدت الفتوحات وطرأت على المسلمين حاجات جديدة واحتكوا بحضارات راقية وعقائد مختلفة لم يجدوا بداً من وضع قواعد الفقه الذي يطابق معنى الحكمة عند الرومانيين، وهو كما حدده هؤلاء، ولكن بمعنى اضيق، معرفة الشرائع الالهية والبشرية وتعيين حدودها. وقد استعان المسلمون بالاجماع وبالقياس الذي تفرع عن الرأي لسد حاجاتهم الجديدة ولجأوا في اكثر ما يحتاجون اليه الى الاساس العام لجميع الشرائع القديمة: اساس العرف والعادة. ليست القاعدة الاسلامية الكبرى هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وهل الامر بالمعروف الا التمسك بما تعارف عليه الناس. والنهي عن المنكر الا هجر ما انكروه او جهلوه؟ واذا وجدنا في الاسلام قواعد مماثلة لما كان عند الرومان والعبرانيين وسائر الشعوب التي تقادم عليها العهد، اليس ذلك لان هذه القواعد كانت شرائع متبعة في البلاد التي نشأ بها الاسلام، ولم يشأ ان يقضي عليها لأن المجتمع كان يستفيد منها! فاذن نستطيع ان نحكم حكماً لم يذكر بوضوح كاف وهو ان الاسلام لم يعق سيرة حضارة الشعوب ولم يعترض سبيلها، بل اجل ميراث الامم التي سبقتها في ديوان العالم. وكان حلقة اتصال كبرى في سلسلة الاوضاع القديمة والاوضاع الحديثة تلك السلسلة التي تمثل لنا جهود الانسانية الدائمة الدائبة في معارج التقدم والارتقاء، وقد اكتفى الاسلام بمحذف ما رآه ضاراً وابقاء ما رآه نافعاً، اما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض

ولكن خصيصة الشرع الاسلامي واذا شئت فقل تفوقه، فقائم بما قرره من المؤاخاة العامة والتسوية بين افراد الامة. وهو لا يعرف حدوداً ولا يقف دون حائل، يشمل الجميع ولا يميز بين احد، وكل انسان مطلق الحرية في حدود الشرع، مخوف بالحماية حيناً كان، هو وأهله وماله. وهذا هو السبب الذي جعل الاسلام يمتد امتداده العظيم على تماذي الاجيال في آسيا وأفريقية وأوربا بين الملايين من الذين يعتقدون به. واذا



كانت هذه القواعد لا تزال حتى اليوم مصدراً لشرائع كثير من الشعوب التي اختلفت عناصرها ولغاتها وحضاراتها ، فذلك لان نظام الاسلام الادبي والخلقي لم يكن قاتلاً لصفاتهم وخصائصهم . على اننا لا نكرر ان الرجال الذين وكل اليهم تطبيق هذه المبادئ لم يكونوا اكفاءً لها وجديرين بها ، فقد وجد الذين سودوا صحائف التاريخ بسوء صنعهم الذي عم القريب والبعيد وأصاب العربي والاعجمي والمسلم وغير المسلم ، فلا ذنب على القواعد والمذاهب ولكن الذنب على الرجال انفسهم اذا ظلموا بتجاوزهم حدود الله

ثم ان الاسلام بتوحيده اساس الشرع وتعميمه ، منع في عهد طويل ما يمكن وقوعه من الخلاف بين الديني والمدني وبين الشرع العام والشرع الخاص وبين الشرع الوطني والشرع الدولي . وقد سن العقوبات اللازمة حتى لا يكون العمل ناقصاً . والله عند المسلمين مصدر الشرائع الاسمي وهو الحكم العدل في الدار الاولى والدار الاخرى ، وهذا هو المذهب الشيوقراطي الذي يعمر قلوب الساميين ، ولكن كيف يكون الحكم وتكون العقوبة في هذه الحياة ، خصوصاً اذا شجر الخلاف بين طوائف مختلفة حتى نشب القتال وسالت الدماء ، فقد قال تعالى . انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم ، وقال : وان طائفتان من المؤمنين اقاتلتا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداها على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين . فما احسن هذه الاسس ! ألا نجد فيها نظيراً لما يسعى اليه الناس اليوم في الصلات الدولية وتعقد لاجله المجامع وتحفل المؤتمرات ! الاصلاح والتحكيم وبعد ذلك الجزاء وعقوبة الباغين والمعادين غير ان هذه القواعد الشريفة لم تجد في الاسلام « وضعاً » عملياً يقوم بتطبيقها وينظر في امرها . نعم انهم يذكرون اهل الحل والعقد الذين هم رجال السياسة والتدبير . ولكن هذا الوضع الذي كان يرجى ان يكون عظيم الفائدة بعيد الاثر ، ظل في طي الابهام والنسيان غالباً ولولا ذلك لما اصيب الاسلام بما اصيب به من اثره الميسطرين وسوء ملكتهم ، على ان هذه القوة العظمى للامة ، هؤلاء الناس الذين سماهم الشارع بأهل الحل والعقد ليكون لحكمهم في الجماعة مقام الارادة عند الفرد ، كان لهم جانب عزيز في صدر الاسلام وان لم تكن لهم صفة معينة ، وقد اضمحلوا رويداً رويداً مع اضمحلال الاسلام وتشتت قواه ، وما من تبعة تقع على الدين والشرعية ، فكلهاها قابل للتطور يتسع لختلف المذاهب ولكن الجماعة الحية الكائنة لم تكن لها ارادة او لم تكن لها فئة عملي هذه الارادة





# الراديو ومزاياه الاجتماعية

## اول خطبة عربية في الراديو تذاع به

تمت في العصر الحديث، مخترعات شتى، لو بعث اجدادنا السابقون، لحالوها معجزات، ولأحلّوا مخترعها منزلة الانبياء، لغرابتها وشذوذها عما ألفوه. فما اعجب الفنوغراف! تديره فسمعك نغمات الموسيقى. وما اغرب الطائرة! تسير محرّكها، فتنتلق بك في الجو، انطلاق النسر. وهل أتاك نبأ الرؤية على بعد، المسماة بالتليفزيون، التي بها تخترق الابصار الجدران وسائر الحجب؟ أو أشعة رنتجن، التي ترى بها العظام، وما تسرب الى الجسم من رصاصة أو ابرة أو ما اصابه من سرطان خفي، أو كسر مستتر، أو قرحة دامية؟ أو الراديو الذي يسمعك الاصوات، التي تفصلك عن مصادرها آلاف الاميال، وليس بينك وبينها من صلة، غير الارض والماء والهواء؟

سنقصر كلامنا الآن على نظرية الراديو ومزاياه. ونأمل ان تتمكن من الكلام في سائر المخترعات في فرصة اخرى. ويرجع ابتداءنا بالراديو إلى اعتقادنا أنه يجب ان يولي المصريون وجوههم في هذا العصر، شطر ثلاث غايات: الراديو والطيران والسينما. فإن هذه المخترعات، وان كانت من الامور المألوفة في البلاد الاجنبية، الا أنها في مصر لم تحظ بالاهتمام الكافي، الكفيل بانهاضها وترقيتها، ولا يزال المشتغلون بها افراداً قلائل. فانت ترى انعدام المنافسة والمباراة فيها وقلة الباحثين فيها من ابناء مصر

الراديو او التليفون اللاسلكي اختراع جليل الشأن، به يستطيع الانسان التخاطب بغير واسطة محسوسة. ولا أدل على هذا من سماعكم صوني ويني وبينكم اميال عدة ولما كان العقل الانساني يستبعد انتقال التأثير بغير واسطة، فقد بحث العلماء في الوسائط التي ينتقل بها الصوت والضوء والكهربائية وغيرها. وقد ثبت بالتجارب البسيطة ان الوسط الذي ينتقل فيه الصوت هو الهواء. ولا ثبات ذلك: يوضع جرس كهربائي داخل ناقوس الآلة المفرغة للهواء، فاذا اديرت الآلة اخذصوت الجرس في الخفوت تدريجاً، حتى يكاد يتلاشى، بسبب خلو الناقوس من الهواء. اما الوسط الذي ينتقل فيه الضوء فهو غير الهواء، فنحن مثلاً نرى الضوء المنبعث من المصباح الكهربائي، والمصباح يكاد يكون مفرغاً من الهواء تماماً. فلو كان الهواء ضرورياً لانتقال الضوء، لما استطعنا رؤية ضوء المصباح. وكذلك



اذا وضعت لوحاً من الزجاج فوق ورقة مكتوبة ، امكنك رؤية الكتابة جلياً ، رغماً عن وجود منطقة بينك وبينها خالية من الهواء ، وهي المنطقة التي يشغلها الزجاج . ولفهم انتقال الضوء ، فرض العلماء وجود وسط سموه الاثير قالوا انه لا يرى ، ولا وزن له ، وانه شديد المرونة ، ويتخلل الاجسام كلها ، وبناء على هذا الفرض ، يعتبر الضوء تموجات في الاثير ، يحدثها الجسم المضيء ، كما يحدث الحاجر تموجات في الماء اذا التي فيه وبنظرية الاثير هذه ، يسهل فهم التلغراف اللاسلكي والتلفون اللاسلكي ، اي الراديو بسهولة . وعلى ذكر هذين نقول انه لا يوجد فرق جوهري بين التلغراف اللاسلكي والراديو الا ان الاول يسمعا دقات مختلفة ذات نظام متفق عليه ، يسهل بمقتضاه معرفة مدلولها ، وهذه الدقات هي الاشارات المستعملة في التلغراف المعتاد . اما الراديو فانه يسمعا الاحاديث والاغاني وغيرها بنصها تماماً . واجهزة اللاسلكي قسمان (١) اجهزة ارسال او اذاعة (٢) اجهزة استقبال وفي مصر عدد من محطات الارسال ، نذكر منها محطة رأس التين ( التي ارجو الا تقطع عليكم سياق المحاضرة بصفيها المزعج ) ومحطة ابي زعبل . وهذه المحطات عملها قاصر على ارسال الاشارات اللاسلكية الى السفن وغيرها وتلقي اشارات السفن كذلك . اما محطات الاذاعة الكلامية ، فيوجد منها محطة بالاسكندرية لصاحبها عز الدين افندي صالح وهي التي اخطبكم منها . والاخرى بالقاهرة بحمي شبرا . وجهاز الارسال يتألف من آلة تولد اهتزازات كهربائية شديدة ، وهي متصلة بسلك مرتفع يسمى « بالهوائي » وهذه الاهتزازات تحدث تموجات في الاثير ، كما يحدث وتر العود باهتزازه بموجات في الهواء ، فتأخذ في الانتشار حتى تصل آذاننا . والاهتزازات الكهربائية تحدث في حالة التلغراف بضغطة مفتاح ، وفي حالة الراديو بالكلام ، امام جهاز اسمه ميكروفون اي مكبر الصوت ، وهو الذي اتكلم امامه الآن و التموجات الاثيرية تنتشر في الفضاء ، مسافات شاسعة تبعاً لشدة الكهرباء ، الحديثة لها ، فتلتقطها الآلات اللاقطة المنتشرة في سبيلها ، والآلات اللاقطة تتألف من ثلاثة أجزاء رئيسية هي : الهوائي ، الحساس ، البوق . وستتكلم الآن بالايجاز على كل منها :

#### اولاً : الهوائي

هو عبارة عن سلك طويل معزول ، طوله يتراوح بين عشرين وخمسين متراً ، ويتجه ان يكون الهوائي معزولاً ، اي غير متصل بالارض بواسطة اجسام معدنية ، ولهذا يربط كل من طرفيه بعازل من الخرف ( اي الصيني ) ، ويربط هذا العازل في عمود خشبي ، بواسطة حبل ، ويوصل احد طرفي الهوائي بالجهاز ويوجد نوع من الهوائي سهل النقل ، يسمى بالهوائي ذي الاطار ، ويتركب من قطعتين



متعامدين من الخشب قد لفَّ عليهما سلك معزول بحيث تكون كل لفة على شكل مربع وهذا الهوائي يمتاز بالامرين الآتين : —

(١) يسهل نقله من مكان الى آخر

(٢) يمكن ادارته حول نفسه ، وتثبيته في الوضع الملائم الذي يستطاع فيه تلقي الاهتزازات بسهولة . غير ان للهوائي ذي الاطار عيباً واحداً ، هو انه يوضع بالطبع داخل الحجرات . فاذا كان المنزل مصنوعاً من الاسمنت المسلح ، او كان فيه مصعد ، او كان على مقربة منه اسلاك معدنية ، كاسلاك التليفون والتلغراف والترام ، فان هذه الحواجز المعدنية ، تحول دون وصول التموجات كلها الى الهوائي ذي الاطار ، وتلافياً لمثل هذا العيب ، يفضل مد الهوائي فوق السطح ، بحيث يكون مريضاً للجو ، دون ان تعترضه البنايات المجاورة

ثانياً : الحساس

انه من الصعب ادراك التموجات الاثرية لان هذه التموجات تحدث في سلك الهوائي بالتفافها فيه تياراً يتذبذب بسرعة هائلة اي يغير اتجاهه في الثانية الواحدة آلافاً من المرات وعلى هذا لا يتيسر ادراكه بواسطة سماعة التليفون مثلاً للسببين الآتين : ( اولاً ) لسرعة الذبذبات لا يتسنى لقرص السماعة مجاراتها ، فتلبث ساكنة : ( ثانياً ) اذا فرضنا امكان تذبذب قرص السماعة ، تبعاً لذبذبة الكهربائية فان الصوت الحادث لا يمكن سماعه لان الاذن الانسانية لا تستطيع سماع الاصوات التي ذبذباتها اكثر من ٢٠٠٠٠ ذبذبة في الثانية ولا الاصوات التي ذبذباتها اقل من ٣٠ ذبذبة في الثانية

ويتضح مما سبق ضرورة وجود جهاز يمكن به ادراك هذه التموجات . وقد اطلقنا على هذا الجهاز كلمة « حساس » وهو المسمى في الانجليزية Detector . وتوجد حساسات عديدة ، أبسطها الجهاز المعروف بالملتصق ( Coherer ) . والملتصق بسيط للغاية اذ يتركب من انبوبة زجاجية في وسطها قرصان من المعدن ، بينهما برادة الفضة ، وكل قرص منهما ملتحم بساق معدنية . واحدى هاتين الساقين توصل بالهوائي ، والثانية توصل بسلك يعرف بسلك الارض ، يدفن طرفه في ارض رطبة ، او يربط بماسورة الماء ونحوها

والملتصق في حالته الاعتيادية ، رديء التوصيل للكهربائية ، اي أننا اذا أوصلنا طرفيه ببطارية وجرس ، لم يندق الجرس ، لعدم استطاعة التيار المرور خلال البرادة . الا انه اذا وصل طرفاه كذلك بالهوائي وبالارض كما سبق ، وسقطت تموجات اثرية على السلك فانها تحدث فيه كهربائية ، تتذبذب من طرف الهوائي الى الارض ذهاباً واياباً ، مارة



بالملتصق ومرور هذه الكهرباء خلال الملتصق تسبب التصاق البرادة ، وتجعلها جيدة التوصيل للكهربائية ، فيدق الجرس . ويلاحظ في مثل هذه الحالة ان التيار الذي يمر من البطارية الى الجرس ، خلال الملتصق ، يكون ضعيفاً ، لعدم جودة توصيل البرادة ، وقد لا يستطيع دق الجرس ، فيستعمل لدق الجرس وغيره ما يعرف بالمناول (Relay) وليس هنا محل شرحه والملتصق لا يستعمل الآن ، فقد حلت محله اجهزة اداق منه ، نذكر منها الحساس البلوري (Crystal detector) والصمام الايوني (Ionic Valve)

تالنا : البوق

يستعمل لسماع الاشارات والاصوات اللاسلكية ، سماعة تليفونية او سماعة على شكل بوق ، وتستعمل الاولى اذا كانت الاشارات ضعيفة ، أو كان الغرض الانفراد بالسماع ، دون اشتراك الحاضرين فيه . اما السماعة البوقية ، فهي تكبر الصوت فيستطيع سماعه بواسطتها ، عدد كبير من الناس

مزايا اللاسلكي

ان مزايا اللاسلكي لا تقف عند حصر . فيه يمكن لركاب البواخر مخاطبة الذين على الارض ، التماساً لخبر ، أو استنجاداً لدفع كارثة . وكما كان الراديو سبباً في انقاذ آلاف من الناس ، لولاه لطواحم اليم ، وكانوا من الهالكين

وبواسطة الراديو يستطيع الطيارون مخاطبة أهل الارض . وفي الحرب العظمى كان الطيارون يحلقون في ميادين الاعداء ثم يعينون جيشهم مواقع العدو بواسطة الراديو فيقذفهم بنيرانه التي تحصد الارواح حصدهم الهشيم . وميزة الراديو على التلغراف او التليفون السلكيين لا تخفى على أحد ، فان كلاً من التلغراف او التليفون يتطلب مد أسلاك وهذا أمر شاق كبير النفقة ، اذا كان المكانان يفصلهما بحر أو جبل ، أو كانت المسافة بينهما كبيرة

والراديو لا يعد في البلاد الاجنبية الآن من الكماليات بل من الضروريات ، فان محطات الاذاعة فيها تذيع على الناس محاضرات علمية ، ودروساً في تدبير المنزل ، وأغاني وموسيقى وتذيع كذلك اناشيد وقصصاً قصيرة يسمعها الأطفال قبيل نومهم . هذا الى سماع خطابات السياسيين وإذاعة أبناء اللصوص واصنافهم في طول البلاد وعرضها ، وبهذا يسهل القبض عليهم والحيلولة بين شرهم والقوم الآمنين . وللراديو غير ما سبق مزايا لا توجد في الفنوغراف فهو يسمعك كل يوم جديداً لم تسمعه في امسك ، ويمتلك بالآغاني والموسيقى من مختلف الممالك ، ويثقفك بما يسمعك إياه من الدروس والمحاضرات

ولا بد لنا في هذه الكلمة من ذكر امكان استخدام الراديو في إدارة الآلات وغيرها على بعد شاسع منها . وقد نشرت التلغرافات في الشهر الماضي في أنحاء العالم نبأ إضاءة



ماركوني مصاييح معرض اللاسلكي في سيدني باستراليا بمجرد ضغطه على زر في يخته اليكثرا بنجر جنوى بايطاليا. وقد ارتج العالم لهذا النبأ بغيرداع ، بسبب خطأ وقع فيه بعض الصحفيين في اوروبا ، فقد نشروا هذا النبأ دون ان يفهموا كنهه . وخلطوا بين استخدام التمجوجات الاثيرية لادارة مفاتيح النور وهو الذي عمله ماركوني ، وبين إرسال القوة الكهربائية اللازمة للاشعال من ايطاليا الى استراليا . والمسألة الاخيرة تعد الا ن من المستحيلات من الوجهة العملية ، فان المحطة التي قيمتها ٥٠٠٠ جنيه لا تستطيع أن تبعث من القوة الكهربائية الا ما يعادل قوة ثلاثة احصنة ، وهذه القوة تنطلق في انحاء العالم ، فلا يصيب كل جهاز منها الا القليل ، فكيف توقع انارة المصاييح وادارة الآلات بهذه النفقة الطائلة ؟ ان هذا تبذير لا يتمشى مع مقتضيات الاقتصاد ، خصوصاً في الوقت الحاضر . وبهذه المناسبة اقول اني على اثر اطلاعي على الخبر السابق فكرت في طريقة رجحت أنها عين طريقة ماركوني ، وأجريت عدة تجارب لاشعال النور على بعد ، ونجحت التجارب نجاحاً باهراً ، وأظهرت استعدادي لانارة ادارة أي جريدة في مصر وانا بالاسكندرية ، وجرى لهذا الغرض حديث بيني وبين شخص ذي شأن في جريدة كبيرة ، إلا أننا لم نتفق على شيء مع هذا الشخص ، أولاً لأنه كان يلح إلحاحاً غريباً في معرفة تفصيلات الطريقة قبل الاتفاق ، وأنا أضن عليه بها . وثانياً لأنه استكثر النفقات وقد قدرتها بمائة جنيه مصري ، مع أنه تبين لي فيما بعد أنها تتجاوز المائتين . وعلى هذا عزمتم على أن اقوم باجراء بعض التجارب في حفلة عامة يحضرها من يشاء على نفقتي الخاصة ومن المسائل التي يشتغل بها العلماء الآن توجيه التمجوجات الاثيرية ، فان هذه التمجوجات تنطلق في جميع انحاء العالم ، كما تنتشر التمجوجات على صفحة الماء ، في دوائر تأخذ في الاتساع شيئاً فشيئاً فاذا نجح العلماء في توجيه هذه التمجوجات كان في الامكان إرسال الاشارات اللاسلكية مسافات شاسعة ، بنفقة قليلة ، لانها تصل قوية إلى الأجهزة المقصودة ، دون أن تملأ جوا الارض وما تمخض عنه الراديو الانسان الميكانيكي . وارى ان هذا الانسان يحوي في جوفه أجهزة مستقبلية كل منها يحرك آلة تقوم بعمل خاص ، لتحريك اليدين وفتح الفم وغير ذلك ، فاذا أرسلت اليه تموجات خاصة فانها تؤثر في جهاز لا يتأثر إلا بها ، ولا تؤثر الا فيه ، وعلى هذا يكون في الاستطاعة دفعه بقوة الراديو الى أن يؤدي أعمالاً ، لا يقوم بها في العادة الا الانسان العاقل . وقد اهتمدنا الى طريقة لتسيير السيارة دون أن يكون بها أحد بهذه القوة العجيبة ، ونظن ان المرحلة بين هذا العمل وبين الانسان الميكانيكي يسهل قطعها بالعزيمة والصبر

الاسكندرية

محمود خليل راشد

مدرس الكيمياء والطبعة بالمدرسة العباسية





## اسطورة الخليفة البابلية

### ٨ — خلاصة الآجرات السبع

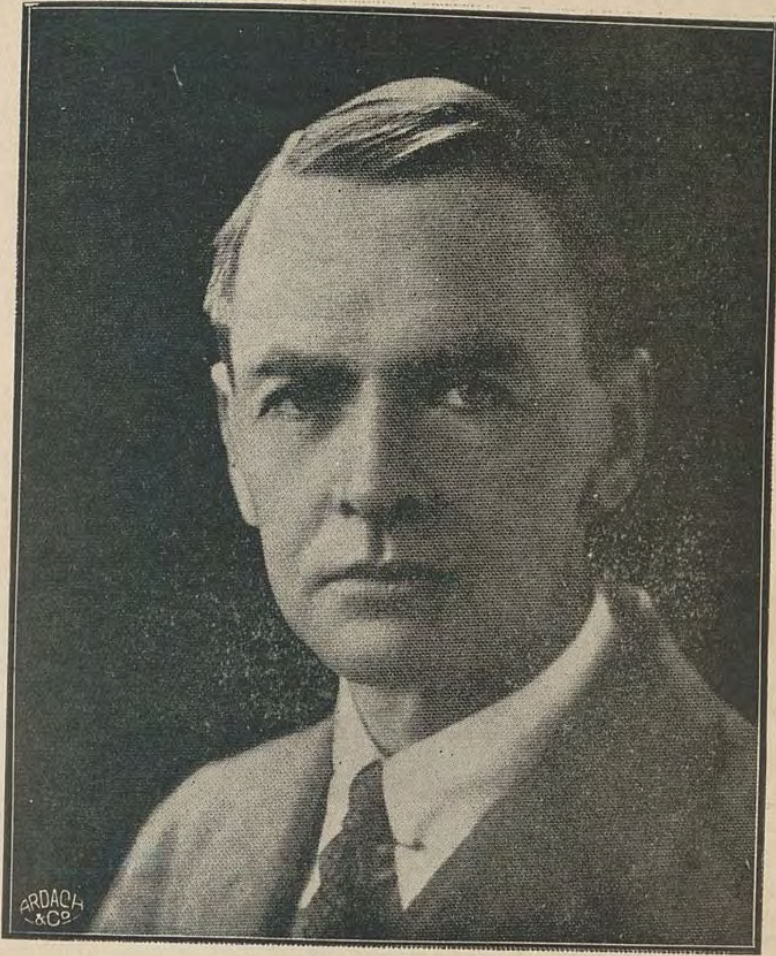
كل ما كان موجوداً في اول الامر ابسو ، اي الماء الخاوي الخالي المجهول اصله او زمن وجوده او موجدّه . وقد خرج من هذه الكتلة صنفان من الكائنات الهول (demons) والآلهة . وكانت هذه الهول مرعبة غريبة الشكل . قسم منها بشري والآخر حيواني ، اما الآلهة فكانت كلها صوراً بشرية

بعد مرور اعصر على هذه الحال ظهر الالهان « انشار وكيشار » . وكان الاول يمثل « قوات السماء » اما الثاني فيمثل « قوات الارض » . ثم مرت مدة لا يعرف طولها فظهرت الآلهة البابلية فجاء معها « النظام » الى الكون فاضطرب ابسو سيد « الفوضى والفراغ » لذلك استشار زوجه تيامات (Tiamat) في الطريقة التي يتمكن بها من القضاء على هذا « النظام » واعادة الفوضى الى الكون . وتيامات هذه مخيفة المنظر غريبة الشكل جداً . لها اجنحة ومخالب طويلة ، وجسمها يتخذ مرة شكل حية ضخمة واخرى شكل حيوان كبير ، والظاهر ان فكرة القوم عنها انها كانت تجمع في نفسها كل مظاهر القوة والرب . . . وكانت مع ذلك « ام كل شيء »

كان رسول ابسو وتيامات في هذه المخبرات « موئو » وكانت نتيجةها قيام قتال بين الآلهة والهول كانت غايته ان تقضي قوى الظلام على قوى النور فتعيد الفوضى الى الكون . وفي هذا العراك كانت الآلهة هي الشمس والقمر والنجوم . والهول الظلام والليل والشر . وقام « ايا » الاله بالنيابة عن الآلهة فتغلب على ابسو ومومو . وكان سر تغلبه يعود الى ما كان معه من التعاويذ التي قرأها فشلت ايدي الآخرين عن مناجزته . فلما بلغ ذلك مسامع تيامات ثار نائرها وصممت على الانتقام لموت زوجها ابسو . فأخذت في الاستعدادات الجديدة بزيادة عدد اعوانها . فجاءت بنسل من الشياطين والمردة لنصرتها وكان نسلها يمثل الضباب والغيمة والسحاب والزوابع والاعاصير والبرق وكل بقية العناصر المدمرة واستدعت قوى الهواء لمعاونتها وجعلت لها بين نجوم السماء اعواناً وسلمت قيادتها كلها للاله « كنجو » الذي اتخذته زوجاً لها . وقرأت عليه تعويذة وسأحته بقوى سحرية فسار كنجو مع جيشه لقتال الآلهة

اضطرب ( ايا ) لهذا النبأ الذي ازعجه وأقضى مضجعه لعلامه بهجزه عن مقاتلة كنجو





المستر ليونارد وُلي

مدير بعثة جامعة بنسلفانيا والمتحف البريطاني المشتركة التي  
انقضى عليها ثمانى سنوات تنقب في اطلال اور الكلدانيين



وأبلغ « انشار » حقيقة الحال التي ازعجت الاخير هذا لانه لم يكن يعرف بين الآلهة كفواً لكنجو وتيامات . وبعد تفكير ارتأى انشار ضرورة عقد اجتماع من الآلهة وحمل ابنه مردوخ على حضور هذا المؤتمر الالهي الذي قبل فيه ان يقاتل تيامات بالنيابة عن اهل السماء . وكان مردوخ « الاله الشمس » اكبر قوى النور فجاء المؤتمر ليحصل على تعيين بالاجماع قبل ان يبدأ بعمله وتسلحه الآلهة بالقوى السحرية التي تقيه وتعينه . واقيمت هناك (مكان المؤتمر) حفلة كبرى فلما جاء الآلهة وقبلوا بعضهم بعضاً وأخذ كل مكانه شربوا الخمر الحلو الدافئ وأكلوا الخبز فائرت رائحة الخمر في حواسهم، وغندها عينوا مردوخ نائباً مدافعاً عنهم، ثم جبهه مليكاً عليهم وخلعوا عليه شارات الملك وهي العرش والصولجان والبالا (التي لا يعرف عنها شيء) . وأمره ان يذهب فيقطع تيامات ارباً ارباً ويفرق دمه اخذ مردوخ يسلاح نفسه فحمل قوساً وحرأوة . وملاً نفسه ناراً وسير البرق امامه . وأخذ معه شبكة لاصطياد تيامات، وأثار العواصف الهوجاء لمعوتته وركب الزوبعة التي جرتها اربعة خيول اقرب مردوخ من وسط تيامات ونظر الحطة التي وضعها كنجو المقيم هناك وادركها فلما رأى كنجو وبقية اعوانه مردوخ واستعداداته اضطربوا واسقط في ايديهم حتى انهم لم يستطيعوا حراكاً . فلما رأت تيامات ذلك منهم حنقت عليهم واشتد غيظها ، فلما دهاها مردوخ لمنازلته بدأت التعزيم قصد تقييده برقاها وسحرها ، فلم يؤثر ذلك فيه . عندها التي مردوخ شبكته عليها ونفخ الريح في وجهها فمالات احشائها فطعنها بحربة شقتها شطرين . اراد اعوانها الهرب فهاج مردوخ الرياح الاربعة عليهم فلم يتمكنوا من التحرك في جهة ما ، وبذلك قبض مردوخ على تيامات واعوانها الاحد عشر وداسهم ، ثم فلق رأسها بهراوته ، فأتى عليه الآلهة وأجازوه على حسن صنيعه بتخليصهم من هذا الخصم العنيد وشق مردوخ جسم تيامات قسمين جعل من الواحد قبّة السماوات ومن الآخر الارض . ثم خلق مساكن الآلهة الاولى ، والنجوم كلها ، ووضع القوانين والانظمة لحركتها وسيرها لكن الآلهة ضجروا واحتجوا بأن ليس هناك من يعبدهم ، وليس من يقدم لهم القرابين والضحايا ، فاعلن مردوخ رغبته في خلق الانسان من الدم والتراب ، وبعد استشارة الآلهة وعقد اجتماع لها قرر المتجمعون ان يكون كنجو ، وهو المثير للقتال ، الاله الذي يقتل المزج دمه بالتراب لخلق الانسان . وهكذا كان . وصنع الانسان من مزيج دم كنجو والتراب وأراد الآلهة ( انوناكي ) ان يعظموا مردوخ فبنوا له هيكلًا في بابل . فصنعوا اللبن بأنفسهم . وبنوا له « اساجيل » فلما تم هذا الهيكل خص مردوخ كل اله بمكان فيه هذه خلاصة القصة على ما روتها الاجرات السبع التي يبلغ مجموع سطورها المقروءة



فقط ما يزيد عن الثمانمائة — وفيما يلي ترجمة الاسطر الاخيرة التي ختمت بها القصة

وتبدأ بالسطر ١٢٥ من الاجرة السابعة

١٢٥ — فليأخذها اول قادم ويقرأها

١٢٦ — فليفكر الرجل العاقل والمتعلم في كل منها

١٢٧ — على الاب ان يقرأها ( يعيدها ) امام ابنه حتى يتمكن منها

١٢٨ — فلتفتح اذن الراعي ومراقب الأبقار ( اي لتعطه الفهم )

١٢٩ — فليتهلل بمردوخ رب الارباب

١٣٠ — كيما تخصب ارضه ، ويعيش آمناً

١٣١ — كلمته كلمة حق ، وناموسه لا يتغير

١٣٢ — ليس بين الآلهة من ينطق بما ينطق به هو [ مردوخ ]

١٣٣ — الذي [ اي مردوخ ] احتقرته الآلهة فلم يولهم ظهره [ لم يهرب ]

١٣٤ — [ الذي ] ليس لاله ان يقاوم سخطه اذا ما بلغ غايته

١٣٥ — قلبه كبير — واحشاؤه بالرحمة ملائ

١٣٦ — .. .. .

١٣٧ — فليتألم امامه من الذل اول قادم

اما ضمير المؤنث السالم المستعمل في السطور الاولى فيعود إلى « الاسماء » والاسماء هذه خمسون اسماً مقدسة لمردوخ كانت تدل على قداسته وقدرته وعظمته وجبروته ووسطوته الخ ...

#### ٩ — تعليقات واستنتاجات

١ — نرى في هذه القصة اعتماد الآلهة على العواصف والرياح والزوايع اعتماداً كبيراً. وما اظن ان استخدام الرياح والتسلط عليها كان مجرد مصادفة او اختراعاً ابنى به القصصون ولكن الذي يمكن استنتاجه من هذه الحالة ان اصحاب القصة الاصليين كانوا يعبدون « الاله الريح » ، ومن ثم كان طبعياً ان يجعلوا الريح رهن اشارته . واذا عرفنا ان السومريين القدماء الذين سكنوا بين النهرين في فجر التاريخ كانوا يعتبرون الههم « انليل » اله الريح — فاننا لا نستبعد ان يكون واضعو القصة الاولون من هؤلاء القوم

على ان هناك اموراً اخرى تثبت هذه الفكرة — ذلك ان القصة تعود بنا الى زمن كانت فيه بلاد بين النهرين ماء في ماء . وليس فيها الا بعض بقع يابسة ظهرت شيئاً فشيئاً كما يدل سياق القصة. ولما كان التاريخ يعرف ان هؤلاء السومريين هم اقدم شعب سكن تلك البلاد — فليس من المستبعد ان يكونوا هم اول شعب حاول شرح هذه الظاهرة الطبيعية — اي خلق



الانسان — فوضعوا هذه القصة — ولما كانوا قد شهدوا حالة البلاد الاولى بقيت في اساطيرهم هذه ومن هذه الفكرة نفسها يمكننا ان نثبت ان اصل الاسطورة سومري . ذلك ان القوم الذين نشأت القصة بينهم يتحدثون عن العالم وهم يقصدون ارضهم ، بهذا العالم ، وهذا دليل على انهم لم يكونوا يعرفون الشيء الكثير ولا القليل عن البلاد المجاورة فلم يرد لها ذكر فيما قصوا او كتبوا . ولو كان البابليون المتأخرون او الاشوريون اصحاب القصة لكان من الضروري ان يشاروا الى ذلك اشارة على الاقل ...

ولو سلمنا مع الدكتور هول صاحب كتاب « تاريخ الشرق الادنى القديم » بان شعباً سامياً سكن بين النهرين قبل السومريين ، لما نقص ذلك شيئاً من قيمة هذه الحقيقة التي وصلنا اليها . ذلك لان هذا يعني ان هذه القصة ظهرت بينهم ، فلما جاء السومريون اخذوها عنهم فغيروها بحيث توافق عقلمهم ومزاجهم حتى ضاع الاصل السامي فيها . ويعود ذلك الى ان السومريين الدخلاء كانوا على رأي الدكتور هول ، على جانب من المدنية كبير ازاء اولئك السكان الاصليين ، فكان من الطبيعي ان تقضي الشخصية القوية المتمدنة على تلك الضعيفة وتعطي القصة من روحها شيئاً يكفي لصبغها بالصبغة السومرية

اما وجود اسم الاله مردوخ في القصة فليس دليلاً على بابليتها او عموريها . ذلك لان هذا الاسم هو عوض او بدل لاسم انليل الاله السومري . فان هذه القصة كان لها تأثير كبير في اذهان الشعوب التي سكنت بين النهرين بحيث انها كانت تراثاً ادبياً لكل آت . فكانت الشعوب تقتبسها ، سيما وانها قصة ، انتقلها وحفظها اسهل من انتقال اي شيء آخر وحفظه . ثم تأبى عليها كرامتها ان تقر بافضلية اله غير الهها ، فلا تلبث حتى تدخل اسم الهها القومي مكان اسم الاله الاول . فلما كانت بابل وكان ما كان من فرض سيادتها على بين النهرين في عصر حمورابي ، ذاع اسم الهها بين كل القاطنين هناك ، فقبلوا بمردوخ بطلاً لهذه القصة التي كان القصد منها تفسير هذه الظاهرة الطبيعية

٢ — وهذا الاتفاق على اعتبار مردوخ هذا الاعتبار ، وانزاله هذه المنزلة ، واحلاله هذه المكانة بين سائر الالهة ، واعتراف الالهة بسلطته ورفعته ، حمل البعض على الاعتقاد بوجود التوحيد ، بين امم بين النهرين القديمة ، ولكن هذه الظاهرة التي قدمنا تفسير حتى سبب هذه الحال ، كما تغنيها عن التدليل على بطلان هذه العقيدة ، ولعل سبب عدم وصول هؤلاء الشعوب الى فكرة التوحيد ، فضلاً عن عوامل اخرى هو « ان الشرقيين القدماء لم يكن عندهم فلسفة للبحث عن اصل الاشياء ..... بل كل ما نجد اساطير مبنوية تتعلق باصل الاشياء ولها صبغة دينية [ قوية ] ، اذ لا تشير الى كيفية التكون الا



بواسطة الرموز، وبذكر اعمال الآلهة والابطال...» (الاستاذ جويدي - الزهراء - ٣٤٣:٥) فلما لم تكن للشرقيين فلسفة نظرية، لم يحملهم ذلك على التفكير في الكون ودرسه فلم يوفقوا الى الاهتداء الى فكرة التوحيد. ولا بد هنا من الاشارة الى ان الدكتور وليس بدج يعتقد انه ان كان هناك شيء من فكرة التوحيد، فلم يكن يتعدى الكهنة، اما الشعب فلم يعرف شيئاً عن الخليفة الا ما كان يفهمه من هذه الاسطورة الشائعة

٣ — من هذه الاسطورة يمكننا ان نصل الى امرين. الاول ان قوى النور وقوى الظلمة كانت في قتال. والثاني ان الاله «الخالق»، كائناً من كان، اختلف مع بقية الآلهة اما الاول فنجدته او نجدشيتها له في آداب الامم الاخرى الميثولوجية. فهذه قصة النزاع بل القتال بين «حدود» اله السماء العظيم و«ست» قائد قوات الظلام شاهد على ذلك بل هناك شاهد اكبر وأبعد أثراً ذلك هو المذهب الزروستري كله. فانه لا يخرج عن كونه فكرة اصطدام دائم بين قوى الخير والشر — قوى النور والظلمة — النور والظلام وليس المقصود ان هذه الفكرة الآرية اخذت عن تلك، كما اتنا لسنا نكرها فليس هذا او ذاك في مقدورنا، في هذه الحال

اما الامر الثاني فأبعد أثراً، وقد تسرب من الامم الاولى التي سكنت بين النهرين الى كل من خلفهم ثم وجدت لها مرتعاً خصباً في الآداب العبرانية والمسيحية الدينية فهذه كلها تعترف بأن خصاماً حدث بين الآلهة وفئة من الملائكة لكنها لا تذكر اسبابه اما في اساطير الامم الاولى فتجعله بعد خلق الانسان، مما قد يحملنا على الاعتقاد بأنهم كانوا يعتقدون ان هذه الخليفة اثارت هذا الخصام. وأما الآداب العبرانية المسيحية فتنسب هذا الخصام — وهي تسميه غضب الرب على الشيطان وأعوانه — الى عصيان الشيطان خالقه ومحاولته مخالفته — فعاقبه الله عقاباً شديداً جزاء ما جنت يده

٤ — كان السامي، في حياته الاولى، يعتقد بأن لكل شيء في الحياة الهاً خاصاً فكان يرى في الشجر والاحجار ونباتات المياه و... ولم تكن الكواكب لتخرج عن ذلك. فانه اعتبرها ذات قوى الهية أو آلهة، وربط اسماءها باسماء آلهة. فلما كانت بعض هذه الكواكب من اعوان تيامات اي «فئة الشر» والظلام، ارتبطت اسمائها بالشر وبالاعمال السيئة، ومن هنا اصل ما نراه من تشاؤم عند الاقوام على اختلافها من بعض الكواكب او النجوم

١٠ — الاسطورة البابلية وقصة التكوين

مقابلات واستنتاجات

لن ننقل الى القارئ القسم الذي فيه قصة الخليفة من فصل التكوين، فان قراءته



سهلة على كل من اراد . وانا ندعو كلاً الى قراءته حتى يتسنى له الحصول على فكرة تامة واضحة عن الامر الذي نريد ان نبث فيه الآن . فقد قابلنا الاسطورة البابلية بسفر التكوين فظهرت لنا بعض النتائج التي نعرضها فيما يلي : —

١ — جاء في العدد الاول من الاصحاح الاول من سفر التكوين « في البدء خلق الله السموات والارض » والذي يفهم من هذا ان الله موجود قبل كل شيء ، والا لما استطاع خلق السموات والارض . اما القصة البابلية فتبدأ بذكر العدم . وتشير الى وجود « الكتلة المائية التي تسميها ابسو . والذي يجب ان يفهم من هذا الامر ان « ابسو » هذا ذو قوة الهية او هو اله بنفسه . يؤيد هذا انه لم يكن لدى الامم الاولى شيء ليس فيه قوة الهية ابداً . وهنا نرى الاتفاق الضمني بذكر الاله قبل كل شيء

٢ — الاسطورة البابلية وسفر التكوين يتفقان في الاشارة المزدوجة الى الجلد ( السماء ) ففي الاولى ان مردوخ خلق السماء من نصف تيامات ، ثم يعود الى ذكر رفع الجلد و اقامته . كما ان التكوين يذكر خلق السماء ( العدد الاول ) ثم يعود الى ذكر عمل الجلد ورفع في العدد السابع

٣ — تتفق الروايتان في ترتيب خلقة المواقيت والزمن وخلق الكواكب بالنسبة الى بقية الحوادث الاخرى . ويرى الاستاذ برستد ( العصور القديمة — ١١١ من النسخة الانكليزية ) ان اليهود ورثوا التقويم القمري من السومريين . ونحن نرى انه اسهل جداً ان يرث اليهود قصة خلق النجوم من ان يرثوا التوقيت . ذلك لان القصة على اللسان اسير وفي النفوس اكثر تأثيراً

٤ — تقول الاسطورة البابلية بأن القمر اعطى ضياؤه اي نوره وجعل « حارس الليل » . وفي التكوين ( ١ : ١٤ ) « وقال الله لتكن انوار في جلد السماء » وفيه ايضاً ( ١٦ : ١ ) « وجعل النور الاصفر ( اي القمر ) لحكم الليل » جاء في « تفسير التوراة — الجزء الاول — ص ٥٩ » في شرح العدد الرابع عشر « . . . انوار هنا تقابل امارات العبرية — فهو غير الاوار ، اي النور . . . ولم يكن بالمارات نور حين خلقها ، فأمدّه ( اي القمر ) الله بالنور المخلوق قبلاً . . . »

لا نستطيع القول بأن هذا التدقيق في الرواية كان صدفةً او اتفاقاً

٥ — « قال الله لنعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » ( تكوين ١ : ٢٦ ) جاء في « تفسير التوراة — الجزء الاول — ص ٨٦ » بهذا الخصوص « . . . وضمير المتكلم في قوله لنعمل . راجع الى الملائكة . فالخطاب على لسانهم بأمره ، كذلك الضمير في قوله



كشبهنا . فإن الله عز وجل منزّه عن التشبيه . والمراد به ان يكون الانسان بمنزلة الملائكة من جهة ماله من سمو شرف النفس وانفراده دون سائر الحيوانات بقوة العقل والادراك...» والذي نفهمه من هذه الفقرة وجود الملائكة في السماء . وهي مخلوقات بين الاله والبشر وبعبارة اخرى فهي من اعوان الاله ومثل « فئة الخير » . وهنا تتفق الروايتان في ان الاله خلقت لها اعواناً . ففي الاسطورة البابلية ان كلا من مردوخ وتيامات خلق اعواناً له ٦ — في التكوين ( ٢ : ٧ ) « . . . نفخ ( اي الله ) في انفه ( اي الانسان ) نسمة

حياة ، يقابلها في الاسطورة البابلية اراقة دم كنجو لمزجه بالتراب الذي جبل منه الانسان والعمل واحد من حيث جوهره ويقصد به افهام الحقيقتين الآتيتين : الاولى ان هذه النفحة وهذا الدم هما الحياة والروح التي يحيا بها الانسان والثانية ان هذين هما سبب ما في الانسان من إدراك وفهم . فنسمة الحياة « الالهية » « ودم كنجو » شيء واحد ، وواسطة واحدة لذلك ٧ — يذكر التكوين خلق اربعة انهر اما الاسطورة البابلية فتذكر اثنين فقط .

وهذان الاثنان ، ادجلات ، وبوراتو هما نفس حدافل والفرات . ومن المنتظر ان يكون اليهود الذين تجولوا في الارض اقدر علي معرفة الانهار من اهل القصة البابلية الاصليين الذين لم يعرفوا إلا هذين النهرين او على الاقل لم يتأثروا بغيرها تأثراً محسوساً ٨ — والذي يجب الاتباه له خاصة هذا الشبه بين المصدرين فيما يتعلق بالحياة .

فالتكوين يعتبر الحياة احيل الحيوانات واقدرها على مناهضة الانسان ، بدليل ما جاء فيه « . . . واضع عداوة بينك ( الخطاب للحية ) وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها ( تكوين ٣ : ١٥ ) والاسطورة البابلية تعترف ضمناً بذلك ، اذ يشير الى ان هذا الشكل هو واحد الاشكال التي اتخذتها تيامات لتلقي الرعب في نفوس اعدائها . ودوام العداء بين تيامات ومردوخ ، هو عداء دائم بين الحية واعوان مردوخ . فالعداء المستحكم متفق عليه في الروايتين ، والانسان من اعوان الله . فكان الامر عداء بين الحية ( ممثلة الشر ) ومثل الخير . وهو واحد في طبيعته . . . وانما الخلاف في التعبير بالنسبة للقومين

#### ١١ — المشكلة الكبرى والخلاف الجوهرى

يمكثنا الآن ان نقرر امرين بعد هذه المقابلات والاستنتاجات . وهما : —  
اولاً : ان اكثر التفاصيل تتفق في الروايتين الى درجة بعيدة عن حدود المصادفة والاتفاق من جهة ، وانها في بعض اختلافاتها هي اختلاف عرض لا اختلاف جوهر  
ثانياً : — ان نقطة الخلاف الاساسية تدور حول فكرة الاله . ففي البابلية ان الاله منذ البدء قسبان او قشان — فئة الخير وفئة الشر وكانت الواحدة تناهض الاخرى . اما



العبرانيون فقد اعتقدوا ان كل شيء حتى الهول والشياطين هي من مخلوقات الله (يهوه) اي انه واحد منذ البدء . وهذا ما نريد ان نستجليه الآن

ان فكرة الاله او النظرية الالهية تطورت عند العبرانيين الى درجة لم تعرفها الامم السامية الاخرى . وقد قبض لهم ان يحيط بهم امور خاصة ، وأحوال لم تكن لغيرهم ، اعانت الفكرة الدينية على ذلك . ومن ثم اتيح لهذا القوم الذي كان يعتقد بوجود اله لكل شيء او جزء من الارض او برّ الخ . . . والذي كان يعبد هذه الآلهة — اتيح له ان يكون اول امة اخرجت « التوحيد للناس » . ( واني احيل القارئ على الفصل السابع من كتاب العصور القديمة لبرستد وعلى الفصل السابع من كتاب تاريخ حضارة فلسطين للاستاذ مكستر ليطلع على درجات هذا التطور ومراحله )

فلما اخذ اليهود بكتابة تاريخهم ، ليثبتوا فيه انهم شعب الله الخاص ، كان عليهم ان يبدأوا ذلك بالخليفة ليحلوا مشكلة « بدء العالم » لان ذلك متصل بفرضهم اتصالاً وثيقاً وكانت الاسطورة البابلية قد انتقلت اليهم اثناء اقامتهم بين النهرين ، واصبحت جزءاً من تقاليدهم وعاداتهم ، لكنها خضعت لما خضع له كل ما كان عندهم من آراء دينية من التطور . وكانوا يرون فيها — على ما كان يسمح لهم تفكيرهم — حلاً لمشكلة الخليفة ، فقبلوها في كتابهم . ولكن الكاتب الذي دوّن سفر التكوين — ولا فرق في ان يكون موسى على ما يرى البعض او مؤرخاً مجهولاً على رأي برستد او يوسف على تحقيق الاستاذ جبرضومط — كتب هذه القصة البابلية الاصل — او السومريّة على الاصح — متأثراً بعامل التوحيد الالهي . فلما اراد ان يشير الى ما كان في عصيان بعض المخلوقات على الله — وهي فكرة النزاع بين مردوخ وتيامات نفسها — اضطر الى القول بان الشيطان والهول . . . هي من خلق الله ايضاً . لكنها عصته اذ ليس في استطاعته ان يأتي بغير ذلك لخالفته لعقيدة قومه وزمنه . وبذلك تمكن من التوفيق بين الاسطورة التي كانت تفسر مظاهر الطبيعة وخلق الكون، وبين عقيدة قومه الدينية

#### ١٢ — النتيجة

يتضح لنا مما تقدم ان اسطورة الخليفة البابلية هي اصل قصة الخليفة العبرانية المدونة في سفر التكوين . والفرق يعود الى ما مرّ على العبرانيين من ايام ودهور اختبرت فيها اشياء جديدة ، وتطوّرت على شكل لم يتح لغيرها . وكان طبعاً ان تظهر آثار هذا التطور في هذه القصة الدينية — على النحو الذي نراه في سفر التكوين

نقولا زياده

عكا ( فلسطين )





## مجلد بن موسیٰ الخوارزمی

### الریاضی العربی

من اغرب ما نشهده اليوم ان عقلاء الغربین یعترفون بما لحضارة الشرق من فضل على حضارتهم التي یعمون بها وان ینتوا من ینکر ذلك بل ربما دفع الغلو ببعضنا الى التنقص من أسلافه والاستخفاف بكل ما هو شرقي، ولكننا لو تدبرنا الامر قليلاً وبجشنا عن منشأ هذا الغلو لوجدنا له مبرراً. أن تاریخ رجالنا السالفین قد احيط بعضه بسحب كثيفة من الابهام وفقد البعض الآخر منه، وكان للخمبول والكسل حظهما في اہمال كثير من اعمال الرجال الآخرين. ووقفه قليلة عند رجال الادب نجد ان هؤلاء — وهم اوفر من غیرهم حظاً في البحث والتحليل — لانزال شخصياتهم غامضة ولم یتيسر الا لقليل منهم ان یدرس حق دراسته. فما عسى ان يكون حظ غیرهم كالریاضیین والطبیعیین مثلاً من الابهام والفوص على كنوزهم والتنقيب عن آثارهم مادما حتى يومنا هذا لا تمتع بكتاب علمي عليه طابنا العربی وسمة ثقافتنا الشرقيّة. قلنا ان هذا الامر مبرر لغلو بعضنا ولكن هذا التبریر هو حجة علينا اذ من الواجب لازالة هذا الغلو ان تتولى امر الكشف عن حقيقة رجالنا وآثارهم بانفسنا ومتى تم لنا ذلك لا یبقى موضع للادعاء بان العرب لم یكونوا يوماً مخترعين مستنبطین وانهم ليسوا الا نقلة عن غیرهم من الامم. ان للعرب عدا نقلهم عن اليونان والهند اضافات هامة تعتبر اساساً من اساس الحضارة الاورویبة القائمة الان. وللعرب فضل مذکور معترف به عند المصنفین من علماء الغرب في تقدم الکیمیاء والجبر والمثلثات والفلك وغیرها من العلوم. بل العرب هم الذين اضافوا الى علم الفلك شيئاً كثيراً بعد ما نقلوه وهم الذين دونوا اصوله ورتبواها وقل مثل ذلك في علم الجبر الذي لم یکن معروفاً تماماً عند اليونان فاكتشفوا كثيراً من نظریاته التي نعرفها الان ووضعوا حلولاً جبرية وهندسية لمعادلات ابتدعوها مختلفلة التركيب. وفي الحساب اضافوا اشیاء هامة ولا سيما في نظرية الاعداد ویقال ان العرب هم اول من استعمل لفظة (صفر) لنفس المعنی الذي نستعمله نحن، اما فی المثلثات فقد تفتنوا فيها كثيراً، وكان لهم فيها باع طویل جداً، والیهم يرجع الفضل في اكتشاف قانون تناسب الجيوب، وحسبهم فخراً انهم اول من اكتشف قانوناً عاماً لحل المثلثات الكرویة. واول من وضع



الجدول الرياضية لنظير الماس والقاطع ونظيره (١)

وبعد فإن الخوارزمي أحد الذين كان لهم الفضل الأكبر في تقدم العلوم الرياضية وفي ترتيب اصول اهم فرع فيها — الجبر — وقد قال عنه احد علماء الغرب بأنه اعظم رياضي عربي ظهر في عصر المأمون (٢) وهذا القول هو الحقيقة عينا

وخلط الافرنج بينه وبين ابي جعفر محمد بن موسى بن شاكر فكان يعرف لزمن طويل بهذا الاسم أي بأبي جعفر. والخوارزمي من اصل تركي (٣) ولد في خراسان واقام في بغداد وكان احد اعضاء البعثة التي ارسلها المأمون الى الافغان للبحث والتنقيب وللخوارزمي عدة مؤلفات في فروع مختلفة ولاسيما في الرياضيات والفلك ، فقد كان بحاجة مجاً للاطلاع على علوم الاولين — شأن علماء عصره — وكان من نتيجة درسه واطلاعه ان اخرج كتاباً في الجبر سماه : « كتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة »

ويقال ان الخوارزمي اول من وضع الجبر بشكل علمي واول من ألف فيه ، وهذا القول الاخير لم يرد في مؤلفاته ولكننا نرى ان ابن خلدون يقول في مقدمته بأن الخوارزمي اول من ألف كتاباً في الجبر والمقابلة . ولا تزال هذه المسألة موضع البحث والمناقشة بين العلماء كما كانت في زمن الخوارزمي. وورد في مقدمة كتاب « كتاب الوصايا بالجبر والمقابلة » لابن كامل شجاع بن اسلم ما يشير الى أن الخوارزمي اول من طرق علم الجبر (٤) . وورد أيضاً في مقدمة كتاب « كتاب الجبر والمقابلة » لابن كامل المذكور اعتراف صريح منه بأن الخوارزمي سبقه في وضع كتاب في الجبر (٥) وورد أيضاً ما نصه « ... فألفت كتاباً في الجبر والمقابلة رسمت فيه بعض ما ذكره محمد بن موسى في كتابه وبينت شرحه واوضحت ما ترك ايضاحه وشرحه » (٦) فشرح ابي كامل لبعض المسائل الغامضة في كتاب الخوارزمي لا يقلل من قيمته بل على الضد من ذلك يرفع من شأنه

وقد ألف الخوارزمي كتابه الذي نحن بصدده لاسباب كثيرة منها انه رأى احتياج الناس الى كتاب يعينهم في معاملاتهم التجارية وفي مسح الاراضي وفي حل المسائل التي يصعب حلها حلاً حسابياً ، وهو اول من استعمل لفظة « جبر » للعلم المعروف الآن بهذا

(١) مجلة الكلية : ايار سنة ١٩٢٨ صفحة ٢٦٩ (٢) سميث : تاريخ الرياضيات صفحة ١٧٠

(٣) صالح زكي : آثار باقية : جزء ٢ صفحة ٢٤٧

(٤) صالح زكي : آثار باقية : صفحة ٢٤٨

(٥) » » » ٢٤٩

(٦) » » » ٢٤٩



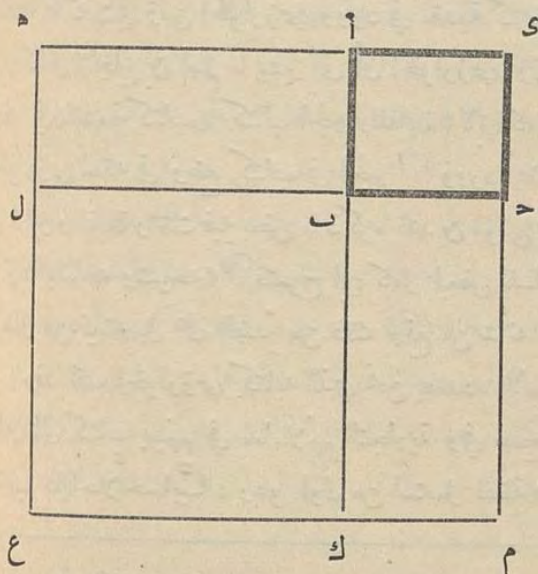
الاسم ومن هنا اخذ الافرنج هذه اللفظة وسموها بهذا العلم . ويقسم ( كتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة ) الى خمسة ابواب

الباب الاول يبحث في المعادلات ذات الدرجة الاولى والثانية وكيفية حلها . وقسم المعادلات الى ستة اقسام  $ب^2 = ح$  ،  $ب^2 = ح + د$  ،  $ب^2 = ح + د + س$  ،  $ب^2 = ح + د + س + ع$  ،  $ب^2 = ح + د + س + ع + ف$  ،  $ب^2 = ح + د + س + ع + ف + ز$  (٤)

واستعمل الخوارزمي الجذور الصحيحة الموجبة ، ولم يجهل ان المعادلة ذات الدرجة الثانية لها جذران ، واستخرج جذري المعادلة اذا كانا موجبين وصحيحين

وفي الباب الثاني براهين بعض القوانين الجبرية بطرق هندسية اما في الباب الثالث فقد توسع في نظرية ضرب المقادير الجبرية مثل ( س - ب ) في ( س - ح )

ويشتمل الباب الرابع على حلول كثير من المعادلات بطرق هندسية ، ولا يبين ما لهذا البحث من المقام اقدم المثال الاتي



$$س^2 = ٨س + ٢٠$$

نفرض أن ( ح ب ) = س  
ثم ننشئ المربع ا ، ح ، ونمد  
س ا ، س الى هـ ، م

على شرط ان يكون ا هـ = ح م =  $\frac{١}{٣} \times ٨ = ٤$  ، وبعد ذلك نكمل الرسم كما نرى في الشكل



مساحة المربع  $ا = س \times س = س^2$

مساحة المستطيل  $ب = ٢ \times س^2$  او  $٢ \times ٢ س$

مساحة المستطيل  $م = ٢ \times س^2$  او  $٢ \times ٢ س$

وحينئذ  $س^2 + ٨ س$  تساوي مجموع مساحة المربع  $ا$  ومساحتي المستطيلين  $ب$  و  $م$ .

ولكن  $س^2 + ٨ س = ٢٠$

لذلك مجموع مساحة المربع  $ا$  والمستطيلين  $ب$  و  $م$  يساوي ٢٠

ولكن مساحة المربع  $ب = ٤ \times ٤ = ١٦$

فاذا اضفنا مساحة  $ب$  الى كل من الطرفين نتج أن :

$س^2 + ٨ س + ١٦ =$  مساحة المربع  $ا$  + مساحة المستطيل  $ب$  + مساحة

المستطيل  $م$  + مساحة المربع  $ب$  ع

ولكن  $س^2 + ٨ س + ١٦ = ٢٠ + ١٦ = ٣٦$

ومساحة المربع  $ا$  والمستطيلين  $ب$  و  $م$  والمربع  $ب$  ع تساوي مساحة المربع  $د$  ع

. . . مساحة المربع  $د$  ع = ٣٦ اي ان الضلع  $د$  م يساوي ٦ ولكن  $د$  م

يساوي  $س + ٤$

. . .  $س + ٤ = ٦$

. . .  $س = ٢$

ويشتمل الباب الرابع أيضاً على قوانين لجمع المقادير الجبرية وطرحها وضربها وقسمتها وعلى كيفية الرفع الى القوى واستخراج الجذر التربيعي

وفي الباب الاخير تطبيقات على بعض النظريات ومسائل رياضية نرى من نمطها في كتب

الجبر التي تدرس الآن في المدارس الثانوية

وكتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة له شأن تاريخي كبير اذ كل ما ألفه العلماء

فيما بعد كان مبنياً على الكتاب المذكور . وقد ترجمه الى اللاتينية<sup>(١)</sup> في القرن الثاني عشر

الميلاد روبرت اوف شستر Robert of Chester ومما يؤثر عن هذا الرجل اهتمامه الكبير بآثر الشرق في الرياضيات فقد ذهب الى اسبانيا ودرس في برشلونه وهو (اي روبرت)



اول من ترجم القرآن الكريم الى اللاتينية<sup>(١)</sup> وبذلك عرفه الى الغربيين وبفضل ترجمة الجبر الى اللاتينية استفاد كثير من علماء القرون الوسطى وأوائل القرون الحديثة فكانت اساساً لدراساتهم ومباحثهم الرياضية فاشتهر اثر ذلك فيوناشي (Fibonacci) ولوقا دو بورغو (Lucas de Burgo) وباجيولي (Paccioli) وقاردان (Cardan) وتارتاغليا (Tartaglia) وفراري (Ferrari)<sup>(٢)</sup> وغيرهم

وشرح عبد الله بن الحسن بن الحاسب المعروف بالصيقلاني الكتاب المذكور في كتاب اسمه « كتاب شرح كتاب محمد بن موسى الخوارزمي في الجبر » وكذلك لسان بن الفتح الحراني شرح للكتاب نفسه . واسم الشرح « كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي » ومن مؤلفاته المشهورة ايضاً كتاب الحساب الهندي الذي افه بعد كتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة . ومن الغريب ان هذا الكتاب مفقود وغير مذكور في الفهارس المشهورة ككتاب الفهرست لابن النديم

وفي القرن الثاني عشر للميلاد ظهر رجل في انجلترا اسمه « ادلارد اوف باث » (Adelard of Bath) اشتهر بسياحته الى اليونان ومصر وبعض البلاد العربية بقصد الاستفادة من علوم الشرق . وقد نقل كثيراً من الكتب العربية الى اللاتينية ومن جملة ما نقله كتاب هندسة اقليدس وكتاب المختصر في حساب الهندي للخوارزمي تحت عنوان<sup>(٣)</sup> (Algoritmi de Numero Indorum) وكلمة الغوريتمي (Algoritmi) نسبة الى

#### مؤلف الكتاب — الخوارزمي

وكتاب الحساب هذا اول كتاب من نوعه دخل اوربا حتى ان علم الحساب بقي زمنًا طويلاً معروفاً باسم الغوريسموس<sup>(٤)</sup> (Algorismus) المأخوذ عن الغوريتمي (Algoritmi) ولما كان لهذين الكتابين شأن خطير رياضي وتاريخي عند العلماء فقد كانا سبباً في شهرة مؤلفهما وتحليل اسمه . وللخوارزمي عدا الكتابين المذكورين مؤلفات اخرى ككتاب « زيج الخوارزمي » وكتاب « الرخامة » وكتاب « العمل بالاصطرلاب » وكتاب (التاريخ)

قدري طوقان

نابلس — فلسطين

ب . ع

(١) سميث : تاريخ الرياضيات صفحة ٢٠٣

(٢) صالح زكي آثار باقية » ٢٥١

(٣) سميث : تاريخ الرياضيات : صفحة ١٧٠

(٤) صالح زكي : آثار باقية : صفحة ٢٥١





# العلم والشعوذة في قياس الذكاء

ردٌ على الدكتور هنري جنسن<sup>(١)</sup>

بقلم الدكتور حسن عمر

مساعد استاذ البيداغوجيا الطبية بمعهد التربية في القاهرة

ما ظهر علم حديث او نبئت فكرة جديدة تمت الى العلم الا ونشط لها من النقاد مفدون ومحبذون ، اولئك يوهون عمدته وأسانيده بما يدلون من ادلة وبراهين وهؤلاء يعززون عمدته وأسانيده بما يبسطون من حجج وبراهين ، والحكم فيما ينشأ بين هؤلاء النقاد والعلماء من الجدل والحوار اما هو للنتائج الحسنة التي تمحصها التجارب لم يكن الاستاذ ( هنري جنسن ) اول من انتقد قياس الذكاء ولا هو آخر من سينتقده.

غير ان الاستاذ عالم في علم النفس فهو لذلك اجدر من يمكنه علمه من نقد فرع جديد من فروع هذا العلم الذي يتلقاه عليه طلبة جامعته . اني ارى ان النظرية الطبيعية لرقى العلم ونظرياته اما هو التمحيص والفحص والانتقاد . ولشد ما سفة ارخيذس حينما فاه باكتشافه واعتبر على جاليليو حين نشر آراءه وضحك من كولو مبس وسخر به لما شرح فكرته ، وكم قيل ولا يزال يقال في نظرية اينشتين الحديثة في زمننا هذا . ومن العجيب ان هذه الانتقادات كانت ادعم الوسائل لنشر حقيقة هذه المباحث فأصبحت قوانين يعمل بها في العلوم الحديثة لا مجرد نظريات تقرأ وتطوى

ان علم النفس ليس علماً حديث العهد بل هو قديم شب مع الفلسفة وترعرع معها . كان عمل الفيلسوف في الزمن الغابر هو قراءة الكتب العتيقة وهو جالس على طراحته او كرسيه او منضدته يحفظ منها ما يروق له ويحذف ما شاء ان يحذف . طال امد الرابطة بين الفلسفة وع النفس وأصبحت في مؤخرة العلوم في التقدم فلم يبحث اي بحث لترقيتها ولم يذل اي سعي للنهوض بهما فانسلخ علماء علم النفس عن رجال الفلسفة وقاموا بهنضة مباركة اذ طرحوا الآراء الفلسفية والافكار الخيالية ظهرياً وشرعوا في المباحث التجريبية والعمليات التطبيقية . تقدم علم النفس وتشعب وشعر العلماء بحاجتهم اليه في الحياة اليومية العملية فعملوا جهد المستطاع للاستفادة منه بعد ما قضاوا زمناً لا يقل عن الاربعين عاماً في تجارب

(١) راجع مقالة « العلم والشعوذة في مقاييس الذكاء » مقتطف ابريل صفحة ٣٨٨



وبحوث وتطبيقات على الانسان في مختلف الاعمار والسنين . بدأ الاستاذ جنسن نقده لقياس الذكاء بأنه خيال لا حقيقة له يريد بذلك تطبيق النظريات المنطقية على هذه المقاييس اتنا يا استاذ اول من يهتم بتطبيق النظريات المنطقية وفقاً لرغبتكم ولنا ولع عظيم ايضاً بتطبيق العمليات والتجارب . بنى الاستاذ كل نقده على محور قياس الملموسات او الاشياء المحسوسة او المرئية ولكنه ، مع الاسف الشديد ، نسي او اراد ان يتناسى ان هناك اشياء غير محسوسة وغير مرئية ولها اقيسة تقاس بها يخضع لها العالم والعلم معاً . فماذا يرى الاستاذ في عداد الكهربائية في داره ؟ ألا يخضع حضرته لهذا القياس الكهربائي ؟ اظن انه يدفع القيمة في آخر كل شهر نقوداً تعادل ما صرفه من تيار الكهربائية ؟ هل فكر حضرته فيما هي الكهربائية ؟ وما معنى الكيلووط ؟

لقد وضع الاستاذ جنسن خمس نقاط نلخصها فيما يلي : —

( ١ ) اذ اثبتنا ان نأخذ صفة جسم مقياساً لصفة اخرى وجب حتماً وجود صفة الجسم الاولى  
( ٢ ) الصفة التي يراد قياسها يجب ان تكون من الصفات التي يستطيع مراقبتها وقياسها مستقلة عن الصفات الاخرى . فاذا تعذر قياس صفة بطريقة مباشرة فمن الاولى تعذر قياسها بالطريق غير المباشر

( ٣ ) يجب ان تكون الصفة التي يراد قياسها مرتبطة بالصفة التي نروم ان نستعملها مقياساً

( ٤ ) يجب ان يكون نوع الارتباط بين الصفتين معروفاً وثابتاً

( ٥ ) اذا كان الارتباط بين الصفتين غير تام كانت نتائج المقياس غير تامة

تلك هي القواعد التي وضعها الاستاذ لتحقيق قياس الشيء قياساً منتجاً صحيحاً يعول عليه ذكرنا له الكهربائية وقياسها وكذلك نسائل الاستاذ رأيه في الصوت وقياسه بالمتر ؟ والضوء وقياسه ؟ كل هذه الاشياء غير مجسمة وانما عمل لها قياس خاص . وفوق ذلك فما هو مقياس المسافات بيننا وبين الكواكب اللامعة ؟ هل قاسها العلماء بالمتر كما يقاس قضيب من الحديد ؟ ان قياس المسافات البعيدة يطبق عليها علم حساب المثلثات فان خالفنا الاستاذ في هذه المقاييس كان كأنه يريد هدم علم من العلوم الثابتة القديمة . انني لاحظت ان الاستاذ متشبث بكلمة مقياس ( متر وياردة وميل ) فهل فكر جنباً ما اصل هذه المقاييس نفسها التي اخذها مقياساً يقيس بها كل شيء ؟ اتنا لو رجعنا الى الوراء قليلاً لوجدنا انها اصطلاحات اُصطلح عليها ولكل بلد اصطلاحه الخاص ، فمثلاً اوربا الوسطى عمدت الى ما سمته المتر اساساً لقياس الاطوال ، والياردة في انجلترا ، والذراع عند العرب . كذلك اصطلح علماء الكهربائية على قياسها بما يسمونه بالكيلووط . وكذلك الزمن فقد اصطلح على



ان اليوم يقسم الى اربع وعشرين ساعة وكل ساعة ستون دقيقة وهكذا. تلك كلها اصطلاحات عملت لقياس مختلف الاشياء غير المحسوسة والاّ فما العلاقة بين الساعة والنهار قبل ان يصطلحوا على تقسيم اليوم الى اربع وعشرين ساعة ؟ وأنه ليغلب على الظن ان هذا القياس الزمني وغيره صادف ايضاً بادية الرأي نقاداً ومفندين ولكنه بقي «فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض». كذلك يا سيدي الاستاذ اتنا تتبعنا خطوات السلف في قياس الاشياء المعنوية او غير المعنوية. ان قياس الذكاء ما هو الاّ نتاج مهده فان يكن قد ترعرع ومشى بسرعة فما ذلك الاّ للفوائد الجمّة التي انتجها العمل به والاعتماد عليه في الاعمال اليومية

اتالم نضع مقياس الذكاء اعتباطاً بل توخينا الاخلاص في العمل التجريبي والتطبيقات المجدية على الاطفال في مختلف العمر

لقد نبه السير فرنسيس غلتون وهو من علماء علم النفس وعلماء الحياة بأنه من الممكن قياس الذكاء وقد قال ذلك عرضاً في مقالة (عن اصل الحيوان) وكان ذلك عام ١٨٨٣. فنهض العلماء نهضة مباركة للبحث عن الذكاء وقياسه ثم تبعه الاستاذ ماك كاتل الاميركي وعمل تجارب عدة مفيدة اعتبرت في الوقت الحالي انها النواة الحقيقية لتجارب علم النفس ومن عهد ان نبه السير فرنسيس غلتون الاذهان الى الذكاء وقياسه في القرن التاسع عشر والعلماء يجدون ويبدلون الجهد في عمل التجارب التي كانوا يعتقدون انها توصلهم الى قياسه ففهم من قال ان الحس عامل جوهرى من عوامل الذكاء اي ان كل من كان عنده قوة الحس شديدة وسريعة كان ذكاءه عظيماً. عاشت هذه النظرية وقتاً ثم لقيت معارضة شديدة فقالوا اخيراً انها لا تجدي ولا تثمر حيث ان الحيوان له حس وكذلك الجنون والابله. ثم قامت قائمة بعض الباحثين بأن الافعال المنعكسة (رد الفعل) تدل على الذكاء وقد جربت ولكن النتيجة كانت غير مجدية. وقد قيل كذلك ان كبر حجم الجمجمة وصغرها من علامات قوة الذكاء وضعفه. وقد فحص الاستاذ بيرسون (٥٠٠٠) طالب من جامعة كولومبيا فوجد ان العلاقة بين حجم الجمجمة والذكاء تكاد تكون معدومة ولا يجوز الاعتماد عليها ولا الاعتداد بها في اي تجربة لقياس الذكاء

كل هذه التجارب والمباحث اخذت زمناً ليس بالقصير وكانت نتائجها غير مجدية ، الا ان الاستاذ (بينيه) الفرنسي كان من المولعين بقياس الذكاء فنشط في اجائته رغم انه ضلّ مع الضالين بادية الامر. فقد ظن ان قوة ارادة الحركة والحس كمس الجلد بأشياء باردة وساخنة او بأجسام صلبة ومديبة وخلافها وقياس الفعل والانعكاسات سبيل مجدية في قياس



الذكاء . ولكنه لاحظ انها غير مجدية بل عديمة النفع وكان يعتقد انه اذا وفق الى مقياس يستطيع ان يختبر به الوظائف العقلية العليا بحيث يتمكن الناس من استعماله في حياتهم ومعاملاتهم اليومية فانه يكون قد وفق الى خير مقياس للذكاء يمكن اخراجه للناس . وقد خصص مواهبه العلمية لانجاز هذا العمل وعكف عليه زمناً طويلاً وفق فيه الى غرضه واخرج مقياساً علمياً عملياً حقاً . ففي سنة ١٩٠٥ اعلن بينيه أنه اخترع مقياساً وقتياً لفحص الذكاء وهو يحتوي على ثلاثين اختباراً كل واحد منها يحتاج الى مجهود عقلي وقد رتبها جهد المستطاع متدرجاً من السهولة الى الصعوبة . وفي سنة ١٩٠٨ اقترح الاستاذ ( بينيه ) طريقة التدرج السني وقد انشأها بعد ان جرب عدة تجارب ولم يجرب احداً كيف طرأت عليه فكرة هذه الطريقة الا أنه قد عرف حديثاً ان مقياسه الابتدائي قد تغير تدريجياً الى ما هو عليه اليوم من الدقة والاحكام . واكبر عمل اشهر به الاستاذ بينيه هو الطريقة الحديثة المبتدعة التي اسماها ( المقياس المثني لقياس الذكاء )

اتنا نلاحظ ان احداً اذا اراد ان يؤنب ولداً صغيراً أخطأ في عمله ما فانه يقول له مثلاً ( انك لست بصغير بل انت ابن خمس سنين ) اتنا من هذه العبارة نستنتج ان المؤنب يفهم ما هي « عقلية » ولد عمره خمس سنوات وان لكل سن « عقلية » خاصة تتدرج مع السن الجسمانية الى ارقى منها مع الزمن . تلك هي العوامل التي خالجت عقل الاستاذ بينيه وجعل السن الاساس لمعرفة مقياس ذكاء الاطفال . ان الطفل من يوم ولادته حتى سن الشباب يرقى ويكبر تدريجاً وبالمشاهدة لاحظنا ان الطفل اولاً يجلس منفرداً ثم يمشي ثم يمشي مستنداً الى الحائط ثم يمشي بنفسه وذلك في اثناء العام الاول من حياته . ان المدقق من الباحثين في شؤون الطفل من يوم ولادته حتى سن شبابه يلاحظ صفات عقلية مختلفة واعمالاً جسمانية متفارقة وها هو ذا الاستاذ كوهلمان احد المدققين في هذه التجارب يكتب لنا مشاهداته وتجاربها في عدة اطفال مبتدئاً من الثلاثة الاشهر الاولى فيقرر ان معظم الاطفال في هذه السن يعمل اعمالاً واحدة فمثلاً

(١) يضع الطفل أصبعه أو اي شيء تصل اليه يده الى فيه

(٢) يتفزز لساعه اي صوت فجائي

(٣) تتابع عيناه اي شيء يتحرك امامه

(٤) يمش اذا حرك شيء امام عينيه

واما ملاحظاته التجريبية على الاطفال في الشهر السادس من عمرهم فاهمها ما يلي :-

(١) يجلس معتدلاً



(٢) يجتهد ان يمسك ما يراه

وملاحظاته على الاطفال في سنّ السنة هي : —

(١) يمكنه الوقوف معتدلاً والجلوس

(٢) يستطيع الطفل النطق بكلمات مفردة

(٣) يقلد الطفل الحركة

هذا وقد درس الاطفال درساً مجدياً فوجد ان الاكثرية تعمل هذه الاشياء . فمن تأججه هذه نستنتج ان الطفل العادي اي الآخذ في دور النمو العادي جسماً وعقلاً يعمل هذه الاعمال . هذه هي القاعدة التي استنبط منها وبنى عليها مقياس الذكاء . لقد كان الاستاذ ( بينيه ) يحضر اولاداً كثيرى العدد في سن التاسعة مثلاً ويلقي على كل ولد على انفراد اسئلة عامة ( غير مدرسية ) فان وجد ان ٦٠ ٪ من كل هذا العدد من الاولاد اجادوا الاجابة من هذا السؤال عده صعباً على ابناء هذه السن وغير لائق لهم وان احسن الاجابة عنه ٩٠ ٪ او يزيد عده سهلاً عليهم وان وجد ان ٧٥ ٪ تقريباً اجاد الاجابة عليه عده لائقاً لهم ووضع ضمن الاسئلة الخاصة بهذه السن لانه يتفق ومقدرتهم العقلية . ولقد تمشى الاستاذ على هذه الطريقة حتى وضع لكل سن من الثالثة الى السادسة عشرة أسئلة بلغت نحواً من ٥٤ سؤالاً ظهرت صلاحيتها بعد ان طبقها جميعاً على الاطفال وفاق قاعدته

لقد بالغ الاستاذ جنصن في سخره من التجارب العلمية والملاحظات ونتائج العمليات التي وصل اليها مقياس الذكاء ، بل وانكر القياس الا ان يكون ملموساً وكان الاجدر به ، وهو الاستاذ في علم النفس ان يقرر تجارب هذا العلم لان يهدمها من اساسها . كان الاجدر به ان يقوم بتجارب مقياس الذكاء بنفسه ويتجرى اصلاح ما فيها من عيوب واخطاء ان وصلت تجاربه الى شيء من ذلك ثم يعلنه للعلماء فيكون بذلك قد ادى واجبه كاملاً . وكان له ان يفسر الذكاء كما فسره المجتهدون مثل الاستاذ ايسترن الالمانى بقوله ( ان الذكاء هو قوة فعالة في الشخص تدفعه للسير في شئون الحياة بنجاح في جميع تغييراتها وتطوراتها ) لاندرى ما قصد الاستاذ جنصن من تهجمه على قياس الذكاء من غير مبرر . فلا هو جرب تجارب ولا قام بأختبارات طبقها على المقياس بل انه كتب ما كتب معتمداً على النظريات الفلسفية عديمة الجدوى . ولو عوّلنا في علم النفس العملي والتطبيقي على ما اراد وانتظرنا ان يتجسم الذكاء كما يحب ويهوى فلن يكون للذكاء مقياس ما دام الذكاء هو الصفة المجهولة ( كما يدعي الاستاذ جنصن ) ولكنه ( الصفة الفعالة التي تدفع الشخص لان يكون ناجحاً ومنشياً مع الحياة بنجاح ) وهذا كما نعرفه الآن



ولكان عسيراً عليه ان يستنبط مقياساً مهما طال به اجل البحث النظري  
 اتنا وجدنا مقياساً متمشياً فيه مع طبيعة الانسان من يوم ولادته حتى سن الشباب .  
 درسنا الحالة الطبيعية في كل يوم من حياة الطفل بل وفي كل لحظة من يوم ولادته مستدين  
 الى ملاحظتنا وتجاربنا وتدوين ما نراه من حركاته بأعيننا وما نسمع من الفاظه باذنا  
 فهل المشاهدات وملاحظات طبيعة الطفل ليست ذات قيمة عند الاستاذ جنسن  
 لقد اعترف الاستاذ جنسن في آخر مقاله حيث قال ( الواقع ان لهذه الامتحانات  
 ( مقياس الذكاء ) فائدة واحدة وهي التفريق بين اذكي المتحنيين وابلدهم . فاذا اخذنا  
 فرقة مدرسية وفحصناها بأحد مقاييس الذكاء لوجدنا ان العشرة في المائة الذين ينالون  
 اعلى الرتب في هذا الامتحان هم كذلك اوائل الفرقة في دروسهم والعشرة في المائة الذين  
 ينالون اوطأ الرتب في الامتحان هم كذلك أو اخر الفرقة في دروسهم )  
 عجباً لقد اعترف الاستاذ اخيراً بان هناك ميزة واحدة لهذا المقياس . نعم اعترف  
 حضرته بأن المقياس يفرق بين العشرة الاول من الفصل والعشرة الاخيرين منه . واني  
 اصارحه بان هذا اعتراف صريح ان هناك صفة موجودة وهي ( المقدرة على التعلم ) التي  
 انكرها وكذلك اعترف بميزة المقياس وفائدته في التفريق بين الذكي والغبي كل هذا اعترف  
 به صراحة وكتابة اذاً فهو يشاركنا في مقياس الذكاء ونفعه وفائدته للمعلم والطالب وربما  
 يكون تذكراً للاستاذ من المقياس ناشئاً من انه لم يكن كاملاً من بعض نواحيه وان كثيراً  
 من العلماء اخرجوا مقاييس كثيرة للذكاء فمنها النافع المفيد ومنها ما هو غير ذلك الا اتنا في  
 مباحثنا لاستعمل مقياساً الا بعد ان ننشر نتائجنا واعماله وتحقق من فوائده  
 شاعت المقاييس وأصبح منها ما يماثل مقياس الابعاد والاثقال والاحتجام فمثلاً مقاييس  
 الذكاء الفردية والجمعية وكذلك مقاييس قوة الارادة والمقدرة على التعلم والمقدرة الميكانيكية الخ  
 وهذه المقاييس وان كانت مفيدة الا ان اساسها التجارب اولاً وميل الطفل ثانياً  
 واخلاقه وبيئته الخ . فلو تتبعنا افكار الاستاذ جنسن لكان علينا ان ننظر الى ما شاء الله  
 نبحت حتى نصل الى مقياس كما يحب ويشتهي . واني اوجه الى حضرته الكلمة الاخيرة  
 بان النقد سهل والعمل صعب فالمدان امامك يا استاذ فسيح فاخرج لنا مقياساً آخر للذكاء  
 يسهل علينا مشقة العمل وجبذا الحال لو كان سهلاً في تطبيقه مؤسساً على المنطق وعلم  
 النفس وما اشترطت علينا به وادعوك بالتوفيق

[المقتطف] لابد من الاشارة هنا الى ان الدكتور حسن عمر توفّر في اوربا واميركا ومصر على  
 درس «قياس الذكاء» وتطبيقه وله في ذلك كتاب عربي طبع طبعين هو اول كتاب عربي من نوعه





المغفور له السيد عبد الرحيم الدمرداش باشا



محسن شرقي کبير

الدمرداشی با ما

﴿ نشأته ﴾ : ولد صاحب الترجمة في القاهرة سنة ١٢٧٠ هجرية في زاوية جده بقرية الدمرداش بالعباسية. وهو ابن الشيخ مصطفى بن صالح آغا أحد المالك الشراكسة المعاصرين لعزير مصر الكبير محمد علي باشا . وقد تزوج صالح آغا من إحدى كريمي السيد محمد محمد الدمرداش شيخ السادة الدمرداشية اذ ذاك ورزق منها بالشيخ مصطفى والد المترجم له وهو الذي خلف السيد محمد محمد الدمرداش في تلك الطريقة .

وقد عني الشيخ مصطفى بترية ابنه عبد الرحيم فارسله أولاً الى الكتاب ثم الى الجامع  
الازهر الشريف وهناك تلقى العلم على كبار العلماء ومنهم شيخ الاسلام الشيخ الرافي  
ولما توفي الشيخ مصطفى في سنة ١٢٩٤ هجرية اقيم صاحب الترجمة شيخاً للسادة الدرداشية  
مكان ابيه . وكان يبلغ من العمر اذ ذاك اربعاً وعشرين سنة . وظل فيها الى ان وافته المنية  
﴿ طريقته ﴾ : طريقة السادة الدرداشية كغيرها من الطرق الصوفية قوامها الزهد  
والنسك والعبادة وتماز بنخلوها من الحركات العنيفة غير الطبيعية وقت الذكر . فيجتمع المريدون  
« للحضرة » وقراءة الاوراد في مساء كل خميس عقب صلاة العشاء تحت قبة ابي عبد الله  
الحمد الدرداش يأخذون في تلاوة القرآن الكريم باصوات خاشعة متهدجة ثم يشفعونها  
بتلاوة اذكار وادعية اخرى يضرعون بها الى المولى جل جلاله . ومن المريدين من يختلي  
في صوامع « خلاوي » اعدت لهم في بناء مسجد المحمدي ثلاثة ايام بلياليها في نصف  
شعبان من كل عام يصومون نهارها ولا ينامون ليلاً ولا يكلمون احداً ولا يخرجون الا للوضوء  
او الصلاة وفي خلال هذه الايام يطوف النقيب بعد الغروب « بالختلين » يوزع عليهم كؤوس  
السكر المذاب في ماء ممزوج بعصير الليمون ثم يأتيهم باطباق الارز المطبوخ بالسيرج والقهوة  
ويظل القراءة طيلة هذه الليالي الثلاث في الزاوية يرتلون القرآن باصواتهم ترتيلاً فتشرح  
لقراءتهم صدور الختلين ويذهب الكرى عن اعينهم . والمريدون في خلوتهم يقضون اياماً عدها  
الايام التي اقامها النبي صلى الله عليه وسلم معه أبو بكر الصديق في الغار وقت هجرته من مكة الى المدينة  
ذلك هو نظام الطريقة التي تولى امرها المترجم له من عام ١٢٩٤ هـ الى ١٣٤٨ هـ فاحيا  
اربعة وخمسين مولداً . وقد نهض بالمشيخة نهضة اعجب بها كثير من العلماء والعطاء والتجار  
والاعيان وارباب الصناعات فدخلوها زمراً حتى صار عدد رجالها قريباً من ٤٠٠٠ مريد



وهو عدد وفير يبلغ اضعافاً مضاعفة لما كان عليه في عهد اسلافه الكرام . وقد الف بين قلوب اتباعه وجعلهم اخواناً على سرر يواسي قويمهم ضعيفهم ويشاطرون بعضهم بعضاً سرراً الحياة وضراً ها . ولم يفته ان يجعل محل اجتماعهم لاثقاً بهم فحدد بناء الزاوية وجوئها الى مسجد رحب وادخل فيه النور الكهربائي واصلاح دورة المياه وجعلها على الطراز الصحي الحديث . وعبد الطريق الموصل الى المسجد فجعله شارعاً متسعاً نظيفاً

﴿ صفاته ﴾ : كان الفقيه العظيم حميد الصفات رضي الحلال . ورث عن والده الصلاح ولين الجانب ودماثة الخلق وطيب السريرة . وورث عن جده لوالده الصلابة في الحق والجرأة والصراحة والاعتماد على النفس . واكسبته حياته الاجتماعية البشاشة والحلم والظرف . وقد جمعت هذه الصفات كلها روح التواضع لله والعمل على جلب مثوبته . ودفع عقوبته . فجعلت منه بصفة عامة رجلاً نابه القصد كريم المروءة عزيز النبل عظيم القدر لا يخفض رأساً ولا تغمز له قناة وما تاريخ حياته الحافل بجلال الأعمال الا تطبيقاً لهذه الصفات . فاذا رأته مشيراً مهمتاً يؤم ديواناً او يقصد كبيراً فاعلم انه ماض للخير يسعى لانجاز عمل كلف به ممن تقطعت بهم الاسباب فلم يجدوا ملجأ الا له . واذا شهدته مهتلاً وضاء الحين فأيقن ان خيراً قد تم على يديه فاطمأنت نفسه وانطبعت حالته النفسية على اسارير حياه . واذا قابلته مقطب الوجه عابساً — وقليل ما يكون ذلك — فتمت صعب لم يذل وهو ما يزال به يعالجه بما أوتي من حيلة وطول حتى يظفر بما يريد . واذا سمعته يلج في مناقشة ويحتد فثق انه يناضل عن الحق الذي يعتقده وما ناضل عن غير الحق ولا سار مع الهوى . واذا انصت اليه وهو منشرح الصدر متبسط في حديثه فأنت امام انيس سميع حلو الفكاهة . عذب الاشارة خفيف الروح والظل والهواء . واذا أوى الى بيته حيث تنتظره اخته وزوجه وكريمته رأيت الوفاء يفيض من شفقيه ورأيت كيف يكون احترام الاخوة وحب البعولة وحنان الابوة . واذا رأته بعد ذلك يجود بألاف البدرات من حر ماله ومال زوجه وكريمته ليدفع عن الفقراء والبائسين آصار الحياة العسيرة فاعلم انه يعطي درساً لغيره في الرياضة على عمل البر وما قصد غير الله فله وحده ما وهب ، وللاسانية ما ابلى

﴿ حياته العامة ﴾ : قلنا ان الفقيه نشأ نشأة ازهرية . وكان الازهر اذ ذاك مهد الثقافة في مصر . فلما شب وترعرع وجد من نفسه ميلاً لقراءة كتب التاريخ وتقويم البلدان وقد حجب اليه هذا الشغف زيارة البلاد الخارجية فلما اتاحت له الفرصة فيما بعد زار اوربا والشام والقسطنطينية وفلسطين . وكان اختلاطه بكبار رجال الازهر ومن تخرجوا معه امثال المرحومين الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول باشا وقنحي زغلول باشا وقاسم بك



امين والشيخ عبد الكريم سلمان واختلاطه برجال السياسة امثال المرحومين رشدي باشا و ثروت باشا ورجال المال امثال حسن باشا سعيد وطلعت بك حرب ورجال السيف امثال المرحوم ابراهيم باشا فتحي وغيره ورجال الدين امثال صاحب الفضيلة الاستاذ المراغي وكان اجتماعه بهؤلاء وبغيرهم من الانجليز والاجانب ورجال الصحافة من العوامل الهامة التي صقلت معلوماته العامة وجعلته يستطيع ان يسير كل ندى يحضره فاذا ناقشته في اي موضوع الفيته حاضر البديهة ملمًا به. وقد ساعدته على ذلك قوة ذاكرته المدهشة التي لازمته حتى الوفاة وكان اختلاطه بالجمهور في حفلات الذكر وقيامه بما تتطلبه تلك الحفلات على احسن وجه من الاسباب التي مكنت له في قلوب الناس وجعلته محبوباً لديهم . فكان موضع الاحترام من العظماء. كما كان موضع الاجلال والمحبة من الدهماء ولم تنسه كثرة اختلاطه بالجمهور ان يقوم بأدق ما يفرضه واجب اللياقة نحو كبار ضيوفه وزواره من اية جنسية كانوا وكل ذلك لم يصرفه عن تنمية موارده وأمواله فكان في ذلك موفقاً ايما توفيق وقد عمل بمقتضى القول المأثور « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا . واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » واكبر الظن انه وفق في الحالتين . فكان رجلاً عصامياً استطاع بسعيه وحسن تديره ان يشق لنفسه طريقاً الى الجاه وان يصبح في عداد ذوى الثروة الطائلة . فكان بذالاً في غير اسراف . مقتصداً في غير تقير . ولم يله متاع الدنيا وتدير المال عن القيام بواجبه الديني ولكنه كان قليل الاعلان عن نفسه من هذه الناحية . محافظاً على عاداته الشرقية الموروثة فقد حافظ على زيه حتى النهاية ولم يأبه لمظاهر المدنية الخلابة التي لا تتفق والدين بل حارب تلك المظاهر في سره وعنه ودعا الناس الى عدم الاسترسال فيها والى التمسك بالعروة الوثقى من عاداتنا القومية فكان من هذه الوجهة مجاهداً له جزاء المجاهدين الصابرين

وخلاصة القول ان المرحوم كان وثيق العلاقة بالحياة العامة في مصر . له مركز ممتاز في اوساطها المختلفة . وقد انعم عليه المغفور له السلطان حسين بلقب « صاحب الفضيلة والارشاد » وانعم عليه جلالة الملك فؤاد برتبة « الباشوية » فكان اول من جمع بين هذين اللقبين في مصر . هذا عدا ما انعم عليه به من اوسمة ونياشين أخرى (١)

﴿ هبته الكبرى ﴾ وكان الفقيد ابى الا ان يتوج اعماله المجيدة بتاج الخلود . وابى الا ان تكون لمصر مكانتها بين الامم الحية . واراد ان يرفع المصريون رءوسهم بين الاجانب مباهين بان في وادي النيل رجلاً يحبون الخير للخير ويبدلون في سبيله اثمن ما ملكت ايديهم . هزته الارحية ودعاه داعي الجود فبرع هو والسيدتان المصوتان حرمة وكريمته

(١) وكان للفقيد صفحة سياسية في تاريخ مصر الحديث لم تثبت هنا لان المقطف مجلة غير سياسية



باقامة مستشفى خيرى . وقدم قطعة الارض اللازمة لبناء هذا المستشفى ومساحتها ١٥ ألف متر مربع تقدر قيمتها بمبلغ خمسين الف جنيه وتبرع لانشاء المستشفى بمبلغ ١٠٠.٠٠٠ من الجنيهات منها ٤٠.٠٠٠ للبناء والتأثيث و ٦٠.٠٠٠ ينفق على المستشفى من ريعها وقد اعلن هبته لرئيس الوزراء في ٥ اغسطس سنة ١٩٢٨ فقابل دولته الخبر بالفرح والثناء وذهب توجاً الى قصر المنتزه فقبل بين يدي جلالته الملك واطلع جلالته على تفصيل هذا العمل الجليل فسرّ جلالته كثيراً واثنى على فضيلة الواهب وابدى ارتياحه لهذا العمل البار واوعز بالتعجيل به تلبية لرغبة الواهب . وفي ١٤ اغسطس سنة ١٩٢٨ قرر مجلس الوزراء قبول الهبة وشكر سعادة الواهب واسرته على هذه الهبة الجليلة . وفي ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ تسلم مندوبو الحكومة قطعة الارض التي يقام عليها المستشفى من سعادة الواهب وفي منتصف الساعة الرابعة بعد ظهر يوم السبت الموافق ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٨ احتفلت وزارة الاشغال بوضع الحجر الاساسي في بناء المستشفى الخيري بحضور دولة رئيس الوزراء ونخامة المندوب السامي وفضيلة شيخ الاسلام واصحاب المعالي الوزراء وعظماء مصر وكبار الجاليات الاجنبية وكل مسئول من رجال الطب والعلم والادب في البلاد . وكان الاحتفال فخماً شائقاً دل على تقدير عظيم لصاحب تلك الارحية

ذلك هو العمل الخالد الذي قام به المرحوم المترجم له . وقد اشترط ان يكون المستشفى « عاماً وان يقبل فيه جميع المرضى مجاناً بدون نظر الى جنسياتهم او دياناتهم ... » انتشر خبر هذه الهبة وحدث بها الجرائد في اقطار العالم . فقالت عنها صحف (الغازيت) و(النيرابست) « ان مثل هذه الهبة للاغراض العامة لم يسبق لها مثيل في مصر حيث لم تبد مثل هذه الروح من قبل . والمأمول ان يقتدي كثيرون من الاعيان الموسرون بهذه القدوة الشريفة » وكفى الفقد غبطة لعماله المبرور انه اول من سعد به فقال: « وقد نلت فعلاً بعملى هذا سعادة هذه الدار الدنيا فان اللذة التي اشعر الآن بها لاتساويها كل مسرات الحياة ولذاتها من جاه ومال وحسب ونسب وما الى ذلك » ولما شرع جماعة من ذوي النخوة ومن يقدر الواجب في عمل حفلة تكريم لهذا المحسن العظيم بادرفارسلهم يعتذرو ويقول في خطاب اعتذاره: « وارجوان تعدلوا عن هذه الفكرة حتى تساعدوني على توجيه عملي خالصاً لوجه الله وحده وتبعدوا بي عن مواطن الزهو الذي قد يشوب همتي بشائبة لا ارضاها » . وكان الفقيد يمني النفس بحضور حفلة افتتاح المستشفى لتقر عينه بما صنع ولكن القدر جرى بأمر آخر فاستأثرت به المنية في الخامس من شهر فبراير سنة ١٩٣٠ الموافق ٦ من رمضان سنة ١٣٤٨ هجرية . واحتفل بتشييع جنازته احتفالاً مهيباً رهيباً . ثم ووري الزاب في المكان المعدله في المستشفى قبل ان يتم اعداده . وقد علمنا ان كريمته قوت القلوب عاقدة النية على اتمام كل اعمال الاحسان التي شرع فيها المغفور له والدها سيد يوسف





## روايات الاغاني

يعد ابو الفرج الاصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ا كبر مؤلف عرفته اللغة العربية . ولا يوجد في المؤلفين من بعده من لم يعول عليه ، ويندر ان نجد باحثاً في تاريخ الادب او تاريخ الاسلام لم يتخذ كتابه الاغاني مرجعاً له . والاغاني هذا كتاب عظيم في ٢١ مجلداً ألفه الاصبهاني في خمسين سنة وكتبه مرة واحدة في عمره واهداه الى سيف الدولة بن حمدان وشهرة الاصبهاني وكتابه مستفيضة فلا حاجة الى اعادة ما يعرفه الناس . وانما اريد هنا ان انص على ناحيتين من الاصبهاني وكتابه لم اجد من تنبه لها من الباحثين ، ولهايتين الناحيتين شأن عظيم في فهم الحياة الادبية ، وسيكون لهما اثر بعيد في دعوة المؤلفين الى الاحتياط حين يرجعون الى كتاب الاغاني يتلمسون الشواهد في الادب والتاريخ

الناحية الاولى خاصة بالاصبهاني : تلك الناحية هي خلقه الشخصي ، فقد كان الاصبهاني مسرفاً اشنع الاسراف في اللذات والشهوات ، وقد كان لهذا الجانب من تكوينه الخلقى اثر ظاهر في كتابه ، فان كتاب الاغاني احفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون . وهو حين يعرض للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة من اخلاقهم الشخصية ، ويهمل الجوانب الجدية اهماً لا ظاهراً يدل على انه كان قليل العناية بتدوين الجد والرزانة والتجمل والاعتدال . وهذه الناحية من الاصبهاني افسدت كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه ، ونظرة فيما كتبه المرحوم جورج زيدان في كتابه تاريخ ادب اللغة العربية ، وما كتبه استاذنا الدكتور طه حسين في حديث الاربعاء تكفي للاقتناع بان الاعتماد على كتاب الاغاني جرّ هذين الباحثين الى الخط من اخلاق الجماهير في عصر الدولة العباسية وحملهما على الحكم بان ذلك العصر كان عصر شك وفسق ومجون

ولا اريد بهذا ان احكم بان الاصبهاني كان يتعمد الاختلاق ، وان الجمهور في العصر العباسي كان مغموراً بالطهر والعفاف ، كلا . فقد قات غير مرة ان الحياة الانسانية مزيج من الشك واليقين والحلم والجهل والهدى والضلال ، وان الانسان لا يكون خيراً محضاً ولا شراً محضاً ، وانما بقاءه في ان تكون سريره مسرحة لتوازع النقي والرشد والبر والفجور . ولكن اريد ان اقول : ان اكنار الاصبهاني من تتبع سقطات الشعراء ، وتلمس هفوات الكتاب ، جعل من كتابه جواً مشبعاً باوزار الاثم والغواية ، واذاغ في الناس فكرة



خاططة هي اقتران العبقريّة بالنزق والطيش والخروج على ما ألفت الجماهير من رعاية العرف والدين  
 اما الناحية الثانية فهي خاصة بكتاب الاغاني : تلك الناحية هي وضع ذلك الكتاب  
 في مقدمته عبارات صريحة في الدلالة على ان مؤلفه قصر اهتمامه او كاد على إمتاع النفوس  
 والقلوب والاذواق : فهو كتاب ادب لا كتاب تاريخ . واريده بذلك ان المؤلف اراد ان  
 يقدم لأهل عصره اكبر مجموعة تغدّي بها الاندية ومجامع السمر ومواطن اللهو ومغاني  
 الشراب . وانه ليحدثنا في المقدمة بأنه أتى في كل فصل من كتابه بفقر اذا تأملها  
 قارئها لم يزل منتقلاً بها من فائدة الى مثلها ، ومتصرفاً فيها بين جد وهزل وآثار واخبار  
 وسير واشعار ، متصلة بأيام العرب المشهورة ، واخبارها المأثورة ، وقصص الملوك في  
 الجاهلية والخلفاء في الاسلام . واخبرنا بعد ذلك بأنه اهتم بالغناء الذي عرف له قصة تستفاد  
 وحديثاً يستحسن . وعلل ذلك بقوله : « اذ ليس لكل الاغاني خبر نعرفه ، ولا في كل  
 ماله خبر فائدة ، ولا لكل ما فيه بعض الفائدة رونق يروق الناظر ويلهى السامع »  
 واحب ان يتأمل القارئ قوله « رونق يروق الناظر ويلهى السامع » فهذا التعبير هو  
 الوصف الصادق لما اختار الاصباح ان يدور عليه كتابه حين اراد ان يقدم ما راقه من  
 ايام العرب وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام . ولا سيما اذا لاحظنا ان كلامه  
 يشعر بأنه مستعد لاهمال ما فيه بعض الفائدة اذا خلا من ذلك الرونق الذي « يروق الناظر  
 ويلهى السامع » فهو اذن يسير القراء المتطلعين الى النواحي الطريفة من اخبار الملوك  
 والخلفاء والوزراء والكتاب والشعراء . ولهذا النحو من التأليف قيمة عظيمة جداً اذا  
 فهمه القارئ على وجهه الصحيح : فهو دليل على خصوبة التصور والخيال ، وبرهان على  
 ان كتاب اللغة العربية لم يحرموا من القصص الشائق الخلاب ، ولم يفهم ان يقدموا  
 لاوقات اللهو والفراغ ما يحتاج اليه العقول المكدودة والنفوس المحزونة من طرائف  
 الاقاصيص وغرائب الاسمار . ولكن الخطر كل الخطر ان يطمئن الباحثون الى ان روايات  
 الاغاني قيمة تاريخية ، وان يبنوا على اساسها ما يشاءون من حقائق التاريخ . لا سيما وصاحب  
 الاغاني بصارحنا بأن « في طباع البشر محبة الانتقال من شيء الى شيء ، والاستراحة من  
 معهود الى مستجد ، وكل منتقل اليه اشهى الى النفس من المتقل عنه ، والمبتكر اغلب على  
 القلب من الموجود » وان « انتقال القارئ من خبر الى غيره ومن قصة الى سواها ومن  
 اخبار قديمة الى محدثة ومليك الى سوقة وجد الى هزل » ادعى الى نشاطه وأبعث على  
 شهوته لتصفح ما في الكتاب من مختلف الفنون  
 ولأضرب المثل بما قصة صاحب الاغاني من اخبار عمر بن ابي ربيعة . وهي اخبار



ظها كثير من الباحثين صورة حياة الحجاز في القرن الاول للهجرة . وقد حدثني المسيو ماسنيون بان لاشعار عمر بن ابي ربيعة وحوادثه اهمية عظيمة من هذه الناحية . وانا قد اعتمدت بالفعل على كتاب الاغاني حين فصلت احاديث من عرّف ذلك الشاعر من الملاح في الطبعة الثالثة من كتابي « حب ابن ابي ربيعة وشعره » . ولكنني دعوت القارئ الى الاحتراس وينت له انني اريد ان ارسم من ابن ابي ربيعة صورة جذابة تشبه صورة ميسيه عند الفرنسيين وجوت عند الالمان ويرون عند الانجليز . وانا استيخ هذا النحو من استغلال كتب الادب والتاريخ ، فان الادب يُقصد به إمتاع القلوب لا اقناع العقول . ومتى نص الكاتب على ان وجهته فنية محضة وان منحاه ادبي صرف فقد أبرأ ذمته ممن يريد ان يتخذ من اقايصص الادب صورة صادقة لحياة الاشخاص وما احاط بهم من مختلف البيئات وشتى الظروف . وكذلك فعلت حين قلت :

« ان كثيراً من حوادث ابن ابي ربيعة الغرامية من صنع الخيال . وقد قبلناه على علانه واكتفينا بتلك الاشارة عند التمهيد لاخبار الملاح ، اذ كانت حوادث ابن ابي ربيعة التي اضيفت اليه تدلنا على شيئين : فهي اولاً علامة على ان المتقدمين أنسوا بروحه ، وأسلموا قلوبهم لوحيه ، فابعدوا في ظلال ذكراه ما شاء الخيال من احاديث الحب الظافر والهوى الغلاب ، وهي ثانياً دليل على انه كان للمتقدمين ميل الى القصص الغرامي وحظ من الاجادة فيه » — راجع ص ٢٩٥ وما بعدها من حب ابن ابي ربيعة

لكن صاحب الاغاني لم يفعل شيئاً من ذلك ، وانما ساق اخبار ابن ابي ربيعة كلها على انها حقائق ، وساقها مروية بالسند ، والرواية بالسند شيء ساحر فتن به الاستاذ الراقمي في رده علينا اذ قال : « وهل نسيت ان الرواية علم دقيق له آداب وشروط ! » واعتماداً على هذا العلم الدقيق اطمان اكثر الباحثين الى روايات الاغاني فضلوا وأضلوا في حقائق التاريخ قلت ان صاحب الاغاني كان يهتم بالنواحي الطريفة من السير والاخبار . فلا ذكر من أدلة ذلك انه حدثنا بسنده عن اخي زرقان عن ابيه قال : ادركت مولى لعمر بن ابي ربيعة شيخاً كبيراً فقلت له : « حدثني عن عمر بحديث غريب » وكلمة « حديث غريب » هذه لها معناها فيما نحن بسبيله من اخذ الرواة بالتلفيق والاختلاق . فان البحث عن الاوضاع الغريبة من احاديث عمر بن ابي ربيعة يدل على ظمأ تلك النفوس الى النادر المستطرف من القصص والاحاديث . وما عسى ان يكون ذلك الخبر الغريب ؟ هو خبر يشبه من بعض نواحيه قصة حج ابي نواس التي اخترعها ابن دريد : فابو نواس حين رجع من حجه اجتذبه جماعة من حسان النساء ، وما كاد يطمئن الى ظفركه بما كان يشتهي من جميل



الصيد حتى دخل عليه جماعة من العبيد في حالة جارحة بددت ما نظم من ساحر الاحلام وابن ابي ربيعة في حجه تعرض لنسوة من جواري بني امية فخلبته ووعده بتذكرة طيبة تكون تحفة له كلما تذكر انسه بن في ايام الطواف . فلما بعث غلامه يتسلم التذكرة عاد ومعه صندوق لطيف مقل محتوم كان يُظن انه اودع طيباً او جوهرأ ، ففتحه فاذا هو مملوء من المضارب . . . . . واذن فقد تم التشابه بين قصة عمر وقصة ابي نواس

ونجد صاحب الاغاني في مكان آخر يروي بسنده عن عثمان ابن ابراهيم الخطابي قال : « اتيت عمر بن ابي ربيعة بعد ان نسك بسنين وهو في مجلس قومه من بني مخزوم فانتظرت حتى تفرق القوم ثم دنوت منه ومعني صاحب لي طريف وكان قد قال لي : تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل فننظر هل بقي في نفسه منه شيء ؟ فقال له صاحبي : يا ابا الخطاب اكرمك الله ، لقد احسن العذرى واجاد فيما قال ، فنظر عمر اليه ثم قال له : وماذا قال ؟ قال حيث يقول لو جُذ بالسيف رأسي في مودتها لم يهوى سريعاً نحوها رأسي

ثم مضى يهيجه بالشعر حتى طرب . وحدثهما بحديث وُصف بأنه « حديث حلو » وتلك الحلاوة لها معناها ايضاً فهو نص على انه وُضع ليكون فكاهة طريفة ينتقل بها السامرون في مجالس الشراب . ويتلخص الحديث في ان خالد الحارثي صاحب عمر حدثه عن نسوة مررن به فسيل العشاء لم ير مثلهن في بدو ولا حضر ، فبين هند بنت الحارث المربة و اشار عليه بأن يأتي متكرراً ليسمع من حديثهن ويتمتع بالنظر اليهن ولا يعلمن من هو . فقال له عمر : ويحك ! وكيف اخفي نفسي ؟ فأشار اليه بأن يلبس لبسة اعرابي ثم يجلس على قعود فلا يشعرن الا به وقد هجم عليهن ، فأطاع عمر ، ثم وقف بقرب النسوة وانشدن ما سألن انشاده من شعر كثيرٍ وجميل والاحوص ونصيب . وبعد لحظات تغامر النساء وجعل بعضهن يقول لبعض : كأننا نعرف هذا الاعرابي ما اشبهه بعمر بن ابي ربيعة ! ثم مدت هند يدها فانتزعت منه عمامته وألقته عن رأسه ثم قالت : هيه يا عمر ! آراك خدعتنا منذ اليوم ؟ بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد فأرسلناه اليك لتأتينا في اسوأ هيئة ونحن كما ترى ، ثم قالت بعد ان اخذا في الحديث : ويحك يا عمر ! اسمع مني : لو رأيتي منذ ايام واصبحت عند اهلي فأدخلت رأسي في جيبى فنظرت . . . . . فناديت يا عمراه يا عمراه ! ! فصاح عمر : يالليكه ! يالليكه ! ثلاثاً ، ومد في الثالثة صوته ، الى آخر الحديث ونحن نجد لهذه القصة اشباهاً كثيرة من حيث الغرض والاسلوب فقد حدث ابن دريد

ان رجلاً جلس الى مجنون ليلي في ظل شجرة فقال : ما اشعر قيساً حيث يقول :

يليت ويضحى كل يوم وليلة على منهج تبكي عليه القبائل



قتيل للبنى صدّع الحب قلبه وفي الحب شغل للمحبين شاغل  
فقال المجنون : انا اشعر منه حيث اقول :

سلبت عظامي لهما فتركها معرّقة تضحي لديك وتخصّر

وللحديث بقية . وفي هذا ما يكفي لبيان الاسلوب الذي كان يجري عليه الرواة في تصوير العشاق  
الذين تسلاوا او يتسماوا ، وما كان يعمل ارباب الفضول في اثاره ما كانوا يكتفون من اسرار الوجد  
الذين وقد استمر صاحب الاغاني ينقل اخبار عمر من غير نقد ولا تمحيص ، ولكنه فطن  
في بعض ما رواه الى تلفيق الرواة حين عرض الى تزويج الثريا وخروجها الى مصر وعمر  
غائب ، فقد قال :

« وهذا الخبر عندي مصنوع وشعره مضعّف يدل على ذلك ، ولكني ذكرته كما وقع  
الي » . هنا دلنا صاحب الاغاني على ارتيابه في بعض الاخبار ، ولكن لماذا يذكر  
ما يرتاب فيه كما يقع اليه ؟ يذكره لانه يريد ان يقدم ما يروق الناظر ويلهى السامع كما  
اشرنا من قبل . ولكن لا يفوتنا ان نشير الى ان هذا الخبر ايضاً منقول عن جماعة من  
الرواة كان يصح ان يحتج بروايته لم لو لم ينص الاصبهاني على انه مدسوس

وفي رأيي ان اخبار ابن ابي ربيعة كلها وضعت تفسيراً لشعره ، لان كل قصيدة من  
قصائده تشير الى حادثة من حوادثه الغرامية ، وقد صنع الرواة مثل هذا الصنع في اخبار  
ابن نواس ، فقد لفقوا حديثاً يشرح ابيانه المشهورة في جنان التي يقول فيها :

قال اشتكتك وقلت ما ابتليت به اراه من حيثما اقبلت في اثري

وبعمل الطرف نحوي ان مررت به حتى ليخجلني من حدة النظر

وان وقفت له كيما يكلمني في الموضع الخلو لم ينطق من الحصر

وقد تنبه كثير من الباحثين الى ما دس على ابن نواس ، ولم اجد من اشار الى ما دس  
على ابن ابي ربيعة مع ان الرجلين يشتركان في ان كلا منهما قضى معظم حياته في اللهو والعبث  
والمجون . واذا جارينا صاحب الاغاني في الاستدلال على وضع الشعر بضعفه ، فان في  
شعر ابن ربيعة قصائد يغلب عليها الضعف والانحلال ، حتى ليعبد معظم شعره عن المتانة  
التي عرّف بها عصره وطبّع عليها عدد من قصائده

هذا ، ولو مضينا نحصي ما في روايات الاغاني من التلفيق لطال بنا القول ، فلنكتف  
بهذا ، ولنسجل مرة ثانية ان الاصبهاني اراد ان يكون كتابه معرضاً لما تجتمع بين ايدي  
معاصريه من طريف الاقايص . فليعتبره القارئ اذن كتاب ادب لا كتاب تاريخ

نكي مبارك

القاهرة





## اليود عنصر حيوي اثره في صحة الاجسام والعقول افراداً وجماعات

يراد «بالعنصر الحيوي» العنصر الذي لا مندوحة عنه لبناء المادة الحية وقيامها بأعمالها قياماً صحيحاً . ولوان عالماً حاول ان يحصي العناصر الحيوية من عقد او عقدين لتتمكن من احصائها على اصابع اليد الواحدة . ولكن المباحث العلمية في بناء الخلايا قادت الباحثين الى الكشف عن طائفة من المواد عليها كل الاعتماد في تقرير صفات الجسم الحي وخواصه . هذه هي المواد البروتينية والمواد الكربوهيدراتية ( النشوية ) والمركبات الدهنية وكلها كائنة في المادة الحية التي تعرف بالبروتوبلازم . ولدى تحليل هذه المواد وجدوا انها تتركب من بضعة عناصر اساسية هي الكربون والنروجين والهيدروجين والاكسجين والكبريت والفسفور فنظر العلماء الى هذه العناصر وقالوا هذه هي العناصر الحيوية . ولكن البحث في تركيب الخلية ظلّ يتقدم تقدماً مطّرداً حتى ثبت ان في مركبات الخلايا مقادير ضئيلة جداً من عناصر اخرى غير العناصر الحيوية المذكورة آنفاً كالكلسيوم والصوديوم والكلور . وظنّ أولاً ان وجود هذه العناصر في بناء الخلية محض اتفاق وان لاشأن كبيرها في حياة الخلية وموتها فدعيت بالمركبات الرمادية<sup>(١)</sup> ولكن لم يثبت الا في العهد الاخير ان وجود مقادير ضئيلة من هذه العناصر وغيرها ضروري لحياة البروتوبلازم ونموّه كوجود المواد البروتينية وما اليها . وعليه يصحّ القول بأن الصفة الغالبة على البحث الفسيولوجي البيولوجي في العصر الحديث هي صفة البحث عند العناصر المعدنية « الحيوية » في الاجسام

اكتشاف اليود ومقامه

ولقد اضيف الى العناصر الحيوية عنصر جديد لما ثبت ما « لليود » من المقام في بناء الجسم الحي ونموّه . والغريب من امر اليود انه عنصر شبه معدني ولكنك قلما تجده في المركبات المعدنية على حين انه كثير الوجود في المركبات العضوية . فقد كشف عن اليود في مطلع القرن التاسع عشر لما كانت النهضة العلمية الكيماوية في ابان ازدهارها . على ان كورتوى اذ كشف عنه سنة ١٨١٢ لم يعثر عليه في احد المركبات المعدنية بل في رماد الحشائش البحرية . واذا نحن تأملنا كيف خطر على بال هذا الرجل في مطلع العهد العلمي ان يحلل رماد الحشائش البحرية



تحليلاً دقيقاً علّاه يقع فيها على عنصر جديد، اخذتنا الدهشة وتملكننا الاعجاب. ولكننا لدى البحث نجد تعليل ذلك في ان هذه الحشائش البحرية كانت من اقدم الازمنة علاجاً معروفاً ناجعاً في حالات الجُوتَر<sup>(١)</sup>

فعلاقة اليود بوظائف بعض الاعضاء الحية عرفت من ساعة اكتشافه. وقد ظنّ أولاً ان استعماله يفيد في علاج اضطراب واحد من اضطرابات الجسم الحي — اي حوّل الغدة الدرقية الجوتري وتناججه. ولم يشير احد منهم الى ان اليود اكثر من دواء خاص لداء خاص. ذلك لان مقامه في بناء المادة الحية ووظيفتها كان مجهولاً. فمن العناصر — كالزرنخ والزنبق — ما يستعمل دواءً من غير ان يستلزم استعماله هذا دخوله في بناء المادة اي من غير ان يكون عنصراً حيوياً. اما اليود فهو دواء ناجع في احوال متعددة كتصلب الشرايين والتهاب الشعب والزهري والجوتري وفي الآن نفسه عنصر حيوي لا مندوحة عنه لبناء المادة الحية وقيامها بأعمالها قيماً صحياً

والواقع ان علاقة اليود بالجوتري ظلت محور جدال بين الباحثين طوال القرن التاسع عشر. على ان الباحث الفرنسي شاتان Chatin وجد ما اقنعه بان اليود — علاوة على علاقته بالجوتري — عنصر موجود في كل الانسجة الحية في مملكتي الحيوان والنبات. فحكم عليه من ابناء عصره بانه مخطئ فيما يذهب اليه. وانقضت ثلاثون سنة على مباحثه قبلما استؤف البحث في هذا الموضوع. ذلك ان الكيماوي الالماني بومن Baumann اكتشف سنة ١٨٩٥ ان الغدة الدرقية في كل الحيوانات اللبونة تحتوي على مقادير كبيرة من اليود. فالتى هذا الاكتشاف النور على حقيقتين خطيرتين: الاولى — ان في الجسم عضواً تختص خلاياه بخزن اليود الذي يتصل بها ذرات دقيقة كلّ الدقة. والثانية — ان هذا هو العضو الذي يصاب بمرض الجوتري وما ينجم عنه من تشويه وبله. فثبتت بذلك علاقة اليود بالجوتري ثبوتاً لا يحتمل ظلاً من الريب. ولكن اعترض البحث مسألة خطيرة مؤداها كيف تتناول خلايا الغدة الدرقية عنصر اليود وباي شكل تحتفظ به فيها ثم كيف تفرزه؟ هذه المسألة حشت العلماء على البحث لجلائها وبعد انقضاء خمس وثلاثون سنة يصح القول ان المسألة قد حُلّت او كادت

(١) الجوتري goiter تضخم الغدة الدرقية وهي غدة صماء واقعة امام اعلا القصبة ولها افراز ذو أثر في تمثيل الغذاء واستحلاته وبناء الخلايا. وينشأ عن تضخمها حالة تعرف «بالكرتينزم» Cretinism وهي تكلس المظام قبل عهد تكلمها فيشوه الهيكل العظمي والرأس والوجه وتظل القامة قزمة ويصحب هذا كله ببلادة عقلية وبله وهاتان العلتان متوطنتان في بعض مناطق سويسرا



## اليود في الجسم الحي

فقد ثبت بالبحث المدقق ان عنصر اليود من العناصر الحيوية لا يستغني عنه الجسم الحي فاذا نقص من المواد التي يتناولها الجسم او فقده منها اصاب الجسم باضطرابات صحية منشؤها عجز الغدة الدرقية عن القيام بوظيفتها قياماً صحيحاً . وللغدة الدرقية مقام اي مقام في سلسلة الاعمال الحية التي تتناول التغذية والتمثيل والبناء الخلوي . وهي كذلك تسيطر على افعال بعض الغدد الصماء الاخرى وخصوصاً ما يرتبط منها بفعل التناسل . فاذا حدث ما اعجزها من القيام بوظائفها هذه — ونقص اليود يعجزها — اضطرب الجسم واختل عمل الاعضاء

ويؤخذ من المباحث الكيماوية التحليلية ان اليود في الغدة الدرقية يتخذ شكل مركب كيماوي يعرف « بالثيروكسين » فيه يتحد اليود بمادة بروتينية . ويستطاع تركيب هذه المادة تركيباً صناعياً وبعض المعامل الكيماوية الطبية تستحضره الآن وتبيعه في انابيب فيحقن به من يحتاج اليه . وقد دلت الامتحانات ان الحقن به يحدث في الجسم الاثر الذي يحدثه تناول خلاصة الغدة الدرقية . حتى لقد يصح القول بان الثيروكسين هو افراز الغدة الدرقية الداخلي اي « هرمونها » hormone او على الاقل هو اهم مفرزاتها . تفرزه الغدة الدرقية فيجري في الدم الى اعضاء الجسم ويفعل فعله في التمثيل والاستحالة والبناء . كذلك ثبت ان الغدة الدرقية لا تستطيع ان تفعل فعلها هذا الخطير اذا كان هرمونها خالياً من اليود . فاليود اذاً عنصر حيوي لا يستغني عنه . ولزيادة التثبت قال العلماء : اذا كان نقص اليود من مفرزات الغدة الدرقية سبب العلة التي تنشأ عن مرض الغدة او ازالها بمضع الجراح ، فيجب ان يكون اليود قليلاً جداً او لا اثر له في المناطق التي يكث فيها الجوهر — وهو المرض الناجم عن ضعف الغدة الدرقية او ازالها . وهذه القلة تحول دون حصول السكان على المقدار الكافي من اليود في طعامهم وشرابهم وهوائهم فيصابون به اذاً الى الاستقراء والتحليل ايها العلماء الباحثون عن الحقيقة !!

على ان درس هذه العوامل اقتضى ابداع طرق جديدة للبحث لان مقادير اليود في الطعام والماء والهواء ضئيلة جداً يجب ان تقاس بالمليغرام بل بجزء دقيق من المليغرام فالكشف عنها متعذر اذ لم تكن الوسائل المستعملة للكشف دقيقة شديدة الاحساس

## اليود في البيئة

وزعم هذا البحث هو العالم السويسري « فلنبرغ » الذي بحث وقدّر تقديرًا علمياً ما تحتويه عناصر البيئة من اليود ليجعل ذلك مقياساً تتمحّن به صحة هذا القول . وفي بحثه تناول تحليل الهواء والماء والصخور والتراب والنباتات والحيوانات في اماكن مختلفة من بلاد سويسرا حيث يكثر داء الجوتر وحيث لا اثر له على السواء . فدلّت مباحثه الاستقرائية



التحليلية على ان مقدار ما يتناوله السكان من اليود في الاماكن التي يكثر فيها الجوثر اقل جداً من مقدار ما يتناولونه منه في الاماكن التي لا اثر للجوثر فيها. والظاهر ان انعدام الجوثر في الشواطئ البحرية سببه كثرة اليود في الهواء وماء البحر

وقد تمكن فلنبرغ ايضاً من تتبع دورة اليود من البحر واليه . فوجد انه لدى تبخر مياه البحر يصعد اليود الى الهواء ويهب مع الرياح فوق اليابسة . ثم يرسب في مياه المطر على التراب والنبات فتأخذ النباتات منه ما تحتاج اليه ومن التراب والنبات يعود الى البحر مع السواقي والانهار . وفي الصخور شيء من اليود يتصعد بتفتتها . فاذا بلغ اليود الذي يتناوله الفرد من الهواء والماء والطعام قدراً معيناً امتنع على الجوثر وهذا القدر ضئيل جداً لا يزيد على ٢٠ مللغراماً في السنة . فاذا نقص عن ذلك اختلَّ عمل الغدة الدرقية ونشأت عنه العلل المذكورة آنفاً . وقد تأيدت مباحث فلنبرج بمباحث العلماء في الولايات المتحدة وكندا وزيلندا الجديدة

وعلى ذلك عمد الطبيبان السويسريان هوتزيكر واجنبرجر<sup>(١)</sup> الى تطبيق هذه النتائج في الاماكن التي يقل فيها اليود لمكافحة الجوثر . ومن الوسائل التي استعملوها حقن الطفل لدى ولادته او حقن امه وهي حامل بمادة مؤلفة من يوديد البوتاسيوم وملح الطعام — تعرف بشولسالتز . هذه التجارب لم يمض عليها الا بضع سنوات ولكن النتائج التي اسفرت عنها تبعت على الدهشة والامل بالقضاء على الجوثر من هذا السبيل . فقد اشار اجنبرجر في تقرير له الى ان الجوثر في المواليد في مقاطعة اينزل زال تماماً وان نقشيه بين التلاميذ خف كثيراً على اثر حقنهم بمواد يودية . وثبتت ايضاً فائدة هذه المعالجة في بعض حالات الجوثر الحادة التي كانت تقتضي عملية جراحية . والظاهر ان لا اثر لعلاج اليود في الذين يربي عمرهم على الخامسة والثلاثين . لذلك نرى غرض العلماء منع الجوثر لاشفاء المصابين به الآن وخصوصاً من كان منهم فوق الخامسة والثلاثين

ولا يتم البحث في اثر اليود في الاجسام من غير تناول اثره في الطيور الدواجن والماشية وصحتها ولبنها وشعرها وريشها الخ. ولكن نطاق هذا العدد لا يتسع لذلك فنستأنف في عدد تال . ومعظم اليود المستعمل في العالم يستخرج من مناجم نترات الصودا في بلاد شيلي كمحصول ثانوي . فان هذه البلاد تنتج كل سنة نحو الف طن من هذا العنصر الثمين تصدر منها ٨٠٠ طن ومحصولها هذا يبلغ ٨٠ في المائة من المحصول العالمي . اما ما تستورده مصر فلا يزيد على خمسة اطنان من يودور البوتاسيوم واكثره للاستعمال الطبي





# القياس الدموي وسلالة المصريين

نتائج بحث الدكتور سمرق<sup>(١)</sup>

في سنة ١٩٠١ وجد لاندشتينر تبايناً بين دماء الافراد المختلفة واختلافاً يمنع معه امتزاجها . لان مصل الدم في بعض الناس قد يلبّد كريات الدم الحمراء في دمائه اناس آخرين وقد يحلّسها حلاً في غيرهم . وتقدم البحث في هذا المضمار فوجدوا ان دم البشر يفرق الى اربع فرق لكل فريق خواص محدودة

١ — في الفريق الاول لا يظهر أي التباد في كريات الدم الحمراء باضافة أي مصل كان إليها

٢ — وفي الفريق الثاني تتلبّد الكريات بمصل الفريق الثالث أي أن في هذا الدم

اجلوتينوجين او مادة ملبدة اطلق عليها حرف ( ا )

٣ — وفي الفريق الثالث تتلبّد كريات الدم الحمراء بمصل الفريق الثاني أي أن في

هذا الدم اجلوتينوجين سمي بحرف ( ب )

٤ — وفي الفريق الرابع تتلبّد كريات الدم بمصل الفريق الثاني والثالث أي أن فيها

الاجلوتينوجين ا و ب . ولا اطيل عليكم الكلام في شرح الخواص الدموية المعينة التي تسبب

هذه الظاهرة فهو شرح في واسع لا سبيل للكلام عليه الا ن

وفي سنة ١٩١٦ بحث هرشفلد واخوه دماء ٨٠٠٠ جندي من جنود الشعوب المختلفة

التي اجتمعت في اوروبا في اثناء الحرب الاخيرة فوجدا توزيع فرق الدم المذكورة يختلف

بين الشعوب اختلافاً عظيماً يمكن بواسطته تمييز الشعوب . ووجدا ان الاجلوتينوجين ( ا )

وهو المادة الخاصة بفريق الدم الثاني تزيد كثيراً في اهالي اوربا عن المادة ( ب ) الخاصة بالفريق

الثالث . ولما بحثا نسبة توزيع الاجلوتينوجين ( ا ) الى ( ب ) في كل شعب وجدا ان الشعوب التي

بحثا دماءها تقع في ثلاثة طرّوز : الطرز الاول الاوربي وفيه ا + اب : ب + اب تختلف

من ٢ — ٤ . والطرز الاسوي ونسبته ا + اب الى ب + اب اقل من واحد ، وبينها

طرز متوسط نسبته بين ٢ و ١ . وسميت هذه النسبة الدليل الشعبي



ومن ذلك العهد اتسعت الابحاث حتى شملت شعوباً أخرى لم يرها هرشفلد . وجاء Ottonberg الاميركي وقسم انواع البشر الى ستة طررز ، اذ ظهر ان النسبة المئوية لكل من فرق الدم تختلف اختلافاً ظاهراً في اكثر الامم ، ولكن يمكن ضم بعض الامم الى بعض في طرز واحد ، فوضع الامم التي يتشابه بعضها ببعض في هذه النسب في طرز واحد وثبت أن الاقوام التابعة لكل طرز ليست فقط متشابهة في النسب المئوية لفرق الدم بل بينها أيضاً روابط جغرافية وثيقة ، كما ثبت أن تفريق الشعوب على أساس فرق الدم مطابق لتوزيعها الجغرافي كل المطابقة وأكثر من مطابقته للتقسيم على اساس انثربولوجي (المقاييس العظمية واللونية الخ) . والواقع انه في بعض الاحيان تختلف علاقة بعض الشعوب ببعضها كما يدل عليها بحث الدم عن العلاقة التي دلت اليها من قبل وسائل الانثربولوجية المهودة . فمثلاً اليهود والروس الذين يختلفون في كثير من الخواص الشكلية والخلقية (التشريحية) والطبائع وفي احوال المعيشة والاشغال مما جعل علماء القومية يقولون باختلافهم شعبياً لهم نسب مئوية مماثلة من فرق الدم الثاني والثالث ودليلهم الشعبي واحد وهو (١٣) . والهنود الذين عدوا من قديم من الوجهة الانثربولوجية اقرباء للاوربيين قد تبين من بحث دمائهم وجود تباين عظيم بينهم وبين الاوربيين . فالدليل الشعبي للهنود هو ٢٥ . وهو اقرب للانامي (٨٠) منه للاوربي (٤٠) ودليل الانكليز ٤٠ واليونانيين ٢٥ وها اعلى شعوب اوربا بالنسبة لهذا القياس وأدناها)

وجدير بالذكر ان في روسيا يتناقص الفرق (١) ، ويأخذ الفرق (ب) في الازدياد من الشمال الى الجنوب وذلك بسبب الاختلاط بالعناصر الشرقية . وفي اوربا يأخذ (ب) في الازدياد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي بسبب هذا الاختلاط ايضاً . وفي اليابان تناقص نسبة (١) وتزداد نسبة (ب) من الجنوب الى الشمال بحيث ان الدليل الشعبي لشمال اليابان يقرب من دليل منشوريا وكوريا المجاورتين لها مما يدل على الاختلاط ايضاً

لا شك اذاً في وجود علاقة مؤكدة بين خواص الدم ومنشأ الشعوب ، لان خواص الدم المتعينة وهي (١) و (ب) تورث بحسب قانون مندل ، ولانه ثبت ان نسب توزيع فرق الدم الاربعة تظل في قوم بدون تغير الى ما لانهاية له شرطاً ان لا يدخل عليهم اختلاط غريب ولا يظهر اي اجلوتينوجين معين في الولد الا اذا وجد من قبل في احد ابويه ، فان كان موجوداً في الابوين ظهر في اكثرية الاولاد . وثبت من مباحث (Vergar, Wesgeckzy, 1921) ان شعوباً مختلفة (الامان والصقالبة والفجر) يعيشون اجناباً في بلاد المجر منذ قرون ومن دون اختلاط وتباعل الواحد بالآخر وقد احتفظ كل شعب



منها بخواص دمه ونسب توزيع الفرق فيه وهذه النسب تطابق تماماً توزيعها في هذه الشعوب المقيمة في بلاد أخرى

ففرق الدم إذاً مقررة لا تتغير ابداً ولا علاقة لها بالعمر او الشق (Sex) او الاقليم او الغذاء ولا تتأثر بالبيئة او المرض . و فرق الدم صفة متعينة ثابتة تلازم الفرد ولا تتغير فيه ، ولذلك صارت نسب توزيع فرق الدم مميزة للشعب وخاصة به مهما تنقل على وجه الارض او انتشر افراده . فالفجر الاوريون الذين يقع دمهم في الطرز الهندي المنشوري يمثلون بحسب الحديث المنقول بقايا النواقل من اهل آسيا . و فرق الدم التي تظهر في الابداء تتوقف على دماء الآباء والاجداد وعلى تشابه دماء آخر ابوين

### بحث دماء المصريين

اردت تطبيق هذه الظاهرة في تعيين مقام المصريين بين سلاسل البشر أو شعوبه وتعيين اصولهم ، فأخذت دماء ٣٠٦٤ فرداً من مختلف الناس المترددين على مستشفى الملك او عيادتي الخاصة وكلهم من العامة والطبقة الوسطى ومن هؤلاء حلل الدكتور لويس عوض نحواً من ١٣٠٠ دم وحالت بنفسى الباقيين عدا دماء خمسة اقباط حللها الدكتور محمد علي وكنت اسجل الاوصاف الخلقية الخاصة باللون ولون الشعر والعين وشكل الرأس والاقف ومحل الميلاد واتقصى صراحة الفرد او الخلوص في نسبه او اختلاطه . وكان الدكتور لويس عوض يعمل بمصل يحضره في معامل الصحة واشتغلت بمصل من معامل حكومة النمسا بعد ان تأكدنا من لياقتهما وضبط نتائجهما

بدأت البحث زاعماً ان اهل هذه البلاد اخلاط من شعوب مختلفة وكنت اصف والبحث كل فرد دون اي اختيار . و اردت ان اقابل بين الدليل الحيوي لاهل كل مديرية وهم الذين يعيشون الآن عيشة اسلافهم في هذه الاماكن ولاشك يحملون شيئاً من الدم الذي جرى في عروق هؤلاء الاسلاف ، لان التاريخ لم يورد لنا خبر هجرة اكتسحت امامها جميع اهل مديرية من المديرية ، ولم يخبرنا بوباء قتل النسل بأجمعه . وبلاد مصر الخصبة التي تفيض بالماء واللبن والعسل وانواع القوت لم ينعدم منها الخلق منذ اقدم العصور . فاذا ظهر لي ان الدلائل الشعبية واحدة في المديرية تبين مجانس القوم وان القول باختلاط هذا الشعب غير صحيح او على الاقل مبالغ فيه ، او ان آثار هذا الاختلاط زالت الآن . و اردت ان لا اعلن البحث قبل اتمام تحليل ٥٠٠٠ نموذج من الدم من مختلف الجهات حتى لا يكون هناك اعتراض على استنتاجي من فئة قليلة من الناس ، وحتى يكون فيه التفسير



الكافي لنفي الاقوال المتضاربة في أصولنا التي اشير اليها في المقال السابق أو التوفيق بينها وقد استخلصت من بحث فرق الدم ما يأتي :

(١) — وجود تجانس في النسب المئوية والدليل الشعبي في جهات القطر المختلفة ، فإنه ١٧ ر ١٤ عدا القاهرة (١٤ ر ١) والقلبوية (٣٣ ر ١) والحيزة (٤ ر ١) المجاورتين لها. وفي اصوان (٢٣ ر ١)

٢ — وحدة النسب بين الاقباط (٧ ر ١) ومجموع السكان . وتعلمون ان الاقباط هم الفرقة التي تحدرت من قدماء المصريين واحتفظت بوحدتها القومية وان فقدت لغتها الاصلية ولم تختلط بالعرب او السوريين منذ نحو ١٣٥٠ عاماً

(٣) — اذا كان للاختلاط بالعرب اثر باق فهو في مديرتي القلبوية والحيزة والعاصمة لاغير، اما هناك من قبائل الاعراب النازلة على الحد الشرقي للوادي، فأنتهم تختلط بالفلاحين، اما النازلون من قبائل البدو في الجهة الغربية من أصل بربري ويتحدون في النسب الاصيلي مع سائر السكان وان كانوا لا يزالون بدوياً ، فلم احلل دماءهم بعد

اما الاستشهاد بانتشار الدودة المعقفة التي تسبب مرض الرماع فيؤيد ما تقدم :  
لهذه الدودة نوعان الانكلوستوما والنيكانور اميركانا — الاولى منتشرة في شمال افريقية والثانية في وسط افريقية من الصومال الى السنغال وافريقية الوسطى والجنوبية . وقد انتقلت الدودة الاخيرة الى اميركا بانتقال العبيد وعدي بها البيض والسود معاً . وقد كان جلب العبيد شائعاً عند قدماء المصريين وقد قدروا ما كان يجلب منهم كل عام بثلاثة آلاف عبد ، وفي حكم الاتراك ازداد هذا العدد فقدر الاستاذ مامون Mamont, Revue de l'Orient 1893 عدد العبيد الذين يجلبون الى مصر بعشرة آلاف عبد كل عام وذلك قبل منع الرق . فيمكن تقدير الزنوج الذين دخلوا مصر منذ القدم بين ١٠ ملايين و١٢ مليوناً بين رجل وامرأة وطفل . ولو دخل جزء من مائة من هذا العدد في بلاد اخرى لحدث انقلاباً في صور الناس وخلقهم ولكانت هذه الدودة شائعة في مصر شيوع الانكلستوما

ولكن الاستاذ خليل يستطيع ان يخبركم انهم لم يروا في مصري دودة واحدة من هذا النوع . ولو كان اصل المصريين من وسط افريقية لاتوا بهذه الديدان كامنة في اجسادهم وتناسلت وتكاثرت فيهم . اذاً يتنفي القول بان أصل المصريين من وسط افريقية او من الصومال نفيّاً تامّاً





## أغاني الصيف

عُودِي أَغَانِي الصَّيْفِ وَاسْتَبَقِي الْهُوَى  
مَضَتْ الشَّهْوَرُ عَلَيْهِ يَرْقُبُ عَوْدَةً  
غَسَلَتْ بِبَاسِمَةِ الْأَشْعَةِ جِسْمَهَا  
وَتَخَطَّرَتْ بَيْنَ الْأَزْهَرِ شُعْلَةً  
فَالْجَوْ فَاضَ حَرَارَةً وَتَالِقًا  
وَإِذَا النَّسِيمُ مُوقَفٌ مِنْ رَهْبَةٍ  
أَنْتَى مَشَيْتٌ - وَفِي الرِّيَاضِ عَيْرُهَا  
رَقَصَتْ أُمَامِي فِي الظَّلَالِ وَنُورِهَا  
وَالنَّاسُ تُشْكُو الصَّيْفَ وَهُوَ لَمْ يَجِ  
فَإِذَا الطَّبِيعَةُ فِيهِ بَيْنَ سَدَاجَةٍ  
لَبَسَتْ أَفَانِينَ الدُّنَا وَإِنَّمَا  
بَسَطَتْ بِسَاطَ الْحُبِّ بَيْنَ رِعَايَةٍ  
فَوَهَبَتْهَا قَلْبِي الَّذِي مَا عَابَهَا  
وَاسْتَمَرَّ الدُّنْيَا لِأَجْلِ نَوَالِهَا

فِي بَثِّ آمَالٍ وَبَعَثِ أَدِيبِ  
لَحْنَانِ (أَفْرُودِيْت) بَعْدَ مَغِيبِ  
وَتَعَطَّرَتْ بَتَغَ - زُلِّي وَنَسِيبِ  
لِلْحُسْنِ وَهِيَ تَلْجُ فِي تَعْذِيبِ  
وَالزَّهْرِ فِي ظَمَأٍ كَقَلْبِ حَبِيبِ  
وَإِذَا مَجَالُ الْحُبِّ جَدُّ رَهْبِ  
وَحَبَّتِي وَدَلَالُهَا وَوَجِيبِ -  
أَطْيَافُهَا بِمَشَوِّقٍ وَعَجِيبِ  
عِيدُهَا مِنَ الْأَعْيَادِ غَيْرُ مُرِيبِ  
مَعْسُولَةٍ ، وَسَعَادَةٍ لِكَثِيبِ  
شَفَّتْ وَلَمْ تَبْخُلْ مَعَ التَّحْجِيبِ  
وَأَبَتْ قِيُودَ الْأَسْرِ رَغْمَ رَقِيبِ  
يَوْمًا ، وَدَانِ لَهَا بِأَكْرَمِ طِيبِ  
فِي حَالِي الْمَجْرَانِ وَالتَّقْرِيبِ

\*

عُودِي أَغَانِي الصَّيْفِ وَاسْتَبَقِي الْهُوَى  
فِي بَثِّ آمَالٍ وَبَعَثِ أَدِيبِ



# باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحنه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشجيعاً للاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فتحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف وبراى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فنناظر ك نظيرك (٢) اما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيم كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فللغات الوافية مع الانيجاز تستخار على المطولة

## الفارابي وحركة الارض

حضرة صاحب المقتطف الاستاذ الفاضل

تناولت المقتطف الاخير جزء يونيو وبينما انا اتلذذ بمطالعة فصوله المفيدة ومباحثه الدقيقة اذ قرأت للاستاذ حنا خباز تحت عنوان « نظرية اينشتين والفارابي » رسالة فيها استعراب ان يكون مثل الفارابي سبق الى شيء من نظرية الجاذبية وانه لا يمكن ان يكون ذلك لان عصره لم يبلغ ما بلغته العصور الحديثة « المبنية على الامتحان والقياس » واني استنم من كلام الاستاذ حنا خباز شيئاً من الاستصغار لمعارف الاولين. وليس هذا بشأن عالم مثله . فالعصر الحديث بلغت بسنة النشوء والارتقاء في العلم مبلغاً لم تصل اليه القرون الوسطى او التي قبلها وهذا لا جدال فيه . ولكن من الخطأ ان يظن ان معارف الاولين كانت كلها اذواقاً تصوفية واشراقات روحية خالية من الامتحان والقياس ! فلو لا الامتحان والقياس ما امكنها ان تكون علوماً تؤسس عليها هذه العلوم الحديثة التي ليست الا حلقة من سلسلة طويلة . ولم تولد هذه العلوم رأساً كما لا يخفى . ويقول الاستاذ خباز : « كان علماء الفلك في عهد الفارابي وقبله وبعده الى عصر كوبرنيقوس يعتقدون ان الارض مركز الفلك وان الشمس احدى السيارات التابعة لها . على هذا الايمان العلمي مات ابو نصر وانداده ولكن كوبرنيقوس البولوني ظهر بعد الفارابي بنحو خمسة قرون وقال « ان الشمس هي المركز والارض احدى سياراتها »

وليس الامر كذلك وليس هذا الجزم كله ضرورياً . فالقول بحركة الارض قديم . والقول بجاذبية الافلاك قديم قرأت منه في رسائل اخوان الصفاء . وغاية ما هناك ان الفلكيين كانوا يقولون بوجود رأيين حركة الشمس حول الارض وحركة الارض حول الشمس . وخذ لك من مواقف العُضد التي شرحها السيد الجرجاني هذا الموقف :



« وقيل أنها — اي الارض — تدور على مركز نفسها من المغرب الى المشرق خلاف الحركة اليومية للفلك التي اعتقدها الجمهور . والحركة اليومية لا توجد وانما تتخيل بحركة الارض يتبدل الوضع من الفلك بالقياس اليها دون اجزاء الارض اذ لا يتغير الوضع بينما وبينها فائتا على جزء معين منها فاذا تحركت من المغرب الى المشرق ظهر علينا من جانب المشرق كواكب كانت مخفية عنا بمجدبة الارض وخفي عنها بمجديتها من جانب الغرب كواكب كانت ظاهرة علينا فيظن ان الارض ساكنة والمتحرك هو الفلك . وليس كذلك بل ليس ثمة فلك اطلس وذلك كراكب السفينة يرى السفينة مع حركتها حيث لا يتبدل وضع اجزائها منها والشط متحرك مع سكونه حيث يتبدل وضعه مع ظن انه ساكن وكذلك يرى القمر سائراً الى جهة الغيم حين يسير الغيم اليه . والفارابي هو من اكبر فلاسفة العالم وسنذكر عنه في فرصة اخرى ما يعلم منه شيء من عبقريته التي لا يؤخر مكانه فيها كون عصر اينشتين في العلم ارقى من عصره لا كون اينشتين هو بنفسه اعظم دماغاً من دماغ الفارابي والعلم هو كما قال الاستاذ خباز ليس فيه اديان ومذاهب ولا اجناس ولا سلائل . واذا نظرنا بعين التأمل نجد اينشتين اقرب الى العرب من الفارابي . لان اينشتين يهودي وقد يكون سامياً من ابناء عم العرب . واما الفارابي فهو على رواية فارسي اي من السلالة الاربية التي هي القربى الى الاوربيين وعلى رواية اخرى تركي اي من السلالة المغولية الصفراء . ولكن على الناس ان يذكروا كل عالم بدرجته . وليس عليهم حرج ان يفتخروا به . فاليهود يفتخرون باينشتين والانكليز يفتخرون بنيوطين والفرنسيون يفتخرون بياستور . وهذه المفارقات تزيد الرغبة في الجهاد العلمي والاقدام على خدمة الانسانية . واني لاشكر جداً للاستاذ محمد بدر الدين الخطيب ما نقله عن الفارابي من الكلام على الجاذبية وهو رأى له فيه من الفضل والسبق ما ليس لعلماء هذا العصر الذي امتلأ بهذه النظرية ولا يخفى ان واضع الاساس له من الفضل ما ليس لغيره

لوزان سكيب ارسله

لم يكن القصد من الكلمة التي تفضل المقتطف بنشرها لي استصغار علوم الاوائل ولا الموازنة بين دماغ اينشتين ودماغ الفارابي . وانما كان قصدي الاشارة الى ان ارتقاء العلوم الذي تم في العصور الفاصلة بين عصر الفارابي وعصر اينشتين مهد لاينشتين من الاسباب ما مكنه بقوة عقله من اخراج مذهبه المشهور . ولولا هذا الارتقاء لما تم ذلك لاينشتين ولا لغيره . فكيف نستطيع ان نقول ان الفارابي على جلالة قدره سبق اينشتين الى مذهبه ؟

صاحبها



## حول نشأة فن المقامات

لم اكتب في هذا المعنى شيئاً اكثر من ان ما زعمه الدكتور زكي مبارك اكتشافاً كان امراً مكشوفاً يعرفه هذا وذلك لان كتاب زهر الآداب مطبوع مقروء ولان العبارة التي قال الدكتور انه وصل اليها اخيراً في هذا الكتاب يجدها في شرح الشريشي على مقامات الحريري وهو شرح معروف طبع مراراً ومعنى ذلك انه قرئ مراراً . . . ثم قلت ان ما خلط به الدكتور في الكلام عن احاديث ابن دريد نقلاً عن استاذة الدكتور طه حسين كلام مضحك . غير ان حضرته على ما يظهر لي . . . لم يرضه ان يرجع بعد البعير بخفي المسيو حنين . . . فجاء يقول في رده ان كلتي دون ما كان يظن من العمق . نشدتك الله ايها الفاضل ما حاجتنا الى العمق والاقيانوس والباخرة ونحن بصدد اكتشاف اميركا في كتاب جغرافيا . . . ؟

افهم انت ما تكتبه بقلمك يا حضرة الدكتور حين تقول في ردك : « الرافي يسأل كيف عارض بديع الزمان ابن دريد ثم لا يستفيض ذكر هذه المعارضة في كتب المشرق ولا نراه منقولاً الا عن رجل من اهل القيروان . ومع انه يسأل هذا السؤال فانه يذكر ان الشريشي نقل هذا النص في شرحه على مقامات الحريري . الا يكفي ان يذكر هذا النص في ثلاثة مصادر : زهر الآداب وشرح الشريشي ومعجم ياقوت ؟ »

الا ليت شعري اذا كان النص قد ذكره صاحب زهر الآداب ثم نقله ياقوت ونقله عنه الشريشي فهل نحن الا حيث كنا من ان هذا النص قد انفرد به صاحب زهر الآداب ولم نره « منقولاً » الا عن رجل من اهل (القيروان) ؟

لاريب ان في رأس الدكتور وهماً يمد له في مزاعمه الخيالية فهو يظن ان « جميع الدوائر الادبية » تقرر ان بديع الزمان اول من ابتكر فن المقامات ومن هذا الظن يظن . . . انه اكتشف . ولكن في اي كتاب من كتب « جميع الدوائر الادبية » وجد النص على ان بديع الزمان اول من ابتكر هذا الفن ؟

سيبحث الدكتور في كتب المدارس الثانوية وفي كتب الادباء قديماً وحديثاً فيعرف انه كان واهماً في هذا الزعم وحينئذ لا ارد انا عليه بل يرد زكي مبارك على زكي مبارك ويطمع الاديب الفاضل في آخر رده ان اسجل « انه اول من اهتدى الى الصواب في نشأة فن المقامات » . وبودي والله ان يكون اهتدى فضلاً عن ان يكون اول من اهتدى . . . .

مصطفى صادق الرافعي



## وأد البنات والاشراكية في النساء

وأثر البيئة في ذلك

قرأت في المقتطف البحث الطريف عن قبائل التوارج فاستوقف نظري ما جاء فيه عن سيادة المرأة فيها حتى لتختار لنفسها زوجها وينتسب ابناؤها اليها دون والدهم لأنني كنت منذ بضعة شهور في حوار في موضوع من هذا القبيل مع بعض الاصدقاء بصدد ما نشر في الصحف عن حركة قام بها الرجال في احدى بلاد آسيا للمطالبة بحق المساواة مع النساء وقد اختلفت آراؤنا حينئذ في تعليل هذه الظاهرة الاجتماعية الشاذة وكنت احسب اني سأجد في هذا البحث الجواب الشافي لما فيه اختلفنا والتعليل المقنع لشذوذ المرأة عن النظام الطبيعي الذي يجعل للرجل حق اختيار الزوجة لانه أقوى من المرأة جسماً وأقدر لذلك على اخضاعها لرغباته وقسرها على طاعته . فاذا الكاتب لم يعرض بالاسف لهذه المسألة بل رأيته يصف المقام الذي نالته المرأة التاريخية بالرفعة ويعرفه بانه هو مقام المرأة الغريبة من حيث مساواتها بالرجل من غير ان يبين عن العوامل التي رفعتها الى هذا المقام او يعلل خروجها في أمة تدين بالاسلام عن القاعدة التي تجعل الرجال قوامين على النساء . ولعله لم يبحث في ذلك لانه لا يقر شذوذ مركزها بل يصرح بانه دليل الرقي

على اني لست أرى سيادة المرأة من الحضارة في شيء ولا هي آية على الرقي كما يذهب الكاتب الا وسيلة من الوسائل البدائية التي لجأ اليها الانسان الاول لاتقاء المجاعة وصورة من الصور العديدة التي تقلبت عليها علاقة الرجل بالمرأة في بعض البيئات شذوذاً عن المؤلف تبعاً لاختلاف الاحوال فيها عن المعتاد . وسأحاول في هذا المقال بسط ذلك بما يتسع له المقام قبل ان يعرف الانسان الزراعة او يهتدي الى وسيلة اخرى لتوفير اسباب المعيشة طبقاً لحاجته كان عرضة للخطر والمجاعة وكان اذا ضاقت باحدى القبائل سبل المعيشة في أرض هجرتها الى غيرها التماساً للقوت الا حيث تقوم دون الارتحال موانع طبيعية فتضطر الى البقاء حيث هي محصورة ثم ترى لها من الضيق مخرجاً بأقاصي الاستهلاك وتأخذ لذلك بأبسط الوسائل ومما عرف من هذه الوسائل البدائية قتل الاطفال او بيعهم وتعدد الأزواج واكثر شيوعاً قتل الاطفال فقد ذكر «العلامة داروين» في كتابه «تسلسل الانسان» ان شعوباً كثيرة كادت تنقرض من ممارستها لهذه العادة وهو يرى ان تعدد الأزواج نتيجة لها اذ لما كانت البنات اكثر من يقتل من الاطفال أتى على هذه الشعوب وقت لم يجد الرجال نساء بنسبة عددهم فاضطر كل بضعة منهم الى المشاركة في امرأة واحدة وعنده «مامن علة تكفي لقتل الشعور الطبيعي العام بالغيرة والقضاء على رغبة كل رجل في الاستئثار بامرأة سوى قلة النساء»



لكن يُرَد على هذا بأن العرب في الجاهلية كانوا يثدّون البنات ولم يصيروا الى الاشتراكية في النساء بل هم من اشد الناس غيرة على النساء . واعتقد لهذا ان لاصلة بين العادتين وان كلا منهما نشأت في بيئة تختلف عن الاخرى . اما قتل الاطفال فمن عادات البدو يمارسونها في فصل الجفاف الذي تقل فيه الاقوات والكلاء فيضطرون الى الارتحال للغزو والتماساً للرعي . ويقتلون الاطفال عندئذ اقتصاداً للزاد ينفعهم في رحلاتهم وهم في الغالب انما يقتلون البنات دون الاولاد لان هؤلاء اكثر انتاجاً واعظم نفعاً لقبائلهم من البنات . واني اميل الى الاعتقاد بأن تقديم الذبائح البشرية نشأت من هذه العادة وان الشعوب التي مارسها هي التي كان من عاداتها قتل الاطفال ثم تعلمت الزراعة فلم تترك هذه العادة بل جعلتها من الدين زلني للالهة ولبنت هذه العادة كذلك زمناً ثم استبدلت الضحايا البشرية بذبائح من اجناس البهائم . وبعض الشعوب يخلصون من اطفالهم بالبيع بدلاً من قتلهم ومن الشعوب التي عرفت بذلك أمة الشركس . وأن في جمال صورهم وقرب بلادهم من امم مترفة غنية ما يعلل أخذهم بهذه العادة دون القتل اما عادة تعدد الأزواج فتكون في الاقاليم التي يعول اهلها في أمور معاشهم على الحاصلات الطبيعية يجمعونها في مواسمها ويخزنون منها كفايتهم الى الموسم التالي . وفي العادة يتولى الرجال الجمع اما المرأة فوظيفتها حفظ المؤونة وتخزينها ومثل هذه الجماعات تعتمد كثيراً على حكمة المرأة وحسن تدبيرها في انقاذها من المجاعة . وذلك هو سر سيادتها التي تغالت فيها حتى استباححت لنفسها بحجة توفير الاقوات لقومها ان تتخذ آخذاناً كما تشاء يعاونونها في ذلك وهذا النظام يشبه من بعض الوجوه نظام النحل في خلاياه فالمرأة في بيتها هي الملكة والرجال عندها كالارقاء . وقد رضي الرجال بهذا لان طبيعة البيئة تقتضيه ولانه النظام الذي يكفل للقوم الفوز في جهادهم للبقاء . ولم تمنعهم الغيرة عن ذلك فما كانت العاطفة لتقف حائلاً دون الرضى بنظام يقوم على غريزة دونها سائر الغرائز قوة هي غريزة حب البقاء ومن نتائج تعدد الأزواج انه يقصر التناسل على عدد قليل من الرجال لان المرأة مهما تعدد أزواجها لا تعطي نسلأ الا لواحد ويضيع غرس الاخرين سدًى فتقل نسبة المواليد تبعاً لذلك . ومع خطورة هذه النتيجة لدى الشعوب التي تجهل الاستقلال ووسائله لحفظ التوازن بين الانتاج والاستهلاك لست اظن انها في أخذها بعادة تعدد الأزواج كانت ترمي اليها اذ لا يتصور ان شعوباً في هذا الطور البدائي تكون من سمو الادراك بحيث تقدر هذه النتائج البعيدة بيد انه من المحتمل ان تكون قد ادركت بعد زمن هذه الفائدة فكان ذلك من العوامل التي ساعدت على تدعيم هذا النظام ورسوخ اركانه وقد كانت لسبارطه شريعة سنها ليكورغ تبيح الاشتراك في النساء يجوز بموجبها للشباب



الجميل اذا اشتى امرأة جاره ان يستأذن منه ليضع في تربة زوجه الطاهرة غرسه فيأذن له ولا يرى انه أتى بذلك امرأاً اذاً. ولم يكن الباعث على هذا النظام التعاون على توفير أسباب المعيشة كما هو الشأن عند غيرهم من الشعوب التي على الفطرة وانما هو نتيجة لانهمك الرجال في الحروب حتى كان أحدهم يقضي زهرة حياته بعيداً عن بيته وقد صارت للنساء بسبب ذلك على ما رواه ارسطو السيادة في بيوتهن حتى كان الرجل لا يخاطب زوجه الا بقوله سيدني او مليكتي ولا بد انهن انصرفن للسبب نفسه مع هوى نفوسهن فاتخذن اخداً ناً. ولا ريب في ان هذه الحالة كانت مثاراً لمشاحنات كثيرة وخصومات بين الرجال فلما جاء ليكورغ وكان جل غرضه تعزيز الروح الحربية لم يعنه من الامر الا القضاء على هذه المشاحنات وكان من تديره لذلك تلك الشريعة التي اشترت اليها التي جدد بها انفة الغيرة فأزال اسباب الخصومة بين الرجال وقد نجح في ذلك نجاحاً يندأ من آياته انتفاء معنى الزنا من اذهانهم. وقد كان للرومان شريعة سنها لهم حكمهم نوما تحول للرجل الذي يكثر اولاده ان يتخلى عن زوجه لجاره الذي لا خلفه له اذا طلبها اما الى اجل مسمى او لغير اجل وهي اشبه ما تكون بشريعة طلاق لكن بلوطارخوس في الموازنة بين ليكورغ ونوما يساوي بينهما وبين شريعة الاول الآفة الذكر ويصفها بأنها مثلها بتيسح الاشتراكية في النساء مع فارق هو ان شريعة ليكورغ تبيح للرجل ان يدخل على المرأة المزوجة في بيت زوجها ولم يكن ذلك جائزاً في شريعة نوما الا بعقد مع زوجها كما تقدم ومع اعتراف بلوطارخوس بأن هذا العقد قناع يخفي وراءه اشتراكية لاريب فيها يقرر افضلية شريعة نوما لتقريرها هذا التعاقد وظاهر من قصر حق النزول عن الزوجة على من يكثر اولاده ان الشارع كان يرمي الى تخفيف تكاليف الحياة عن عاتق الفقير بتقليل نسله. ولعل نوما وجد النساء الفقيرات يتبدلن للكسب خلسة من ازواجهن وكانت جرائم كثيرة ترتكب من الغيرة وخشي اذا بقي الحال على هذا ان تشتعل قلوب الفقراء بالحقد على الاغنياء لاعتدائهم على اعراضهم وان يضاعف لهم ذلك مرارة الفقر واشفق من عواقب هذا على الديمقراطية ان يعصف بها تباذ الطبقات فسن هذه الشريعة علاجاً لذلك كله

ورأيي فيما يتعلق بالتوارج انهم كانوا قبل الاسلام يبيحون تعدد الازواج من الفقر ولاضطرار الرجال ان يتعموا طويلاً عن بيوتهم للغزو. ومن آثار ذلك عندهم سيادة المرأة ونسبة الابناء الى الام دون الاب وقد تكلمت فيما سبق عن العوامل التي تمكن للمرأة من السيادة في عشيرتها. اما نسبة الابن الى امه فسيبها انه في حالة تعدد الازواج يتعذر ان يعرف الاب على وجه التحقيق. ومع انهم قد ابطلوا بالاسلام تعدد الازواج فقد بقيت هذه العادة لاتصالها بتقاليدهم ولان سيادة المرأة من دعائم نظامهم الاجتماعي





### الآنسة ايمي جنسن

التي طارت وحدها على طائرة خفيفة من طراز موث من انكلترا الى استراليا .  
وقد اشرنا الى ذلك في مقتطف بونيو الماضي صفحة ١١٦ .



# بَابُ شُؤْنِ الْمَرْأَةِ

## وتدبير المنزل

قد فتحن هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة وأهل البيت معرفته من تربية الأولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهرات النساء ونهضتهن ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

## أعادت المقتطف الصحية

للدكتور شخاشيري

### ١- السرطان وأسبابه

لا تزال اسباب السرطان الاولى مجهولة او محاطة بحجب كثيفة — بخلاف الاسباب الثانية المهيجة التي تخرض على ظهوره ولا سيما في النساء فانها اصبحت معلومة وفي الامكان دفعها وملافاة ما ينتج عنها من خطر . ومن النادر ان ينشأ السرطان سرطاناً في بدء تكوينه اي لا يتكون من اغشية وخلايا سرطانية في بداية نشوئه سواء كان ذلك على سطوح الجسم او في الاعضاء الداخلية . وانما ينشأ عن ورم مهما كان صغيراً في حجمه او بثرة او قرحة او جرح اهملت مداواته ولم يبرأ وهذه وان تكن اولى مهيأته فانها في هذا الدور ليست بسرطان وهي قابلة للمعالجة والشفاء . ولكنها في الغالب تهمل ولو نالت من العناية والاهتمام على قدر ما تستحقه لقل انتشار السرطان وانعدم ظهوره بأقل من عشرين سنة . اي ان المراقبة الدقيقة وانفاذ شروط الوقاية من هذا الداء الويل لمدة عقدين من السنين كافية للتغلب عليه ومحو اثره من الوجود

الوقاية من سرطان الرحم

وقد يظهر هذا الداء في المرأة في اي سنة من سني حياتها وقد تصاب به الفتاة ايضاً وهذا نادر . ومعظم الحالات بين سن الاربعين والخمسين ويزيد عدد وفياته على وفيات الامراض المعدية مجتمعة . وليس من عضو في الجسم بمنجاة منه ولكن الاعضاء التي هي اكثر تعرضاً للاصابة به هي الثدي في المرأة العقيم والرحم في المرأة الولود ودلت الاحصاءات على ان ثلث الحالات مصابة بالرحم وان ٩٥ في المائة من هذه



الاصابات في نساء ولدن أكثر من ولد . والذي يؤيد هذه الاحصائية ما نشاهده في الحالات الاكلينيكية بعد الولادة فانه من النادر جداً ان تضع المرأة مولوداً من غير ان تصاب بجرح او خدش صغير او كبير في جزء من قناة التوليد او عضو من اعضاء التناسل . وأكثر الاعضاء تعرضاً لهذه الجروح والخدوش عنق الرحم فقد ثبت ان ٧٥ في المئة من الحالات السرطانية تنشأ عن جروح في عنق الرحم اهملت ولم تداوى . وانت ترى مما تقدم ان مسؤولية الوالدة خطرة جداً وخطورتها آتية من الاعباء الملقاة عليها وليس عليها في ازاء هذه الاعباء الا ان تعمل بحسب ارشادات الطبيب والنظام الذي وضعه لها وهي حامل . وعليها بل على من حولها من اهل ان يراعوا ذلك النظام ويعملوا على تنفيذ ما ورد فيه من شروط ولا سيما الخاص منها بعد الولادة . فالجروح التي تحدثها عملية الولادة يجب ان تداوى في الحال وما الاهال في مداواتها الا سبباً كبيراً لداء السرطان وعاملاً قوياً على انتشاره . فاذا اردت ان تكوني بمأمن من هذا الداء وعواقبه الوخيمة فإليك الا ان تتأكدي من سلامة جسمك خصوصاً بعد الولادة من الجروح واذا كان ثمة جرح ولو كان خدشاً بسيطاً يجب ان يداوى وان يعتنى به الى ان يزول اثره . وقد ثبت من درس بضعة آلاف حالة انه لا ينشأ السرطان في رحم تداوى من تمزق حصل فيه وشفي منه وبالعكس اذا لم يداوى هذا التمزق فانه يكون صالحاً لاثارة ذلك المرض الخيف . ومن اصلح الطرق لوقاية المرأة من داء السرطان هي ان تعنى بجميع الجروح والخدوش والتمزقات المتسببة عن الولادة عناية تامة وقد قيل ان العناية بها عبارة عن تأمين المرأة على حياتها

الوقاية من سرطان الثدي

اما سرطان الثدي فليس من السهل تعيين اسبابه فهي كثيرة ولكل منها ظروف واحوال خاصة . فظهور كتلة صغيرة فيه صلبة وغير مؤلمة لا تكون في اول نشأتها سرطاناً وانما تكون مقدمة لذلك المرض . وافضل ان تنزع في هذا الدور وهي بريئة من ان تترك الى حين يشتبها بها . والالم لا يرافق السرطان عادة في دور تكوينه ولذلك لا يصح ان يتخذ نذيراً له بحال . والمرأة التي تشعر بالالم من ورم ظهر في ثديها تكون في الغالب بمأمن من السرطان ولا يكون ذلك الورم بطبيعته الا خراجاً عادياً لا خوف منه . والمعروف عن السرطان في دور تكوينه انه غير مزعج وغير مؤلم ولا يصير كذلك الا بعد ان تشعب اصوله ويكبر حجمه وتعدم كل وسيلة فنية في دفع خطره ويقطع كل رجاء من مداواته . فتجاهل الاورام الصلبة الصغيرة وتركها وشأنها من غير معالجة او استئصال خطر يجب ان لا تستهدف له امرأة وان يعمل على ملاقاته ودفع ما ينشأ عنه من عواقب سيئة



## ٢ — واجبات القابلة

دعيت لمعالجة بعض النساء من الطبقات الفقيرة فهالني ما اصبني به من امراض ناتجة عن جهل القوابل غير المتعلمات فرأيت ان اكتب كلمة عملية في هذا الموضوع اخاطب بها تلك القابلة : قبل ميعاد الوضع بثلاثة اسابيع زوري الحامل في بيتها مرة في النهار ولا طفيها وشجعها واذكري لها حوادث ينشرح لها صدرها . وفي خلال زيارتك ادرسي احوالها واحوال من في البيت معها وارشديها الى امور ينبغي ان تعلمها حتى تتمكن من ثقتها . فيهن عليك ان تلقي عليها اسئلة تدركين من الجواب عنها مقدار ارتياحها الى مكلمتك . تفقدي بنفسك ثياب الجنين وثيابها عند الوضع وبعده وما يجب وجوده ساعة الولادة وبعدها من الاربطة والقطن المعقم والحفاضات والوسائد والاواني من صحن ومغطس او حوض صغير وحقنة ورباط الجبل السري وعقاقير لتعقيم الماء . وانتقي للولادة غرفة واسعة مطلقة الهواء خالية من الستائر والفرش ليس فيها الا طاولة لوضع الادوات عليها . وتغسل القاعة او تبخر بحرق الكبريت فيها بعد سد منافذها ٢٤ ساعة . وتغسل الطاولة بالماء الفاتر والصابون جيداً ثم تجفف وتعطى بملاءة نظيفة معقمة . ويلزم للحامل سرير تد عليه فاذا تمزج وجوده ففرشة فوقها مشمع وشرشف وبطانية وفوق هذه الفرشة طراحة توضع تحت مقعدة المرأة ومشمع وملاءات لامتناس السوائل التي تخرج في اثناء الولادة . وبعد انتهاء الوضع ترفع الطراحة وما عليها ويبقى ما تحتها كما وصفناه . ولا اخالك تجهلين ان المدة الكاملة للولادة من ابتداء الطلق الى انتهائه في بكرات الولادة اطول منها في الوالدات . فالاولى تستغرق من ١٨ ساعة الى ٢٢ والآخرى من ٨ ساعات الى ١٠ وقد يختلف هذا التعديل

عند ما تنوين الذهاب الى بيت الحامل في وقت الخاض خذي معك قميصاً طويلاً او كسوة شبه مريول من الكتان الابيض معقمة ومقراضاً ( مقصاً ) لقص الجبل السري وقليلاً من الحامض البوريك ولفافة قطن معقم . وحالما تدخلين البيت قابلي اهله بالبشاشة ثم اقتربي من الحامل وسري اليها سؤالك عن نوع الطلق والوقت الذي ابتداء به ومدة النوبة والفترة بين النوبات فاذا كانت الفترة نصف ساعة تكون مدة النوبة نصف دقيقة والالم خفيف . ومتى حصلت النوبة وكانت الحامل ماشية واضطرت الى الوقوف والاستناد الى ما تجده بجانبها وترسم على وجهها علامة التألم لكنها تزول عنها بسرعة . واذا كان قد مضى عليها في هذا الدور بضع ساعات اشيري عليها بالمغطس او الاستحمام بماء فاتر وان تلبس ثياباً نظيفة . وبعد قليل لا بد من الحفنة الشرجية بماء فاتر مع مقدار من الزيت في المستقيم



وعندما يشتد الألم ويتكرر الطلق مرة كل عشر دقائق وتمكث النوبة دقيقة وأحياناً يرافق هذا الدور اعراض اخرى مثل تكرار التبول والشعور بحيث تظنه ماء الرأس يجب ان تذهب الحامل الى فراشها ويجب ان يكون بالقرب منك الماء الحار والفاطر ومغسطس صغيرا وحوض لاجل الطفل الذي ستستقبلينه مع بقية الادوات التي ذكرناها من مناشف وقطن ووسائد والعادة في الشرق ان تجلس الحامل على كرسي تسهيلاً لقذف الجنين من جوفها وهذا وهم وخطأ فضلاً عن الاضرار التي تنشأ عنه. والافضل ان تستلقي على ظهرها توفيراً لقواها ودفعاً للخطر الذي ينتج عن جلوسها في الكرسي. وتكونين انت قد لبست قميص التوليد وشمرت عن ساعديك الى فوق الكوع وجئت بمن يصب لك الماء الفاتر فاعسلي يديك وساعديك بالماء والصابون الى الكوع وقلمي اظافرك قبلاً وليطل وقت غسل يديك خمس عشرة دقيقة واغمسي يديك بمحلول الحامض البوريك وهو الوحيد الذي يمكنني وصفه لك مع وجود سواء افضل منه ولكن لا بأس به فضعي مقداراً كبيراً بوعاء يسع لترماء فاطر. ومتى صار الطلق مصحوباً بالألم اشد من السابق وطالت مدة النوبة دقيقة ونصف وسمعت للمرأة الحامل صراخاً شديداً استعداداً للعمل الذي دعيت اليه فاجلسي بجانبها. وقوي عزيمتها بكلام رتاح اليه. وفي بدء هذا الدور ينسكب في الغالب ماء الحبيب فظفي جسمها منه. واشير عليك باستعمال الجبس الخارجي فقط فاذا شعرت بتمدد عنق الرحم واندفاع الرأس الى الخارج مع كل طلق نبهي المرأة ان لا تصرف قواها في الطلق الاغتصابي الا متى رأيت الرأس ابتداءً في الظهور فدي يدك اليمنى من تحت فخذه اليمنى واسندي الاجزاء الواقعة هناك بكفك عند كل طلق. وعند بزوغ رأس الجنين اسنديه بيدك الثانية واعرضي مروره فجأة وكلما مددت يدك الى جسم المرأة اغمسها بالماء المعقم ولا تلمسها بدون ذلك. واياك ان تستعملي الجبس الداخلي فان الطيب مع الوسائط التي يتخذها للتعقيم والتطهير يحجم عن الجبس الداخلي الا بطرؤف القاهرة. وقبل ان يقدم عليه يصرف نصف ساعة في غسل يديه لعلمه ان الولادة رغم هذه التحولات لا تتجو من خطر العدوى

وعندما يظهر الرأس جسسي حول عنقه اذا شعرت بجبل السرة ملتقاً عليها. لا تخافي ولا يظهر عليك الوجع بل قولي للمرأة ان تطلق طلقاً صناعياً وازعي الوسائد من تحت رأسها بحيث يكون استلقاؤها على ظهرها مستوياً. وفي بضع دقائق يحل المولود من عقاله واذا تأخر وكان الجبل السري ينقبض فلا تخافي عليه فالطبيعة تساعد على النجاة انما اجتهدي ان تخلصيه بمرور اصبعك بين الجبل والعنق واسحبيه الى فوق الرأس. واذا مجزت عن ذلك وكانت علامات الاحتناق قد بدت على وجه الجنين ولم يكن بقربك طيب فاربطي الجبل السري



ربطاً محكماً رباطين يبعد الواحد عن الآخر قليلاً وقصي الجبل بين الرباطين فيخرج الجنين بسرعة تسمعين بكاء الطفل عقب ولادته بمدة قصيرة. وهذا البكاء اشارة على وجوب قطع الجبل السري اذ لم يعد في حاجة الى الغذاء بواسطته. فاربطي الجبل السري على بعد بادخال اصبعك بينه وبين السرة ربطاً متيناً. واربطيه رباطاً ثانياً يبعد عن الاول قليلاً واقطعي الجبل بالمقراض المعقم وسلمي الطفل الى من يعتني به كما يجب ولا حاجة الى انتظار خروج الخلاص حتى تربطي الجبل السري وتقطعيه. فقد يتفق ان لا يخرج الخلاص الا بعد نصف ساعة او اكثر وبعد ذلك الزمي جانب الوالدة ومري يدك على بطنها واضغطي بلطف على جسم الرحم فتيبته الى وجوب قذف الخلاص. وعند خروجه اخصيه جيداً بعد ان تنظفي جسم المرأة وترفعي من تحتها الحرق الملوثة وفي ثالث يوم لولادتها اعطيها شربة زيت خروع ولا تشيري عليها بالاكل الاعتيادي قبل مرور اسبوع. اما الطفل فادهني جسمه بالزيت واغسله بالماء الفاتر والصابون ثم طهري السرة ورشي عليها قليلاً من الحامض البوريك وغطيها بقطن معقم رباط على وسطه لحفظها ولا يتغير هذا الرباط الا عند وقوع قلفة السرة بعد ثلاثة الى اربعة ايام

### ٣ - امراض الاسنان وتأثيرها في الجسم

الحالة الثامنة : امرأة عمرها ٤٠ سنة اصبحت في شهر فبراير سنة ١٩٢٤ بالتهاب حاد بالمفاصل تضاعف بالتهاب حاد كلوي ولم يسمح لها بغير اللبن طعاماً وقد تحسنت صحتها كثيراً على هذا الغذاء وذهب الورم او كاد عن اطرافها السفلى الى حد السرة ولما عاينها مادن بعد مضي ستة اشهر وجد ورماً خفيفاً في القدمين وعثر في البول على اسطوانات وزلال وكريات حمراء. وكانت قد اجريت عملية استئصال اللوزتين من بضع سنين وخلعت ثلاث اسنان في مدة مرضها الحالي واتضح من البحث ان ثلاث اسنان اخرى دب فيها النخر وفقدت قوة الاحساس فخلعها وزرع الجراثيم التي عثر عليها فيها ثم حقن بما استتبته منها ارنبتين وبحث بعد ثلاثة ايام في جثتيهما فوجد كلتي الارنبتين متضخمة ملتهبة وباهتة اللون وبها زف والمفاصل ملتهبة وكذلك عضلات القلب والعين والمعدة. وبعد مضي شهران على خلع الاسنان شفيت المريضة

الحالة التاسعة : تلميذ في مدرسة الطب عمره ٢٤ سنة قال انه وهو في الثانية عشرة شعر بان قلبه يسرع في ضرباته واستمر على ذلك مدة ثم عاد الى سابق عاداته ولم يكن من سبب يربط هذه الطارئة على القلب وانما لما عاودته وهو في سن ١٨ سنة وجد خراجاً في جذور سن. وفي مايو ١٩٢٥ عاودته هذه النوبة وظلت بضع ساعات وكان قد شعر باللمسن الضاحكة فخلعها وحقن بما استتبته من الجراثيم التي وجدتها فيها ارنبتين واظهر البحث في جثتيهما نزفاً في عضلات القلب وفي اكتوبر عاودته النوبة القلبية ومات بها واظهر البحث الرمي التهاباً بعضلات القلب



# بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْاِقْتِصَا

## مد كولدج

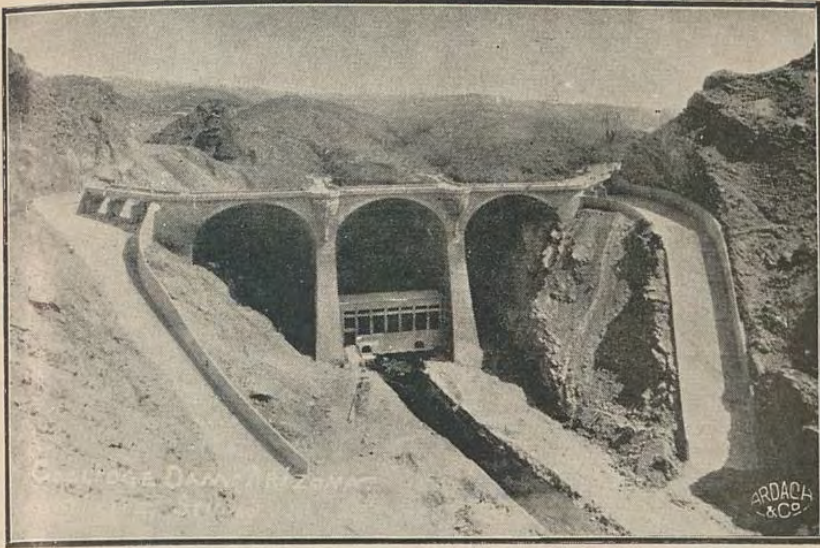
اقلعت من اسبانيا سنة ١٥٢٨ حملة لتحتل بعض مجاهل اميركا الشمالية الى الغرب من فلوريدا . نزل ثلاثمائة رجل من هذه الحملة في القسم الشرقي مما هو ولاية تكسس الآن وساروا غرباً فاجتازوا تكسس ثم تشيواوا ثم سونورا ثم سينالوا الى بلدة سان ميكال عند ساحل الباسيفيكي بغرب المكسيك . استغرقت هذه السفرة ثمانى سنوات لكثرة ما اعترضها من المشاق والاهوال ولم يسلم من الرجال بعد الفرق والمرض والقتل غير اربعة واحد منهم عربي وصل الاربعة الى سان ميكال سنة ١٥٣٦ ورووا في ما روه أنهم سمعوا باخبار شعب على جانب عظيم من الثروة له مدن عامرة وزراعة ناضرة واقنية للري منظمة الى غير ذلك من ادلة العمران والغنى . فاضاف الاسبانيون في المكسيك هذه الاخبار الى الاحاديث التي كان يأتهم بها بعض الهنود الاميركيين وقام في اذهانهم ان الى الشمال منهم بلاداً اغنى من المكسيك ويروى اكثر فيها الذهب والفضة والحجارة الكريمة واطلق على هذه البلاد اسم « سينبلا » او « مدن سينبلا السبع »

شافت هذه الاخبار مندوسا الحاكم الاسباني الى اكتشاف « المدن السبع » فسير من جهة كليسا كان سنة ١٥٣٩ بعثة قوامها الراهب ماركوس دي نيزا والراهب اونوراتو والعربي اسطفان وثمانية من الهنود بمرض اونوراتو قبل ان يبعثوا فتخلف وواصل الباقيون المسير الى بعض جهات سونورا حيث اوعز دي نيزا الى دليله العربي ان يسبقه فيرتاد المجاهل امامه ويأتيه باخبارها . فاصطحب اسطفان اعواناً من الهنود الاميركيين وسار الى اريزونوا يكتشف البلاد ويهتدى طريق دي نيزا

هذه حكاية اكتشاف اريزونوا مختصرة ومنها تبين ان قبيلة الپيا التي اكرمت اسطفان ثم دي نيزا عند مرورها بوادي نهر هيلا الاسفل على جانب من التمدن يحرثون الارض ويميلون الى السلم وهم على ذلك حتى يومنا هذا

وفي اواسط القرن الماضي استولت على اريزونوا الولايات المتحدة الاميركية في اثناء





سدّ كوليدج من الامام



سدّ كوليدج من الوداء



تسطها وامتدادها الى الاوقيانوس الباسيفيكي واخذ البيض يزدادون فيها ويستعمرونها . ثم كثر الذين حلوا في وادي نهر هيلالا الاعلى وحولوا كثيراً من ماء النهر الى مزارعهم فقل الماء في مزارع الپيا على توالي السنين وشح رزقهم ولكنهم بقوا على ولاء البيض

وانت جماعة من البيض ان يروا الپيا يحف زرعهم ويمسهم الضيم فقاموا يدعون الى رفع الحيف ويسعون لدى حكومة الولايات المتحدة لتصفهم وانضم الى هؤلاء الانصار الملاكون من البيض الذين يعوزهم الماء فكان من وراء ذلك ان انفقت الحكومة ٥٠٥٠٠٠٠٠٠ من الدولارات اي مليون جنيه ومائة الف بنت سد كولج ليخزن ماء الفيضان من نهر هيلالا فتروى به ارض الهندود وعلاوة على ذلك مساحات واسعة من ارض البيض

وموقع السد في قضاء هيلالا بأواسط اريزونا في مكان يرتفع ٢٥٣٦ قدماً عن سطح البحر . وقد بني بالسمنت المسلح على شكل جديد ابتدعه احد مهندسي الحكومة للاقتصاد في مواد البناء . فهو مؤلف من ثلاث قباب متلاصقة كل قبة منها بشكل قطعة من بيضة . وفي داخل القبة الوسطى بيت الكهربائية يولد منها ما يعادل ١٠٠٠٠٠ حصان من القوة . وفوق القباب جميعها طريق من العدو الواحدة الى الاخرى

ويبلغ علو السد ٢٢٠ قدماً من مجرى النهر وطوله عند اعلاه من العدو الواحدة الى الاخرى ٨٨٠ قدماً . ومتى ارتفع الماء وراءه الى الحد الاعلى كان منه بحيرة طوله نحو ٢٥ ميلاً . ويكفي ما يسهه من الماء لري ١٠٠٠٠٠٠ فدان اذا انقطع المطر ثلاث سنوات احتفل بتدشين السد في رابع مارس (اذار) من هذه السنة واشترك بالاحتفال المستر كولج رئيس الولايات المتحدة السابق الذي سمي السد باسمه وألقى خطبة الافتتاح داعياً الى الاتفاق من الثروة التي ستنشأ عن الري في وجوه ثلاثة ترقية الحياة الدينية ونشر المعارف وتحسين المعيشة البيتية . وقام خطيب من قبيلة الپيا فذكر الناس ان قومه اطعموا من جاع من البيض في بلادهم وآسوا من مرض ودفنوا من مات وثبتوا على الولاء . وعقد الصلح لأول مرة في التاريخ بين قبيلتي الپيا والاباشي اذ اشترك ممثل من كل منهما مع المستر كولج في تدخين « غليون السلام » . وشهد الحفلة خلق كثير سمع كلهم ما التي من الخطب بواسطة مكبرات الصوت التي بثت بين الصخور على مسافة ميل ونصف

اما الارض التي ستروى فتبدأ عند بلدة فلورنس على ٦٥ ميلاً من السد وتمتد الى بلدة كاسا غراندي . وفيها آثار اقنية تدل على عمران قديم وشعب كان على جانب عظيم من الحذق في الري والزراع عمر البلاد من قبل الپيا

وديع نقولا

ابو نادر

ميامي اريزونا



## تربية النحل المصري

وحظنا منها

بقلم الدكتور احمد زكي ابو شادي  
سكرتير (رابطة مملكة النحل) ومحرر مجلتها

اصبحت السياسة الاقتصادية المحور الذي يدور حوله تقدير الحكومات ونجاحها، ولا عبرة بكل ما عداها، فهي الرائد وهي الغاية وإن تنوعت المظاهر والمبادئ التي تحوم حولها

والناس في هذا الوقت يعانون من الأزمات المالية المتتابة ما يجعلهم ينصرفون أكثر من ذي قبل عن الكلاسيكات والنظريات الواهية. فلا غرابة إذا تبَّهوا الى مصادر أرزاقهم وقوتهم المادية والتفتوا الى إثناء الصناعة ومحسين الزراعة والتجارة، ولا بدع إذا بحثوا عن موارد جديدة للدخل: وفي مقدمة هذه الموارد التي تهتم لها مصر وغيرها من الأقطار الزراعية في الشرق الأدنى بل في العالم العربي تربية النحل ودودة القز والدواجن وأشجار الفاكهة وحفظ الخضروات والثمار وإعدادها للتصدير. وهذه الصناعات الزراعية كلها ميسورة النجاح في مصر وفي الأقطار المجاورة على الأقل — وإن تكن في مهبها — لو أنها تلقى من مساعدة الحكومات ومن يقظة الاهالي المعاونة الكافية. ونحن في سبيل هذه الدعوة الواجبة نجبر في إخلاص هذا النقد البريء

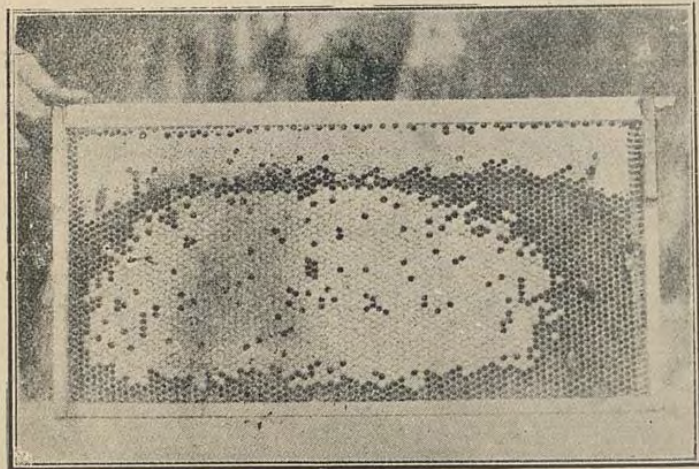
وحسبنا هنا ان نقصر كلامنا على تربية النحل، إذ من المؤلم حقاً أن قطراً زراعياً كمصر لم يصدر في العام الفائت مثلاً سوى ١٧٩١ كيلو جراماً من العسل في حين أن الوارد اليه في المدة ذاتها كان ٥١٩٥٤ كيلو جراماً من العسل اشتركت بلاد غير زراعية في تصدير جانب غير قليل منه إلينا!! فما علة هذا العجز الخجل الذي يلوح أنه منتشر في الممالك الافريقية وفي جميع الاقطار الناطقة بالضاد؟ وهل من الممكن مداواة هذه الحالة وخدمة النهضة الاقتصادية؟

عندي أن سبب هذا العجز يرجع أولاً الى عجز الحكومات في سياستها الانشائية. وما من شك في ان النهضة الحكومية هي رائدة النهضة الاهلية في بلادنا الشرقية كما





صورة منحل عمري في زيلاند الجديدة التي هي طليعة الممالك الخافرة بالنحالة  
المصرية — ويلاحظ حسن تنسيق الخلایا ورونق المنحل البالغ حد الكمال



صورة إطار ذي قرص صناعي من الألومنيوم وهو غاية ما وصل  
اليه العلم الحديث في تربية النحل . ويرى القرص ممتلئ حضانة ( في  
الوسط ) وعسل ( في أعلا القرص )



شاهدنا في تركيا. وها هي جمهورية لبنان لما قامت تسترجع شهرتها القديمة في تربية دودة القز كان رائدها الى اصلاح حكومتها الوطنية التي عقدت في الربيع الماضي مؤتمراً للحري في بيروت فما هو مبلغ المساعدة التي تقدمها حكوماتنا الشرقية للنحلة في بلادنا؟ الذي اعلمه هو ان هذه المساعدة لا وجود لها، اللهم إلا في مصر. ولكن ما هي حقيقة هذه المساعدة، وهل هي جديرة بأن يقتدى بها؟

\*\*\*

يتولى الآن فرع تربية النحل التابع لوزارة الزراعة في مصر بيع الخلايا الانجليزية المفايس والنحل القبرصي والخلاسي (في الغالب) لمن يشاء شراءها من المبتدئين او النحالين، كما يقبل تدريب المتعلمين الى حد ما ويقوم بلا مقابل بالتفتيش في المناحل، وكل هذه مساعدات طيبة ولكنها محدودة القيمة. فاذا كنا نريد نهضة صحيحة فبهات ان تجدي هذه الوسائل، بل لا بد لنا من وسائل اخرى فعالة نذكر اهمها فيما يلي:

(١) تحريم استعمال الكواثر الطينية بل وكل خلية غير عصرية اي كل خلية ليست محتوية على اقراص في أطر متحركة — ذلك لأن الخلايا غير العصرية هي في حكم الصناديق المقفلة التي لا يمكن معرفة محتوياتها والكشف عنها لتبين مبلغ سلامتها او مرضها ودرجة يسرها او عسرها. فمن الخطر على سلامة النحل في مصر استمرار وجودها.

ومثل هذا يقال عن الاقطار الاخرى التي ما زال تستعمل الاساليب العتيقة. وقد جربت حكومات رشيدة وسائل القضاء على هذه الاساليب فلم تجد انجح من التشريع الذي يحرم وجودها تدريجياً، بشرط ان يكون هذا التحريم مصحوباً بالتشجيع العمل للاساليب العصرية

(٢) تكوين الجمعيات التعاونية لنشر النحلة العصرية وتشجيعها بالقروض والاعانات، إذ تدل التجربة على نجاح الجمعيات التعاونية حتى في البيئات المتأخرة بعكس حالة الافراد، وهذا رأي يؤمن عليه العالم الفاضل الدكتور ابراهيم بك رشاد مدير قسم التعاون بوزارة الزراعة

(٣) استعمال الخلايا والادوات الاميركية (بدل نظائرها الانجليزية) لان هذه الخلايا والادوات الاميركية أصبحت احمية الاستعمال والانتشار. وهي ارقى مما عداها علمياً، وأوفر انتاجاً وأرخص ثمناً. وقد أصبحت أمريكا مركز الثقافة العالية لتربية النحل، فمن الغبن الفاحش لنا قطع صلاتنا بها والاعتماد بدل ذلك على المصانع الانجليزية

(٤) الاهتمام بالنحل الايطالي والكرنيولي، وهما أصلح ضروب النحل من الوجهة التجارية ولهما منزلة عالمية، وبهمنا بنوع خاص النحل الكرنيولي لانه غاية في الوداعة والهدوء فضلاً عن نشاطه الممتاز. فهو نحل صالح جداً للأطفال والسيدات والمبتدئين



بوجه عام . ومن الاساءة للنحلة في أي قطر أن يحرم انتشارها فيه ، فمن الضروري إذن إيجاد التسهيلات الكافية لجلبها من بلادها مع اتخاذ الحيلة اللازمة لمنع نقل الامراض . وهذا امر ممكن تحقيقه فيما اعتقد . ومهما بلغ اهتمامنا في المستقبل بتوليدها في بلادنا فلن نستغنى عن التجديد من الخارج ، فما بالك ونحن لم نعمل بعد شيئاً يذكر في هذا المجال ، ولا تزال طوائف النحل الايطالي والكرنيولي في مصر قليلة جداً ؟

(٥) تخفيض التعريفة الجمركية على أدوات النحلة أسوة بغيرها من الادوات الزراعية حتى تجلب من الخارج بسهولة ما يعوزنا منها : مثل الاقراص الصناعية وفراغات العسل ونماذج الخلايا التي يراد أن يصنع مثلها عندنا الخ . وأما الاكتفاء بما تجلبه الحكومة وتوزعه فلا يعلمنا الاعتماد على النفس ، ولا يساعد على تنمية التجارة الحرة وتكون مجار ناهين ، فضلاً عن ترك النحالين تحت رحمة موظفي الحكومة واهوائهم

(٦) تشجيع جمعيات النحلة والمعارض والمؤتمرات وفي مقدمتها مؤتمر النحلة الاممي المراد عقده بالقاهرة في فبراير المقبل اثناء اقامة المعرض الزراعي الصناعي ، والمأمول أن يشترك فيه ممثلون لأمم مختلفة تبادلآ للآراء والخبرة والمشورة

(٧) تكوين لجنة استشارية حرة من الخبراء غير الموظفين لتسترشد بها الوزارة

(٨) إنشاء معهد علمي للنحلة جامعاً بين البحث والتعليم ومرتبطاً بمعامل وزارة الزراعة

(٩) تحريم جلب العسل من المناطق الموبوءة في الخارج وتشجيع الانتاج المحلي وتصريفه

(١٠) الاتفاق مع مصالحة السجون على صناعة ما يُستطاع صناعته محلياً من أدوات

النحلة لبيعها للجمهور بسعر مناسب تشجيعاً لتربية النحل في مصر

\*\*\*

حفظنا من تربية النحل المصرية إذن ضئيل وما تزال بعد في دور انتقال ، ولكننا لا نريد ان يطول هذا الدور حتى لا يصبح لزاماً لنا ..... واذا عرف القاريء أن عدد الخلايا المصرية في مصر لا يتجاوز الالف وأن عدد الكواثر يبلغ نحو ثلثمائة الف كوة وأن كل خلية عصرية هي بمثابة عشر كواثر في إنتاجها ، أدرك مبلغ التأخر والفوضى الحاضرة عندنا في حين أن مصر كانت في طليعة الامم عناية بالنحلة منذ فجر التاريخ . هذه مرآة الاحوال عندنا ، وفيها دروس للامم الشرقية الاخرى التي تريد أن تأخذ بأسباب النهضة في هذا المجال المفيد





# مكتبة المتقطف

## خطرات نفس

للدكتور منصور فهمي — استاذ الفلسفة في الجامعة المصرية — طبع بمطبعة المعارف بمصر  
صفحاته ٢٢١ قطع وسط بنط ٢٤

« احب مصر لان كل ما يتصل بي من خير انما هو من فضلها وبركاتها . احب مصر لاني احب آمالاً تولدت في منها . ولاني احب خيراً يوحيه اليّ ما فيها من شر . ولاني احب صالحاً يوحيه اليّ ما فيها من فاسد . ولاني ادرك ان فيها نقصاً يجب اليّ الكمال . احب مصر لاني ارى فيها مزرعة واسعة ضعفت ارضها وهرم شجرها المثمر واساءت الحشائش المفسدة الى نبتها الطيب . فلعلّي اصلح فيها باعاً من الارض . ولعلي اعين فيها نبتة نافعة على النماء . ولعلي استمتع يوماً فيها بشجرة ناضجة . احب مصر مستودع عظام ودماء انا جزء منها . ومستودع تاريخ وأحلام لي فيها جميعها نصيب . ومستودع قلوب نخو عليّ وتتصل دقاتها بدقات فؤادي » ص ٨١

هذه هي عقيدة الدكتور منصور فهمي الوطنية . ونعم هذه الوطنية الرشيدة التي يرتفع عليها الانسان الى مستوى اعلى من مستوى الوطنيات الطاغية المكتسحة لصدور الشعوب المستغزة لما في الطبايع البشرية من ميل الى النزاع والحرب

« في عربية من عربات الترام الذي أكاد أركبه كل يوم لأذهب الى عملي ، اجتمعت فئة من الراكين : فيهم أم مصرية وبجانها طفلها الصغير ، وفيهم بعض رجال من اعمار مختلفة ، وفيهم سيدة خليعة ، وفيهم عامل الترامواي . أما الأم فكانت مثلاً في الاحتشام توجه الى صبيها نظرات الحنون ، وكانت تارة تصلح له من ملبسه وتارة اخرى تحدّثه في وداعة ورحمة . بالاختصار كانت كأنها ترعى فيه أملها المرتجى ، وسعادتها النابتة ، ونعمتها السابغة ، فلا تكاد نفسها وحركاتها تتوجه إلا اليه والى ما يهيمه . واما الرجال الجالسون فكان بعضهم مكباً على المطالعة في الصحف ، وبعضهم يتحدثون فيما بينهم في شؤون لهم ، والبعض يرعى شيئاً في نفسه من فكرة عارضة تشغل الرأس او امر ذي بال

« أما الخليعة المكحّلة فكانت تتلوى في حركات مصنوعة لتلفت النظر الى نفسها وكانت نارة تشمّر الازار عن بعض ساقها ، وتارة اخرى تكشف الثوب عن بعض ذراعيها ، ومرة



تبدى زينتها ، ومرة اخرى تحاول أن تتحدث مع العامل ، او مع من حولها من غير حاجة ماسة الى مثل هذا الحديث

«أما عامل الترام فكان في ثوب عمله الاصفر مأخوذاً في واجبه ذاهلاً بذلك عما عداه»  
 «سار بنا الترام شوطاً ثم اخذت الخليعة تستوقفه بصوت وعبارات وإشارات كان من شأنها أن تلفت نظر الجالسين ولكن بامتهان واحتقار . فلما شرعت في النزول التفت البعض الى البعض ثم التفتوا اليها التفاتاً يدل على امتعاضهم من تلك الصورة المحجلة . ثم قطع الترامواي بعد ذلك شوطين وقامت السيدة المحترمة أم الصبي لتأهب للنزول فأخذ الجالسون في عونها وعون ولدها في صورة من التقدير والاحلال لاحتشامها

«في الصورة التي مثلتها السيدة الخليعة، والصورة التي مثلتها السيدة الجليلة، وفي موقف الناس حيال الصورتين ظهر لي القانون الخلقى في هيئته الصامتة . . . .»

هذا هو ايمان الدكتور منصور فهمي الخلقى وهو في بساطته وبلاغته يجازه افضل في النفس من مئات الخطب في تحليل المبادئ الادبية ونشوتها وتطورها  
 «الجمال خطيب صامت لا يرغب ان يتحدث الغير عنه اذ في صمته كل فصاحة وفي سكوته كل بيان . الجمال معنى طلق لا يريد ان يجد ولا ان يعرف لان الحدود والتعاريف من سفاسف الامور والجمال لا يتصل بهذه السفاسف

وقال في نهاية مقالة بليغة عنوانها: لذكرى الاديب «يا صاحب الجين النوري والذهن المكدود . انك تموت بعد الحياة وتسكت بعد الخطاب . وانك تجد الملائكة تهيب لك عقوداً مما ثقبته من لآلىء ودرر . فاذا كان في عقد منها خرزة صغيرة من خرف — فاعلم انها دليل هذا اليوم الذي هبطت فيه من عالم الادب الرفيع فشاركت الناس لحظة في ترهاتهم وأباطيلهم»

هنا يتأخص مبدأ الدكتور منصور فهمي في الفن والادب ! «الجمال معرفة والله اعرف المعارف» . والادب هو «تعبير عن شخصية الادب — وشخصيته — مجموعة ما انطوت عليه نفسه من آراء ومشاعر ودرجات من النشاط . فلماذا يغير ما في نفسه من افكار.... ولماذا يستبدل بعواطفه التي تشبعت بها سجيته عواطف اخرى . ولماذا يزيغ ارادته التي تلتزم وطبيعته وعواطفه ويتخذ ارادة مغيرة لها»

هذه مقتطفات من «خطرات نفس» تبين عن نواحي مختلفة من آراء المؤلف. ولكنها نواحٍ تراها اذا جلست الى صاحبها مجتمعة فيه اجتماع انساق وانسجام . فهو وطني غيور ولكن بالمعنى الذي بسط في عقيدته الوطنية، وهو في نقاء صفحته وسمو خلقه مثال حي



جلالة القانون الخافي الصامت. فاذا ااضفت الى ذلك عقلاً ذكياً صقله العلم والاختبار ونفساً حساسة طبعها الفلسفة بطابع الحكمة ادركت ان «خطرات نفس» بما فيه من صور الحياة والنفس كتاب قلما تقع على مثله كل يوم . اقرأه وأنت مكدود الذهن تجد راحة . او اقرأه وأنت حزين تجد تعزية . او اقرأه وأنت تأثر تجد هدوءاً وطماً نينة . واملئ ان تقرأه

### ديوان التحقيق والمحاکمات الكبرى

تأليف محمد عبدالله عنان — صفحاته ٥٤٤ صفحة مزينة بالصور التاريخية — طبع بمطبعة دار الكتب المصرية — على نفقة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ومثمه ٣٥ قرشاً صاعاً

هذا موضوع تاريخي قضائي روائي . فهو تاريخي لانه يتناول فترة خطيرة من تاريخ الكنيسة ( ديوان التحقيق ) وطائفة مشهورة من الشخصيات التاريخية من ماري سيتوارت الى تشارلس الاول الى فولتير الى لويس السادس عشر الى ماري انطونيت الى لويس السابع عشر الى دريفوس . وحول كل شخص من هؤلاء وغيرهم من ذكرت محاكماتهم تدور حوادث عصرهم وتقاليدهم واماني شعوبهم وآمالها . وهو قضائي لان المحاكمات تمت في مجالس القضاء وان صح فيها قول الدكتور هيكل في المقدمة حيث يقول : « فني هذه القضايا لم يكن المحققون الذين حققوا محققين . ولم يكن القضاة الذين حكموا قضاة . ولم تكن هناك فكرة العدالة يقصد الى تحقيقها . بل كان هذا كله تمثيلاً مسرحياً يصور مهزلة فاجعة مليها شهوات اولي الامر وليس فيها للقانون والقضاء والعدالة سوى الاسم » . وهو روائي لان كل فصل من فصوله يحوي من عناصر الرواية والحيلة الروائية والسر المدفون الذي يتطلع اليه القارئ ما يفوق اكثر الروايات غرابة وتفنناً في استنباط المدهشات والمفاجآت وللاستاذ عنان اسلوب يفريك بالقراءة فهو يجمع الى جزالة لفظه ومثانة تركيبه تلك الروح الحفية التي تمتاز بها كتابة الاديب . وهو يكتب بسليقة الصحافي البارع الذي يعرف ان يسوق لك النبأ حتى يملك عليك ما خذ الفكر فلا تلتفت الا الى استطلاع نهايته . وعليه يرى القارئ ان هذا الكتاب ليس كتاب المؤرخين والقضاة والمحامين فقط بل هو كتاب يجد فيه كل مثقف بهجة وفائدة . نقول بهجة رغم استعلاء « الجانب الحيواني المفترس في الانسان على جانب البصيرة المضي منه » رغم استعلاء « التعصب الديني على التسامح » و « الملك المستبد لا يرضى الى جانبه من ينازعه ملكه ولو كان . . . اخاله وابناً » لان النفس على رغم تثقيفها وتهذيبها لا تزال تبتهج او تستثار بمظاهر التنازع والتناحر على اختلاف صورها . واما الفائدة فاتي من ناحية الاطلاع على بعض جوانب التاريخ المظلمة والاعتبار بمحادثه وما اسفرت عنه من العبرة والذكرى



## معجم الاحلام

تأليف اسبرو جيري — طبع بمطبعة المقتطف والمعلم — صفحات الجزء الاول ١٤٦ قطع المقتطف  
هو كتاب يشتمل على مباحث علمية فلسفية في اصل الاحلام ومنشئها . والمذاهب  
المتخلفة في تحليلها . واقوال العلماء والفلاسفة والمفكرين فيها . ويلى ذلك معجم كامل مرتب  
على حروف الهجاء في تفسير اشهر الاحلام وما يبنى عليها . ونحن اذا كنا في شك من فائدة  
تفسير الاحلام بالطريقة المتبعة في هذا المعجم — وراي المقتطف في الاحلام معروف —  
فاننا لانرتاب في ان المباحث التي يشتمل عليها نصف الكتاب الاول تتضمن ما يرتبط ارتباطاً  
وثيقاً بحياة الانسان النفسية والعقلية . اما المعجم فلا يخلو من فكاهة وطرافة

## الذخيرة الى المعاد

في مدح محمد وآله الامجاد — نظم المتصم بولاء العترة — الشيخ سليمان ظاهر العالمي  
صفحاته ٣٦٨ قطع وسط — طبع بمطبعة العرفان بصيدا  
يعرف قرأه المقتطف الشيخ سليمان ظاهر العالمي شاعراً مجيداً يقتصر المعاني الشاردة  
ويلبسها من اللفظ العربي حلة فاخرة . وعهدهم بقصيدته البليغة في عيد المقتطف الحسيني غير بعيد  
ولكن الشيخ سليمان اكثر من شاعر بليغ . هو حكيم راسخ العقيدة نبيل الخلق وكتابه  
« الذخيرة » انما هو ترجمان عن عقيدته الراسخة وخلقه النبيل المتين . فالذخيرة تشتمل  
على ثمان عشرة قصيدة في مدح النبي محمد عليه السلام وآله الامجاد . وقد قدم لكل  
قصيدة وعقب عليها ببحث فيما تتناوله من المطالب الدينية والروحية والفرض من كل ذلك  
اقامة الدليل على صحة اركان الدين الحنيف واثبات اثر الالحاد في تقويض دعائم العمران .  
والى القارئ اياتاً من قصيدته الاولى

ما الكون الا شاعر ولا انت يا	معنى الكمال المحض بيت قصيده
اياته قد اُحكمت اوزانها	من در بحر بسيطه ومديده
وردية في الافق زهر نجومه	منظومة نظم العقود بجيده
والموج في التيار بعض لحونه	وهزيم رعد المزن بعض نشيده
قل للذي اتخذ الهوى معبوده	فاصله ولواه عن معبوده
او ما ترى الا كوان خاشعة له	طراً وشاهدة على توحيد
هو فائق الاصباح من غلف الدجى	والنبت مستراً بحب حصيده
ومعيد جسم الخلق بعد فئائه	ومنير نجم الافق بعد خموده
والقصيدة كلها على هذا النسق من جزالة اللفظ وبلاغة المعنى	



## قصص الاطفال

القصة الثانية — تاجر بندق — بقلم كامل كيلاني — صفحاته ١٠٤ — قطع صغير  
بنط ٢٤ — بالشكل الكامل — والصور الكثيرة — نشرته مكتبة الفجالة

فلا تعلم صغير القوم معصية فذاك وزر الى امثاله عدلك  
فالسلك ما اسطاع يوماً ثقب لؤلؤة لكن اصاب طريقاً نافذاً فسلك

في هذين البيتين يلخص ابو العلاء فيلسوف المعرفة وشاعرها احدث الآراء  
الفلسفية في تربية الاطفال . ان جانباً كبيراً من مدارس فلسفة النفس على اختلافها يرجع  
في تحليل الافعال النفسية المختلفة الى درس عهد الطفولة والمؤثرات التي أثرت فيه . وهذا  
الدكتور ادلر النمساوي يقيم كل فلسفته النفسية على هذا الاساس . وهذا الدكتور وطسن  
الاميركي يقول اعطوني الطفل ساعة ولادته واعهدوا الي في تربيته وأنا الزعيم لكم بأن  
اخرج لكم الرجل الذي تشاؤون

وما لا ريب فيه ان الطفل العربي كان ولا يزال مهملاً كل الاهمال من هذا القبيل .  
فالكتب التي يستطيع الطفل المبتدئ ان يطالعها فتجذب اليه المطالعة وترسخ فيه النزعات  
الخلفية العالية تكاد تكون معدومة الاثر . رأى ذلك الاستاذ كيلاني في ما يتناوله ابنه  
من كتب المطالعة فآلمه هذا النقص فنشط الى اخراج قصص الاطفال . وقد اشرنا الى  
الجزء الاول منها حين ظهوره في السنة الماضية . ويسرنا ان يكون المؤلف قد لقي  
من التأييد والتشجيع ما حمله على اخراج الكتاب الثاني الذي بين ايدينا . وهو يفوق  
سابقه بحكم ما كسبه المؤلف من الخبرة في اعداد الكتاب الاول

القصة شرقية يسهل على ذهن الطفل الشرقي فهم صورها . وهي مكتوبة بلغة عربية  
سليمة ليس للفظ الحوشي اي نصيب فيها . وهي ذلك كاملة الشكل . تزينها صور كثيرة  
تمكن الصور الكلامية في عقل القارئ وتكفل اقباله على الاستزادة من المطالعة . ثم لكل  
جزء من القصة اسئلة يوجهها المدرس الى الطفل ليدرك مدى فهمه لما يقرأ . فهي في  
رأينا تسد الحاجة الى امثال هذه الكتب في المدارس والبيوت . وعسى ان نرى من الاقبال  
على هذا الكتاب ما يحمل المؤلف وغيره من المؤلفين على العناية بهذا الضرب المفيد من التأليف

## ذخيرة المتأدب

تأليف الاديب اللغوي الاستاذ ادوار مرقص مدرس البيان والانشاء في مدرسة الحكومة  
التجهيزية باللاذقية واحد اعضاء المجمع العلمي السوري . وهو يشتمل على فوائد لغوية



كلمترادفات والمثلثات والفروق وقيود طوائف من الالفاظ كما يحتوي على كلمات جامعة وامثال وحكم وقصائد من نظم المؤلف وفكاهات عن اهل الفصاحة ولطائف من جهة المعنى والاعراب . ومن اياته البليغة في قصيدة له « على مدخل الحسين » قوله  
يقولون لي ان الشباب نضارة فقلت الى العليا كهولتنا ادنى  
فلو انه زهر لكانت ثماره ولو انه لفظ لكانت له معنى  
وفي كل طور للحياة محاسن اذ انحن في استخراجهامنه احسنا  
فما للطفل محبور ولا الكهل عاجز وما ذم شيخ في تجاربه السنّا  
وقد طبع الكتاب بمطبعة كومين باللاذقية وثمنه ثمانية قروش مصرية عدا اجرة البريد

### تأثيرات سياحة

تأليف موسى كريم—صاحب مجلة الشرق العربية في البرازيل—صفحاته ٥٩٢—قطع صغير مصور  
هذا الكتاب يشتمل على وصف عام لما شاهده الصحفي السوري البرازيلي الاستاذ  
موسى كريم في رحلته الى البرتغال واسبانيا وفرنسا وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر  
لم نتح لنا معرفة المؤلف لما زار مصر من ستين ولكننا نعرفه في مجلة الشرق صحافياً  
متقناً بارع الحيلة يبتكر الاساليب ليسبغ على مجلته رونقاً يجعلها في ايدي القراء والقارئان  
آية فنّ وآية أدب . ويظهر لنا مما نقرأه فيها ان مكتبها في سان باولو اصبح موئلاً  
لطائفة كبيرة من كبار الكتاب والشعراء في الجالية السورية البرازيلية كما ان صفحاتها  
محلى لعرائس افكارهم

لقد تعودنا قراءة كتب السياحة التي يكتبها ابناء الشرق الذين اتاحت لهم زيارة بلدان  
الغرب ولكن قلما قرأنا كتاب رحلة في الشرق لاحد ابنائه المغتربين زاروه بعد غياب  
طويل . وهذا ما فعله الاستاذ كريم . فانه عاج الكتاب والصحافة العربية والبرازيلية برهة  
في بلاد البرازيل كان اتصاله الوحيد ببلاد آبائه واجدادهم الرسائل الخاصة والصحف .  
فلما زار سوريا ولبنان وفلسطين ومصر بعد هذا الغياب الطويل رأى فيها من آثار الانقلاب  
في كل مناحي الحياة ما حمله على وضع هذا الكتاب في وصفه ونقده . فنحن الذين  
يجارون هذا التحول ويندفعون في تياره قلما نستطيع ان ننظر اليه نظراً مجرداً . ومن  
هنا تأتي فائدة هذا الكتاب . لانستطيع ان نقول انه درس واف لحالة بلدان الشرق السياسية  
والاقتصادية والادبية وانما يشتمل في صفحاته على نظرات صادقة في هذه الحالات . وهذا  
جل ما ينتظر من مسافر يبيت على رحيل



﴿ البرق الادبي ﴾ بشاره الخوري المشهور « بالاخطل الصغير » شاعر عربي مبدع واديب له في ميادين النقد الادبي جولات صادقة ، انشأ البرق قبل الحرب العالمية جريدة اسبوعية ادبية فلم تلبث حتى اصبحت معرضاً لآثار الادباء والشعراء في البلاد العربية — وطالما ترددت على صفحاتها اسماء الرصافي والغازار وامام العبد وغيرهم . ثم خاض صاحبها ميدان السياسة فاصدر البرق يومية فأفسدت السياسة ما بناه الادب . فعزم من عهد نصيران يعود الى اصدارها ادبية وحسناً فعل . ومما ينشره فيها صور ادبية بليغة لبعض الادباء الذين اتصل بهم وراسلهم . فنشر حتى الآن ثلاث رسائل في الادباء المذكورين آنفاً

﴿ غادة حمانا ﴾ وضع هذه الرواية العصرية الشائقة الكاتب الروائي المعروف الاستاذ محمود طاهر حتي اثر زيارته ربوع لبنان . وقد حبس من النسخ التي تباع منها على مستشفى السل في بجنس بلبنان فاستحق بذلك اعظم الثناء من الادباء والاهلين لما يبدو في عمله هذا من ادب جم وكرم ونبيل وسعي عملي لتوطيد اواصر الاخاء بين لبنان ومصر . وهي تطلب من المطبعة العصرية بشارع الخليج الناصري بالفجالة بمصر

﴿ تهذيب الاخلاق ﴾ لابي زكريا يحيى بن عدي الفيلسوف السرياني الشهير (٩٨٧ — ٩٧٤) م عني بنشر وتعليق حواشيه الاستاذ مراد فؤاد حتي رئيس تحرير مجلة « الحكمة » التي تصدر في القدس . صفحاته ستون بقطع المقتطف وقد طبع بمطبعة دير مرقس للسريان بالقدس

﴿ مع الحقيقة ﴾ وهو بحث في تطبيق الفروع والمظاهر على الاصل . هذه الرسالة هي الحلقة الثالثة في سلسلة من المباحث الفلسفية الصوفية التي عني بوضعها الاديب نجيب اشعيا وعنوان الحلقين السابقتين هما « في ظلال الحقيقة » و « وراء الحقيقة » . صفحات الرسالة ٩٦ قطع صغير وقد طبع بالمطبعة التجارية الحديثة بشارع الدواوين ويطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

﴿ دليل الاصطياف والسياحة ﴾ اخرجت شركة السياحات الشرقية دليلها السنوي للاصطياف في لبنان فاذا هو سفر يشتمل على نحو ٢٨٠ صفحة من القطع الوسط فيه فصول كثيرة عن جغرافية لبنان واقليمه وتاريخه وآثاره وفوائده الاصطياف فيه . يضاف الى ذلك وصف قرى الاصطياف المشهورة وما فيها من وسائل راحة المصطافين ورفاهتهم . وجدول كثيرة بطرق السفر برّاً وبحراً واجورها . وقد طبع بمطبعة المقتطف والمقطم ويشتمل على صور كثيرة

﴿ القربان ﴾ مجلة علمية ادبية اخلاقية تصدر في حاب « سوريا » مرة في الشهر بصور ورسوم عند اللزوم لصاحبها ومنشئها القس اغناطيوس سعد . صندوق البريد ٣٧٠



# بَابُ الْأَخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

## نور الشمس وحفظ الحلويات

يؤخذ من تصريح الاستاذ درمل من  
معهد ماساريك الصحي بجامعة براغ ان الحلويات  
والشوكولاته يجب ان تلف بورق شفاف  
بعد معالجته ببعض المواد الكيماوية لكي  
يخرقه نور الشمس . وذلك لان المكروبات  
تفضل ان تعيش في مكان مظلم رطب . فاذا لفت  
الحلويات والواح الشوكولاته بالورق الفضي  
تم للمكروبات ما تريد . اما اذا لفت بالورق  
الشفاف المذكور لم تجد المكروبات داخلها  
مرتماً خصبياً . وهذا لا يعني ان الحلويات  
المكشوفة لنور الشمس افضل من الحلويات  
الملفوفة بالورق الفضي . لان الحلويات  
المكشوفة تلوث بالمكروبات من شد ما  
تتناولها الايدي وما يسقط عليهما من الذباب  
الناقل للمكروبات

## عيد كبلر

يحتفل بانقضاء ثلاثمائة سنة على وفاة  
العالم الرياضي والفلكي المشهور جوهان كبلر  
في ١٥ نوفمبر القادم . وسنشر له حينئذ  
ترجمة وافية

## الخواتم الذهبية واسوداد الاصابع

اذا صنعت الخواتم والاساور من صنف  
معين من الذهب تركت في الاصابع  
والارساغ اثرأ ضارباً الى السواد ذلك ان  
الذهب التقي معدن لين لا يحتفظ بشكله  
الخاص في الحلي الذهبية المختلفة مدة طويلة  
ويذوب بكثرة الاحتكاك . لذلك يعمد الصواغ  
الى مزج الذهب بمعدن آخر ليخرج الخليط  
صلباً قاسياً . فالذهب الذي عياره ١٨ انما هو  
خليط ٧٥ في المائة منه ذهب تقي و ٢٥ في  
المائة فضة ونحاس

في هذه الاخلاط الذهبية تتولد مركبات  
كبريتية على اثر تفاعل معادن الاخلاط بما  
يتصل بها من كبريت الهواء او العرق الناضج  
من الجسم . وهذه المركبات تعرف  
«بالكبريتيد» وهي التي تترك اثرأ اسود في  
الارساغ والاصابع والحيود . والغريب ان هذه  
المركبات لا تكون في كل الاحوال على  
الاطلاق لان مقدار الكبريت في العرق الذي  
يُفرز في مختلف الناس متفاوت . هذا هو الرأي  
الذي اذاعته الجمعية الطبية الاميركية



John Masfield



جون مايسفيلد  
شاعر العرش البريطاني الجديد



## شاعر العرش البريطاني

اشرنا في مقتطف مايو (صفحة ٦٠٠) الى وفاة الدكتور روبرت برджер شاعر العرش البريطاني . وقد وقع اختيار المستر مكدونلد رئيس الوزارة البريطانية على المستر جون مايسفيلد ليخلفه في هذا المنصب فكان موفقاً في هذا الاختيار على ما يرى النقاد والادباء من الانكليز

مايسفيلد شاعر وروائي في آن واحد ولد سنة ١٨٧٥ في مدينة لثربول فقضى عهد حياته في بلدان مختلفة يعمل اعمالاً متباعدة وكان بحاراً فحسب ذلك البحر اليه فظم فيه اشعاراً هي غاية في البلاغة وسموّ الشعور ودقة التصوير . وقضى شطراً من حياته في اميركا قبل ان كان يعمل فيها تكادم في خماره بنويورك . ثم نشر مجموعة قصائده الاولى التي دحاها « اناشيد الماء الملح » سنة ١٩٠٢ ونالها مجموعة اخرى سنة ١٩٠٣ ثم نشر ثلاث روايات نثرية بين ١٩٠٨ و ١٩١١ وتلا ذلك ثلاث قصائد قصصية وروايتان تميلتان شعريتان غاية في الابداع فلما ظهرت ثبت لنقاد الادب تفوق شعره ورواياته التمثيلية الشعرية على رواياته النثرية . وتوالت بعد ذلك القصص والاشعار من قلمه السيال فاحلته في المقام الاول بين شعراء الانكليز المعاصرين وكتابهم . وفي الجزء التالي من المقتطف سنترجم له بضع مقطوعات من شعره على صعوبة ترجمتها لان الروح الانكليزية

الصرفة تتغلغل فيها ككنائيه الخاصة بوصف البحر او مشاهد الطبيعة في الريف الانكليزي

## الرائد كارل ايلسن

فقد روّاد القطبين رائداً من اصلهم عوداً وأشجعهم قلباً وأبرعهم في ريادة المناطق المتجمدة بالطيارة . ففي ٩ نوفمبر الماضي قام ايلسن برحلة جوية ثانية الى السفينة نانوك المحصورة بالجليد على مقربة من كايب نورث بسيبيريا . فلما لم يبلغها ارسلت النجدة للبحث عنه فعثروا على جسده وجثة رفيقه على مقربة من طيارتهما في موقع يبعد نحو ٩٠ ميلاً الى الجنوب الشرقي من كايب نورث المذكور وهو اميركي من اصل زوجي وكان اسبق الناس الى استعمال الطيارة في الاسكا فقاده ذلك الى إنشاء شركة غرضها توزيع البريد بالطيارة في تلك الاصقاع النائية التي يفصل الجمد بين قراها على مدار السنة تقريباً . وسنة ١٩٢٦ انضم الى الرحالة السرهوبرت ولكنز وطار معه الى المناطق المتجمدة الشمالية . وفي سنة ١٩٢٨ ساق ايلسن طيارة ولكنز من الاسكا الى سبتسبرجن في خط مستقيم تقريباً فوق مفاوز الجليد الشمالية . وفي السنة التالية ذهبا معاً الى القارة المتجمدة الجنوبية حيث طارا في شهر ديسمبر مسافة ١٢٠٠ ميل فوق مفاوز الجليد فاثبتا بطيرانهما ان غراها مسلند ( ارض غراهام ) ارحيل جزائر يسد الجليد المضائق بينها فحسبها الرواد الى ذلك الوقت شبه جزيرة



## اجور الاساتذة الاميركيين

اشترك سبعة من رؤساء الجامعات الاميركية في بحث موضوعه «اجور الاساتذة في معاهد العلم الاميركية» عهد اليهم به مجمع تقدم العلوم الاميركي . فتناول البحث جامعات ياييل وهارفرد وولايات اوهايو ومشيغن والينوي ووسكنسن وكالفورنيا بين سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٢٥ ووضعوا تقريراً مسهباً بذلك . وقد عني الاستاذ نوز من اساتذة جامعة الينوي بكتابة مقال على اساس هذا التقرير نشرته «مجلة العلم» قال فيه ان اساتذة الجامعات والكليات الاميركية لا ينالون قسطهم العادل من ارتقاء البلاد ونماء ثروتها مع ما لهم من الاثر الكبير في مد اسباب هذا الارتقاء والنماء . ففي خمس وعشرين سنة زادت الاجور في اميركا زيادة اسمية تبلغ مئتين في المئة وزيادة فعلية تتراوح بين ٥٠ في المئة و ٥٧ في المائة . ولما كانت الزيادة الاسمية في اجور الاساتذة لا يزيدا كبرها على ١٢٠ في المائة فالاجور التي كانوا ينالونها سنة ١٩٢٥ هي في الواقع اقل مما كانوا ينالونها سنة ١٩٠٠ . اي ان استاذاً كان ينال راتباً سنوياً قدره ٤٠٠ جنيه يجب ان ينال الان ١٢٠٠ جنيه اذا تبع راتبه سير الاجور والرواتب في اميركا . ثم اشار الى ان معامل البحث في الشركات الكبيرة تدفع اجوراً اعلى جداً من الاجور التي تدفعها

الجامعات . فاذا لم يقع ما يمكن الجامعات من زيادة اجور اساتذتها لم تتمكن من الاحتفاظ بأكثرهم . وعنده ان راتب استاذ من الطبقة الاولى في جامعة اميركية يجب ألا يقل عن اربعة آلاف جنيه في السنة

## مصحة في بلون

حار اصحاب الاموال في ابتداء الطرق الغربية لتطبيق المعارف العلمية الحديثة رغبة في الكسب مستدين الى ان الطبيعة البشرية تتوق الى تجربة كل جديد خارج على المألوف ومن اغرب المقترحات التي قرأنا عنها بناء مصحة للمسولين في الجانب الاعلى من بلون كبير تكون جدرانها من السلوليد او اية مادة اخرى لا تحجب اشعة الشمس وخصوصاً اشعتها التي فوق البنفسجي فيؤتمتها المسولون بدلاً من الصعود الى الجبال في طلب الهواء النقي واشعة الشمس المنعشة . فيحلق بهم البلون فوق الغيوم بضعة ايام ينال في اثناهما المستشفون كل عناية طبية علاوة على التمتع بالهواء الطلق الحافل بالاوزون وباشعة الشمس التي لا يحجبها الغيم ولا الغبار . والغريب ان اول من قدم هذا الاقتراح محام فرنسوي يدعى شارل جوليو . ويؤخذ من تصريح الدكتور اركشتين رئيس شركة جودير زبلين الاميركية ان في النية بناء بلون من هذا القبيل



## التلفون المبصر

لما شاع التلفون البعيد المدى حسب الناس ان استنباط وسيلة ممكن المتخاطبين به على مسافة بعيدة من رؤية احدهما للآخر يكون منحة عظيمة للإنسانية . وكانت المصاعب التي تحول دون تحقيق ذلك حينئذ مما يتعذر تحطيه . اما وقد استنبطت الطرق المختلفة للتلفزة ونقل الصور فصار في الامكان الود الى تحقيق الامنية الاولى . ففي ٩ ابريل الماضي جربت في معامل شركة بل التلفونية تجربة حضرها جمهور من الصحفيين فتمكن المتخاطبان في اثناهما من رؤية احدهما الآخر مع ان الواحد كان في بناية والثاني في بناية اخرى . ذلك ان احدى غرف المحادثات التلفونية جهزت بمصباح يلقى شعاعه زرقاء على وجه المتكلم فتنتقل صورته بطرق التلفزة العادية الى الغرفة الاخرى التي فيها المتكلم الآخر وتظهر على لوحة فيها . وتنقل صورة المتكلم الآخر بالطريقة نفسها الى الغرفة الاولى . والغرفتان مضاءتان بنور برتقالي لا تتأثر به البطارية الكهربائية (الكهربائية النورية) التي تنقل ما في الشعاع الزرقاء المعكوسة عن وجه المتكلم من اختلاف في قوة نورها وضعفه

ولما كانت السماع المستعملة عادة في آلات التلفون تحق جانباً من وجه المتكلم فلا يستطاع نقل صورته كاملة ، أخفيت قطعة

السماعة التي يتكلم فيها المتكلم في جدار الغرفة . واما البوق الذي يسمع به فيستعمل كالعادة

## الملكة نفرتيتي

بعد كتابة السطور المنشورة تحت الصورة الملونة التي صدرنا بها هذا العدد جاءتنا الانباء البرقية من اوربا بأن المفاوضات لاسترجاع هذا التمثال النفيس قد وقفت وان الحكومة الالمانية قد رفضت التسليم باخراج التمثال من بلادها . ولكن المفوضية الالمانية في القاهرة اشارت بالترتيب في تصديق الخبر حتى يجيء الانباء الرسمية بنتيجة هذه المفاوضات

## رواية كاملة تنقل بالتلفزة

نشرت جريدة التيمس في عددها الصادر في ٢٣ مايو ان جمهوراً عدده خمسمائة شهد في احد مراسع نيويورك رواية مثلت على ميل منهم في بناية الشركة الكهربائية العامة ونقلت مشاهدتها بالتلفزة كما نقلت اصوات الممثلين بالتلفون اللاسلكي . ومما اضحك الجمهور وحملهم على الاستغراب الشديد ان احد الممثلين قدم المرشح بعد تمثيل الفصل الاول . فلما جاء دور يشترك فيه مع رفيق له نقلت مشاهد الرفيق وكلماته بطرق التلفزة فكانا يمثلان معاً مع ان الواحد يعد ميلاً عن الآخر . ويقال ان الصور التي ظهرت على لوحة التلفاز هذه تفوق في صفائها وثباتها الصور المتحركة في عهدها الاول



## الطيران التجاري عبر الأتلنتيكي

يظهر ان خط الطيران التجاري الاول بين البلدان القائمة على جانبي المحيط الأتلنتيكي سيكون خط بلونات لا خط طيارات . فقد تكوّنت شركة دولية لبناء ثلاث بلونات على طراز البلون غراف زبلين اثنان منهما يبنيان في بلدة اكرون بولاية اوهايو الاميركية والثالث يبنى في المانيا . فيتم للشركة اسطول من اربعة بلونات « الغراف زبلين » احدها . وينتظر ان يفتتح هذا الخط سنة ١٩٣٢ لنقل الركاب والبريد والبضائع . وقد اختيرت مدينة بلطيمور الاميركية ومدينة اشبيلية الاسبانية لتكونا طرفي هذا الخط في الولايات المتحدة واوروبا على الترتيب . ومن اشبيلية يسافر الركاب الى مختلف مدن اوروبا بالطيارات . وينتظر ان تستغرق الرحلة من بلطيمور الى اشبيلية يومين ومن اشبيلية الى بلطيمور ثلاثة ايام . اما اجرة السفر فضعف مثيلها في البواخر .

## مؤتمر الكيمياء الغروية

يعقد في جامعة كمبردج في آخر سبتمبر واول اكتوبر المقبلين مؤتمر لاشهر المشتغلين بالكيمياء الغروية وتطبيقها على علوم الحياة . وهذا المؤتمر يختلف عن غيره من المؤتمرات العامة . ذلك ان لجنة جمعية فرادي التي عينت باعداده دعت نفراً معيناً من العلماء

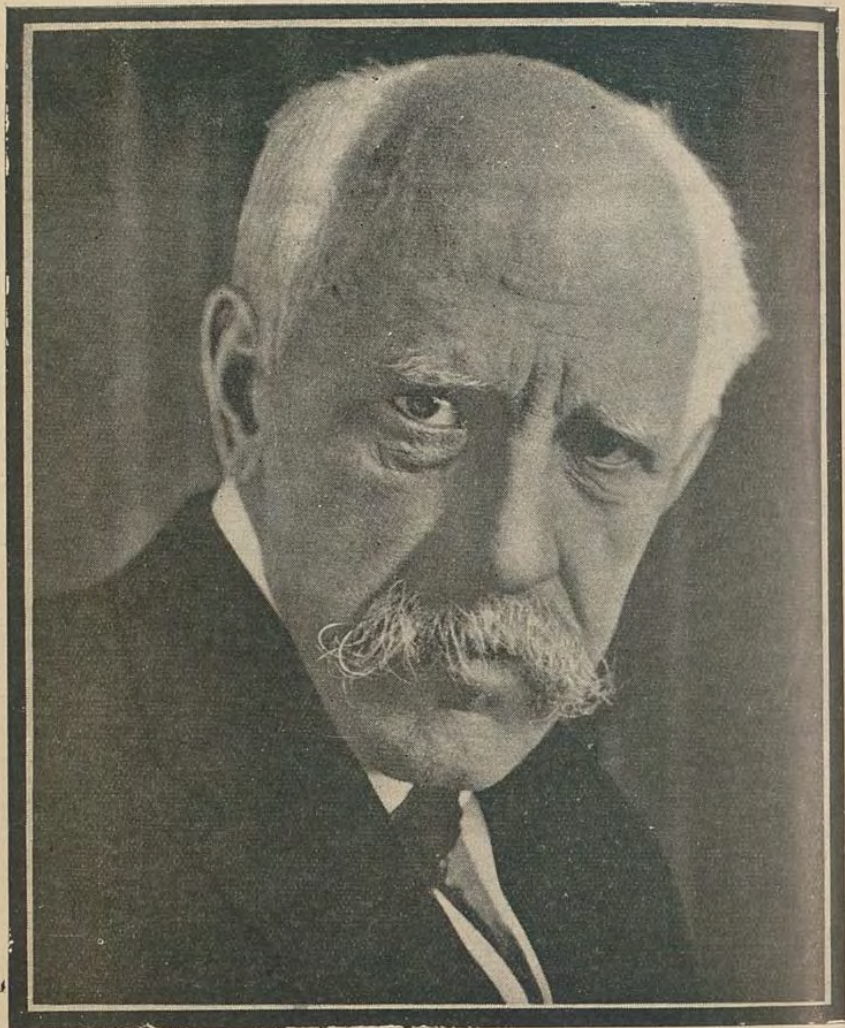
الباحثين في هذا الموضوع وطلبت اليهم ان يضعوا رسائل في الموضوعات التي اختصوها لكي توزع على الاعضاء المدعويين لدرسها وتمحيصها والمناقشة فيها مناقشة مجدية لدى تلاوتها .

ومن الذين دعوا السروليم هاردي نائل جائزة نوبل الكيمائية والاستاذ هـ لـ والدكتور جورتز من اساتذة جامعة منسوتا الاميركية والاستاذ بجود (بركسل) والاستاذ يولي ( فينا ) والسر جولد هيكز مكتشف الفيتامين والدكتور ولر (كمبردج) والاستاذ لوس (بلطيمور) والاستاذ بترز (اكسفورد) والاستاذ كواستل (كمبردج) والاستاذ برن (تورسو) والاستاذ ديكلو (باريس) والاستاذ اويلر (استوكهلم) والاستاذ فرويند (برلين دالم) والاستاذ كرويت (اترخت) والاستاذ اوستوالد (ليزغ) والاستاذ سورسن (كوبنهاجن) والاستاذ سقذبرغ (ابسالبا) . وينتظر ان يقسم البحث الى قسمين الاول يتناول « التوازن في المواد البروتينية » ويرأسه السر وليم هاردي والثاني بدور على « بناء المادة الحية » ويرأسه السر فردريك جولد هيكز .

## الرحالة نانسن

نشرنا في العدد الماضي نبأ الرحالة نانسن وطرفاً من سيرته ولم تمكن من نشر صورته لضيق الوقت فشرناها الان





فردجتوف نانسن

Dr. Fridtjof Nansen

رَحَّالَة وفياسوف ومحسن للانسانية

(١٨٦١ — ١٩٣٠)

مقتطف يوليو ١٩٣٠